

المغني في معرفة الأسباب

تأليف
الدكتور عبدالله خضر حمد

الجزء الثاني

المغني في معرفة الأسباب

الدكتور عبدالله خضر حمد

الجزء الثاني

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع هذا الكتاب من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى
مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك لإرسال
الكتاب بأحدث نسخة وبصيغة (word) إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم
لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

[المجادلة : ١١]

سورة «الأعراف»

١- {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (٢٦)} [الأعراف : ٢٦]

قال الماوردي: "نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة"^(١).

قال أبو سعد المدني: "سمعت مجاهدا يقول في قوله: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا}، قال: أربع آيات نزلت في قريش. كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة"^(٢).

٢- {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)} [الأعراف : ٣١ - ٣٢]

في سبب نزول الآيتين، وجوه:

أحدها: قال ابن عباس: "كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فنقول: «من يعيرني تطوفا؟»، تجعله على فرجها، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}^(٣). [صحيح]

(١) النكت والعيون: ٢١٣/٢.

(٢) أخرجه الطبري (١٤٤٢٠): ص ٣٦٢/١٢.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢٣٢٠ رقم ٣٠٢٨)، واستدركه الحاكم (٢/ ٣١٩، ٣٢٠) على الشيخين ووافقه الذهبي، وقد وهما في ذلك؛ فهو في مسلم كما ترى.

وأخرجه الطبري (١٤٥٠٣): ص ٣٨٩/١٢، و (١٤٥٠٦): ص ٣٩١/١٢، وابن أبي حاتم (٨٣٧٥): ص ١٤٦٤/٥، والواحدي في أسباب النزول: ٣٢٥، وفي آخرها: "فأمروا بلبس الثياب"، كما أخرج الواحدي في رواية أخرى عن ابن عباس أيضا: "كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله..... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وَنَزَلَتْ: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ} الْآيَتَانِ. [أسباب النزول: ٢٢٥-٢٢٦].

وفي السياق نفسه أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: قوله: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوراري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمرُوا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد" (١).

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا: "كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة بالليل، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا" (٢).

وفي السياق نفسه قال قتادة: " : كان حي من أهل اليمن ، كان أحدهم إذا قدم حاجًا أو معتمرًا يقول : لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنَسْتُ فيه، فيقول : من يعيرني منزرا ؟ فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عريانًا ، فأنزل الله فيه ما تسمعون : {خذوا زينتكم عند كل مسجد} " (٣).

وروي عن الزهري : أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحمس ، قريش وأحلافهم. فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه. فإن لم يجد من يعيره من الحمس ، فإنه يلقي ثيابه ويطوف عريانًا. وإن طاف في ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يحرّمها ، فيجعلها حرامًا عليه. فلذلك قال الله : {خذوا زينتكم عند كل مسجد} " (٤).

وعن ابن زيد في قوله : " { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } " (٥) ، قال كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها. فإن وجدوا مَنْ يُعيرهم ثيابًا ، وإلا طافوا بالبيت عراة. فقال : {من حرم زينة الله} ، قال : ثياب الله التي أخرج لعباده ، الآية" (٦).

الثاني: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: "كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى لا يصلح لأحد منهم في دينهم الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فأيهم طاف ألقاهما حتى يقضي طوافه وكان أتقى، فأنزل

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٨٣٧٧):ص٥/١٤٦٤، وانظر: الدر المنثور: ٣/ ٤٣٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٣٧٦):ص٥/١٤٦٤. وقال: "وروي عن عطاء بن أبي رباح نحو ذلك".

(٣) أخرجه الطبري (١٤٥٢٢):ص٣٩٣/١٢.

(٤) أخرجه الطبري (١٤٥٢٤):ص٣٩٤/١٢.

(٥) [الأعراف: ٣٢].

(٦) أخرجه الطبري (١٤٥٢٨):ص٣٩٤/١٢.

الله تعالى فيهم: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (١)، أنزلت في شأن الذين يطوفون بالبيت عراة (٢). [مرسل]

الثالث: قال الكلبي: "كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى: {وَكُلُوا}، أي: اللحم والدسم، {وَاشْرَبُوا} (٣).

قال ابن قتيبة: "كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة بالنهار والنساء منهم بالليل إلا الحمس- وهم قريش ومن دان بدينهم- ولا يأكلون من الطعام إلا اليسير إعظاما لحجهم. فأنزل الله هذه الآية (٤).

٣- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيَّنَا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) [الأعراف : ٣٧]

عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات، فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} (٥).

٤- {وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (١٧٥) [الأعراف : ١٧٥]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفى (٦). [صحيح]

(١) [الأعراف: ٣٢].

(٢) أخرجه الواحدي في اسباب النزول: ٢٢٦، وإسناده لا بأس به، وهو مرسل.

(٣) أسباب النزول: ٢٢٦.

(٤) غريب القرآن: ١٦٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٣٦) ص: ١٤٧٣/٥.

(٦) أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٥٠٨، ٥١١ رقم ٢١٢، ٢١٤)، والطبري في "جامع البيان"

(١٥٤٠٩) ص: ٢٥٧/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦١٦ رقم ٨٥٤٢)، ومسدد بن مسرهد في "مسنده"؛

كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ٧٨ رقم ٧٦٨٠) من طريق يعقوب ونافع ابني عاصم عن عبد الله بن عمرو به.

قلنا: وسنده صحيح.

والثاني: عن عبد الله بن مسعود؛ قال: "هو بلعم بن أبر رجل من اليمن"^(١). [صحيح]

٥- {أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤)} [الأعراف : ١٨٤]

عن قتادة؛ قال: "ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان على الصفا، فدعا قريشاً؛ فجعل يفخذهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون؛ بات يصوت إلى الصباح أو حتى أصبح؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى-: {أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ}"^(٢). [ضعيف]

٦- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَأَجْلِيهَا لَوْ قَتَلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَأَتَاتِيكُمْ إِلَّا بَعَثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)} [الأعراف : ١٨٧]

في سبب نزول الآية وجوه:

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٥ / ٧) وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وقال البوصيري: "ورواته ثقات".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (١٤٦ / ٣) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر.

وصححه ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢٦٦ / ٢)، وقال الحافظ في "فتح الباري" (١٥٤ / ٧): "وروى ابن مردويه بإسناد قوي عن عبد الله بن عمرو. . .".

(١) أخرجه النسائي في "تفسيره" (١ / ٥١٠ رقم ٢١٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٣٨٣)، و(١٥٣٨٤): ص ٢٥٢/١٣، والطبراني في "الكبير" (٩ / ٢١٩ رقم ٩٠٦٤)، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١ / ٢ / ٢٤٣)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ٣٢٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦١٦ رقم ٨٥٤١) من طريق الأعمش ومنصور كلاهما عن أبي الضحى عن مسروق عنه به.

قلنا: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٥ / ٧): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣ / ٦٠٨) وزاد نسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦١): ص ٢٨٩/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٢٤ رقم ٨٥٩٢) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣ / ٦١٨) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال الحافظ في "الكافي الشاف" (رقم ٤٢): "بإسناد صحيح إلى قتادة".

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا محمد! أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإننا نعلم متى هي؟! فأنزل الله -تعالى-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا فُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"^(١). [ضعيف]

والثاني: عن مخارق بن شهاب؛ قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}"^(٢). [ضعيف]

والثالث: عن قتادة؛ قال: قالت قريش لمحمد - صلى الله عليه وسلم -: إن بيننا وبينك قرابة؛ فأسر إلينا متى الساعة، فقال الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا فُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"^(٣). [ضعيف]

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود؛ ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان"^(٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٣):ص٢٩٢/١٣ -: حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناده ضعيف؛ فيه محمد هذا؛ مجهول تفرد عنه ابن إسحاق. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦١٩ /٣) وزاد نسبه لأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٤):ص٢٩٢/١٣ -: ثنا سفيان بن وكيع ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن مخارق.

قلنا: وهذا إسناده ضعيف؛ سفيان بن وكيع؛ قال الحافظ: "كان صدوقاً؛ إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه؛ فنصح؛ فلم يقبل؛ فسقط حديثه".

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٢):ص٢٩٢/١٣ -: ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة به.

قلنا: وهذا إسناده صحيح؛ رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

(٤) تفسير الطبري: ٢٩٢/١٣.

٧- {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)} [الأعراف : ١٨٩]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانت حواء تلد لأدم، فتعبدهم الله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وأدم فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش، فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث؛ ففيه أنزل الله -تبارك وتعالى-: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}"^(١). [منكر]

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٥١٥) :ص ٣١٠/١٣. ثنا ابن حميد ثنا سلمة بن الأبرش عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس.

قلنا: وهذا حديث منكر؛ فيه علل:

الأولى: رواية داود بن الحصين عن عكرمة خاصة منكرة.

الثانية: ابن إسحاق؛ مدلس، وقد عنعن.

الثالثة: ابن حميد؛ ضعيف، وقد اتهمه بعضهم.

وأخرجه الترمذي في "سننه" (٥ / ٢٦٧ رقم ٣٠٧٧)، وأحمد "مسنده" (٥ / ١١)، والطبري في "جامع البيان" (٩ / ٩٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧ / ٢١٥ رقم ٦٨٩٥)، وابن عدي في "الكامل" (٥ / ١٧٠٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٣١ رقم ٨٦٣٧، ٨٦٤١)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢ / ٢٨٦)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ٥٤٥)، وابن بشران في "الأمالي" (ق ١٥٨ / ب) من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بنحوه ليس فيه التصريح بسبب النزول.

قلنا: وهذا سند ضعيف، فيه نكارة؛ وفيه علل:

الأولى: الحسن مدلس وقد عنعنه.

الثانية: عمر هذا؛ أصله صدوق؛ إلا أن روايته عن قتادة خاصة ضعيفة.

قال ابن عدي: "وحديثه عن قتادة خاصة مضطرب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه".

ولخصه الحافظ في "التقريب" (٢ / ٥١) بقوله: "صدوق، وفي حديثه عن قتادة ضعف".

قال الإمام الألباني في "الضعيفة" (رقم ٣٤٢): "ضعيف".

وأعله ابن كثير من ثلاثة أوجه تراها في "تفسيره" (٢ / ٢٨٦).

ومما يدل على نكارة القصة ما ثبت عن الحسن نفسه أنه فسر الآية بغير ذلك فقال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بأدم.

ذكر ذلك عنه الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢ / ٢٨٦)، ثم قال:

٨- {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)} [الأعراف : ١٩٩]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن الزبير؛ قال: "ما أنزلها الله إلا في أخلاق الناس"^(١). [صحيح] والثاني: عن السدي؛ قال: "نزلت هذه الآية: {خُذِ الْعَفْوَ} فكان الرجل يمسك من ماله ما يكفيه ويتصدق بالفضل، فنسخها الله بالزكاة: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}؛ قال: بالمعروف، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}؛ قال: نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال، أمره الله بالكف ثم نسخها القتال؛ فأنزل: {أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا} [الحج: ٣٩] الآية"^(٢). [ضعيف]

٩- {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)} [الأعراف : ٢٠٠]

عن عبد الرحمن بن زيد؛ قال: في قوله: "{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)}؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فكيف بالغضب يا رب؟"، قال: {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}"^(٣). [ضعيف جداً]

١٠- {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} [الأعراف : ٢٠٤]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ "أنه كان يقول -في هذه {وَإِذْ كُنَّا رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً}-: هذا في المكتوبة، وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك؛ فإنما هي نافلة، إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه، قال: فنزل القرآن: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}؛ فهذا في المكتوبة"^(٤). [حسن]

"وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه".

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٣٠٥ رقم ٤٦٤٣، ٤٦٤٤)، والنسائي في "تفسيره" (١/ ٥١٢ رقم ٢١٥)، وأبو داود (رقم ٤٧٨٧) وغيرهم.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣١) ونسبه لأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٥٥٣): ص ٣٣٣/١٣: ثني يونس: نا ابن وهب؛ قال ابن زيد به.

قلنا: وهذا معضل مع ضعف عبد الرحمن، بل إنه اتهم بالكذب.

(٤) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٦٠٨): ص ٣٥٠/١٣، والبيهقي في "جزء القراءة". (ص ١٠٩ رقم

٢٥٥) من طريقين عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد حسن لذاته، والراوي عن ابن لهيعة عند الطبري ابن المبارك وهو من قدماء أصحابه.

والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب^(١). [باطل]
 والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري^(٢). [ضعيف]
 والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم؛ فأنزل الله ما تسمعون: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. قاله قتادة^(٣). [ضعيف].

وأخرج الطبري -أيضاً- (١٥٦٠٤): ص٣٤٩/١٣، والبيهقي (ص ١٠٩ رقم ٢٥٤) من طريق عبد الله بن صالح ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ قال: في الصلاة المفروضة.
 قلنا: وسنده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن صالح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦٣٤ / ٣) وزاد نسبه لابن المنذر.
 وأخرجه البيهقي في "جزء القراءة" (رقم ٢٥٣)، و"السنن الكبرى" (٢ / ١٥٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٤٦ رقم ٨٧٣٣) من طريق مسكين بن بكير الحراني عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: المؤمن في سعة من الاستماع إليه؛ إلا في صلاة مفروضة، أو مكتوبة، أو يوم جمعة، أو يوم فطر، أو يوم أضحى بعد قوله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٢٠٤).

قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-؛ مسكين هذا وثقه ابن حبان واليزار، وقال أحمد: "لا بأس به"، وقال الذهبي: "صدوق يغرب"، وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ"؛ فرجل هذا حاله حديثه حسن ما لم يخالف -والله أعلم-.
 وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦٣٧ / ٣) وزاد نسبه لأبي الشيخ.

وأخرجه ابن مردويه؛ كما في "الدر المنثور": عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- في قوله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}؛ قال: نزلت في رفع الأصوات خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، وفي الخطبة؛ لأنها صلاة، وقال: من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب؛ فلا صلاة له.

(١) باطل. عزاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢/٢٨٣ لابن المسيب، ولم أقف عليه، وهو باطل لا يصح عنه، فإن الخطاب في الآية للمؤمنين، وسياق الخبر يدل على أن الخطاب للمشركين!!!.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥٥٨٣): ص٣٤٦/١٣. أخرجه عن الزهري مرسلًا، والمرسل من قسم الضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٤٦٥ عن الزهري مرسلًا.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٥٩٨): ص٣٤٨/١٣. ثنا بشر العقدي ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، ويزيد بن زريع روى عن سعيد قبل اختلاطه.

وهو شاهد قوي لحديث أبي هريرة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه-؛ قال: "كانوا يتكلمون في الصلاة؛ فنزلت: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ . . .} "(^١). [صحيح لغيره]

ثم أخرجه (١٥٥٩٩)ص: ٣٤٨/١٣ من طريق محمد بن ثور، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١ / ٢ / ٢٤٧) كلاهما عن معمر بن قنادة؛ قال: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم: كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)}. قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣ / ٦٣٦) وزاد نسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وله شاهد من حديث معاوية بن قررة بنحوه:

أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٥ / ١٨٤ رقم ٩٨١ - تكملة) -ومن طريقه البيهقي في "جزء القراءة" (ص ١١٦ رقم ٢٨٣)، و"السنن الكبرى" (٩ / ١٥٥) -، وهو مرسل صحيح الإسناد. ويشهد له في الجملة ما ثبت في "الصحيحين" من حديث زيد أرقم -وتقدم تخريجه في سورة البقرة- قال: كان أحدنا يكلم صاحبه إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: {وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}؛ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢ / ٤٧٨)، وابن المنذر في "الأوسط" (٣ / ١٠٥ رقم ١٣١٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٤٥ رقم ٨٧٢٨)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٥٨٢)ص: ٣٤٥/١٣، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢ / ١٥٥)، و"جزء القراءة خلف الإمام" (ص ١١٤ رقم ٢٧٤ - ٢٧٧) من طريق إبراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه إبراهيم الهجري، وهو لين الحديث: رفع موقوفات؛ كما في "التقريب"، وأبو عياض - اسمه عمرو بن الأسود؛ ثقة عابد.

لكنه توبع؛ فأخرجه البيهقي في "جزء القراءة خلف الإمام" (ص ١١٤، ١١٥ رقم ٢٧٨) من طريق مؤمل بن إسماعيل نا عبد العزيز بن مسلم القسلي نا محمد بن زياد عن أبي هريرة به. قلت: ومؤمل صدوق سيئ الحفظ.

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٤٥ رقم ٨٧٢٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٥٨٦)ص: ٣٤٦-٣٤٧، والدارقطني (١ / ٣٢٦) -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٤)، و"الوسيط" (٢ / ٤٤٠) -، والبيهقي في "جزء القراءة" (ص ١١٥ رقم ٢٧٩) من طريق الأوزاعي نا عبد الله بن عامر ثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة به.

قلنا: وعبد الله بن عامر هذا؛ ضعيف، وبه أعلى الدارقطني عقبه.

فالحديث بمجموعها صحيح -إن شاء الله-، على أن له شواهد كثيرة يصح بها.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣ / ٦٣٦) وزاد نسبه لأبي الشيخ وابن مردويه. [انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب: ١٧٧/٢].

والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة، قاله مجاهد^(١)، وعزاه ابن الجوزي والماوردي إلى أمّنا عائشة رضي الله عنها^(٢).
والسادس: قال الكلبي: "كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار؛ فأنزل الله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}"^(٣). [موضوع]

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥٦٠٩): ص ٣٥٠/١٣.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٨٣/٢، والنكت والعيون: ٢/٢٩٠. لم أراه عن عائشة، وورد عن بعض التابعين.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢٤٧ / ٢ / ١) من طريق الكلبي به.

قلنا: والكلبي يضع الحديث فكلامه ليس بشيء.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٧) وزاد نسبه لابن المنذر..

سورة «الأنفال»

١- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّاقِلِ قُلِ النَّاقِلُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) } [الأنفال : ١]

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها : ما رواه ابن عباس قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من أتى مكان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا؛ فله كذا وكذا" فسارع إليه الشبان، وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله لهم، جاء الشباب يطلبون ما جعل لهم، فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا، وإنما كنا رداءً لكم؛ فأنزل الله - عزَّ وجلَّ-: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} ^(١). [صحيح].

الثاني : ما روى محمد بن عبيد بن سعد بن أبي وقاص قال : " لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به نبي الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: " اذهب فاطرحه في القبض"، فطرحته قال: فرجعت وبني ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلمي، قال: فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اذهب فخذ سيفك" ^(٢). [حسن].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤ / ٣٥٦ رقم ١٨٥٠٨)، وأبو داود (رقم ٢٧٣٧ - ٢٧٣٩)، والنسائي في "الكبرى" (٦ / ٣٤٩ رقم ١١١٩٧)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٦٥٠): ص٣٦٧/١٣، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٤٣ - موارد)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ١٣١، ١٣٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧)، والبيهقي في "الكبرى" (٦ / ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٥، ٣١٥ - ٣١٦)، وفي "الدلائل" (٣ / ١٣٥، ١٣٦)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢ / ٢٩٦) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به. قلنا: وهذا إسناد صحيح.

وصححه ابن حبان.

وقال الحاكم في "الموضع الأول": " هذا حديث صحيح؛ فقد احتج البخاري بعكرمة، وقد احتج مسلم بداود بن أبي هند ولم يخرجاه".

وتعقبه الذهبي فقال: " هو على شرط البخاري".

قلنا: لم يخرج البخاري في "صحيحه" لداود بن أبي هند؛ فهو صحيح فقط.

وقال الحاكم في "الموضع الثاني والثالث": " هذا حديث صحيح ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٦) وزاد نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (رقم ٢٦٨٩ - ط الأعظمي)، وابن أبي شيبة (١٢ / ٣٧ رقم ١٤٠٣١)،

وأحمد (١ / ١٨٠) - ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٥) -، والطبري في "جامع البيان"

الثالث : أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرًا فاختلفوا، وكانوا أثلاثًا، فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} الآية . فملكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله ، قاله عكرمة^(١)، والضحاك^(٢)، وابن جريج^(٣).

والرابع : أنهم لم يعلموا حكمها وشكوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

(١٥٦٥٩):ص٣٧٣/١٣، والبزار في "البحر الزخار" (٤ / ٧٢، ٧٣ رقم ١٢٣٩)، وأبو عبيد في "الأموال" (ص ٣٨٢ - كتاب الخمس) من طريق أبي معاوية نا الشيباني -وهو أبو إسحاق- عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه بين محمد الثقفي وسعد؛ فإنه لم يدركه.
انظر: "المراسيل" (رقم ٣٢٤).

وقال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في "تحقيقه للمسنود" (٣ / ٧٨ رقم ١٥٥٦): "إسناده ضعيف؛ لانقطاعه". ا. هـ.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٣) وزاد نسبه لابن مردويه.

وأخرج أحمد (١ / ١٧٨)، وأبو داود (رقم ٢٧٤٠)، والترمذي (رقم ٣٠٧٩)، والنسائي في "التفسير" (١ / ٥١٣، ٥١٤ رقم ٢١٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٦٥٧):ص٣٧٢/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٤٩)، (٨٧٥٥) وأبو يعلى في "المسنود" (٢ / ٨٤ رقم ٧٣٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (٨ / ٣١٢)، والحاكم (٢ / ١٣٢)، والبيهقي في "سننه" (٦ / ٢٩١) جميعهم من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن سعد؛ قال: قلت يا رسول الله! قد شفاني الله من المشركين؛ فهب لي هذا السيف، قال: "إن هذا السيف ليس لك ولا لي، ضعه"، قال: فوضعتة، ثم رجعت؛ قلت: عسى أن يعطي هذا السيف اليوم من لم يبيل بلائي، قال: إذ رجل يدعوني من ورائي، قال: قلت: قد أنزل في شيء، قال: "كنت سألتني السيف وليس هو لي، وإنه قد وهب لي فهو لك" قال: وأنزلت هذه الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ فَلِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}.

قلنا: وهذا إسناد حسن.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٣) وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥٦٧١):ص٣٧٩/١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥٦٧٠):ص٣٧٩/١٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٦٦٨):ص٣٧٩-٣٧٨/١٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢/٢٩٤.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يُعطيهموها، فأخبرهم الله أنها لله، وأنه جعلها لرسوله.

وإذا كان ذلك معناه، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش"^(١).

٢- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)﴾ [الأنفال: ٥ - ٦]

في سبب نزول الآيتين، وجوه:

أحدها: عن أبي أيوب الأنصاري؛ يقول: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بالمدينة: "إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قبيل هذا العير؟ لعل الله يغمنها"، فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: "ما ترون في القوم، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟"، فقلنا: لا، والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكن أردنا العير، ثم قال: "ما ترون في قتال القوم؟"، فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو: إذن لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أننا قلنا كما قال المقداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم؛ فأنزل الله - عز وجل - على رسوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)﴾؛ ثم أنزل الله - عز وجل -: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَتَّبِعُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، والشوكة: القوم وغير ذات الشوكة: العير، فلما وعدنا إحدى الطائفتين: إما القوم، وإما العير طابت أنفسنا، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلاً لينظر ما قبل القوم؟ فقال: رأيت سواداً ولا أدري، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هم هم هلموا أن نتعاد"؛ ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا رسول الله بعدتنا، فسره ذلك؛ فحمد الله، وقال: "عدة أصحاب طالوت"، ثم إنا اجتمعنا مع القوم فصفنا، فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) تفسير الطبري: ٣٧٩/١٣-٣٨٠.

إليه فقال: "معي معي"، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "اللهم إني أنشدك وعدك"، فقال ابن رواحة: يا رسول الله! إني أريد أن أشير عليك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفضل من يشير عليه، إن الله - عزّ وجلّ - أعظم من أن تنشده وعده، فقال: "يا ابن رواحة! لأنشدن الله وعده؛ فإن الله لا يخلف الميعاد"، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجوه القوم، فانهزموا؛ فأنزل الله - عزّ وجلّ -: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ} فقتلنا وأسرننا، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما أرى أن يكون لك أسرى، فإنما نحن داعون مولفون، فقلنا: معشر الأنصار! إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا، فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم استيقظ، ثم قال: "ادعوا لي عمر" فدعي له، فقال: "إن الله - عزّ وجلّ - قد أنزل علي: {مَا كَانَ لِإِنبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٦٧)"^(١). [صحيح]

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ١٧٤، ١٧٥ رقم ٤٠٥٦) -وعنه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٩٩) -، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٥٩ رقم ٨٨٠٥، ص ١٦٦٠، ١٦٦١ رقم ٨٨١٤، ٨٨١٦، ٨٨١٧) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران عن أبي أيوب به. قلنا: وهذا سند حسن؛ رجاله ثقات؛ عدا ابن لهيعة، وهو صدوق حسن الحديث قبل اختلاطه واحتراق كتبه، وحديثنا هذا من صحيح حديثه؛ فإن زيد بن الحباب رواه عنه عند ابن أبي حاتم، وزيد سمع منه قبل احتراق كتبه؛ كما قال أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمرى في "النفح الشذي" (٢/ ٨٠٣).

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ٣٧) من طريق يعقوب بن سفيان أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثني أسلم أبو عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بالمدينة: "هل لكم أن نخرج فنلقى هذه العير لعل الله يغنيننا؟". قلنا: نعم، فخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نتعاد، ففعلنا فإذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فسرّ بذلك وحمد الله، وقال: "عدة أصحاب طالوت".

قلنا: وهذا إسناد جيد، وهو من صحيح حديث ابن لهيعة؛ لأن سعيد بن أبي مريم سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه واحتراق كتبه؛ كما قال الإمام أحمد.

انظر: "إكمال تهذيب التهذيب" (٨/ ١٤٥).

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٧٢٧) ص: ٤٠٥/١٣ -مختصراً جداً- من طريق ابن وهب وابن المبارك عن ابن لهيعة به بلفظ: أنزل الله - عزّ وجلّ -: {وَإِذْ يَدْعُوكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ}، فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا، والطائفتان عير أبي سفيان أو قریش؛ لفظ ابن وهب.

ولفظ ابن المبارك: قالوا: الشوكة: القوم، وغير الشوكة: العير، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين إما العير وإما القوم؛ طابت أنفسنا.

والثاني: عن محمد بن عمرو بن علقمة عن [أبيه] عن جده؛ قال: «خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس، فقال: "كيف ترون؟"، قال أبو بكر: يا رسول الله! بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال: ثم خطب الناس، فقال: "كيف ترون؟"، فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب فقال: "ما ترون؟" فقال سعد بن معاذ: إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بني إسرائيل: {فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضي له؛ فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت؛ فنزل القرآن على قول سعد: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} إلى قوله: {وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} وإنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله إليه القتال»^(١). [ضعيف]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما شاور النبي - صلى الله عليه وسلم - في لقاء القوم، وقال له سعد بن عباد ما قال -وذلك يوم بدر-؛ أمر الناس فتعبوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان؛ فأنزل الله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَافِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)"^(٢). [ضعيف جداً]

قلنا: وهذا إسناد جيد، وهو من صحيح حديث ابن لهيعة؛ لأن ابن وهب وابن المبارك من قدماء أصحابه.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦ / ٧٤): "إسناده حسن".

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في "مصنفه" (١٤ / ٣٥٥، ٣٥٦ رقم ١٨٥٠٧)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢ / ٢٩٩) عن طريق محمد به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: علقمة بن وقاص الليثي؛ قال عنه الحافظ: "ثقة ثبت من الثانية، أخطأ من زعم أن له صحبة، وقيل: إنه ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فهو مرسل.

الثانية: عمرو بن علقمة؛ مجهول؛ لم يرو عنه إلا ابنه محمد، وإن وثقه ابن حبان.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٧١٢): ص ٣٩٥/١٣.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء.

٣- {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)} [الأنفال : ١٩]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ قال: "كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم! أينما كان أقطع للرحم، وأتى لما لا نعرف؛ فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ} (١). [صحيح]

والثاني: عن عطية؛ قال: "قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أهدي الفنتين وأفضل الفنتين وخير الفنتين؛ فنزلت: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} (٢). [ضعيف]

٤- {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)} [الأنفال : ٢٢ - ٢٣]

(١) أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ٢٧٠ - ابن هشام)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤/ ٣٥٩، ٣٦٠ رقم ١٨٥٢١)، وأحمد (٥/ ٤٣١)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٨٤٧): ص١٣/٤٥٤، والنسائي في "الكبرى" (٦/ ٣٥٠ رقم ١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثنوي" (١/ ٤٥٤، ٤٥٥ رقم ٦٣١، ٦٣٢)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٧٥ رقم ٨٩١٧)، والحاكم في "المستدرک" (٢/ ٣٢٨)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ٧٤) من طريق الزهري عن عبد الله به. قلنا: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي. قلنا: لم يخرجه مسلم شيئاً في "صحيحه" عن عبد الله بن ثعلبة الصحابي. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٢) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن منده.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤/ ٣٦٥ رقم ١٨٥٢٨)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٨٣٧): ص١٣/٤٥١، من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن معمر عن الزهري به. قلنا: وهذا مرسل صحيح، والحديث صحيح مرسلًا ومسنداً.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٨٤٤): ص١٣/٤٥٣، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥ / ٨٩٢٠) من طريقين عن مطرف عن عطية به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عطية العوفي ضعيف، وهو مع ذلك مرسل. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٢) وزاد نسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "هم نفر من بني عبد الدار"^(١). [صحيح]
وعن قتادة؛ قال: "أنزلت في حي من أحياء العرب من بني عبد الدار"^(٢). [ضعيف]
وعن ابن جريج؛ قال: "نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث"^(٣) وقومه"^(٤). [ضعيف جداً]
٥- {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَأُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} [الأنفال :
[٢٥

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن الحسن؛ قال: "نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير -رضي الله عنهم-"^(٥). [ضعيف]
والثاني: عن السدي؛ قال: "نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا"^(٦). [ضعيف
جداً]
والثالث: عن الضحاك؛ قال: "نزلت في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة"^(٧).
[ضعيف جداً]

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٣٠٧ رقم ٤٦٤٦)..

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٣) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله، ويغني عنه ما قبله.

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، شيطان قريش وصاحب لواء المشركين ببدر، مشرك مجاهر بالعداوة والأذي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قتل في بدر سنة ٢ هـ انظر: "سيرة ابن هشام" ٩ / ٣١١، ٣٢٠، ٣٢١، ٢ / ٢٨٦، و"جوامع السير" ص ٥٢، ١٤٧ - ١٤٨، و"الكامل" لابن الأثير ٢ / ٤١٤، و"الأعلام" ٨ / ٣٣.

(٤) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٣) ونسبه لابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٠٣) ص: ٤٧٣/١٣ بسند صحيح إلى الحسن بن أبي جعفر ثنا داود بن أبي هند عن الحسن.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لإرساله، وضعف الحسن بن أبي جعفر.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٦) وزاد نسبه لابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٠٧) ص: ٤٧٤/١٣ من طريق أسباط عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط بن نصر.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٦) وزاد نسبه لأبي الشيخ.

(٧) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (/ ٤٦) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَعَلِمُوا
أَنْمَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)﴾ [الأنفال : ٢٧ - ٢٨]

في سبب نزول الآيتين، وجوه:

أحدها: عن جابر: "أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن
أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "إن أبا سفيان في مكان
كذا وكذا؛ فاخرجوا إليه واكتموا"، قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: أن محمداً يريدكم؛
فخذوا حذرکم؛ فأنزل الله - تعالى -: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾^(١). [ضعيف]

والثاني: عن الزهري؛ قوله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾؛ قال: نزلت في أبي لبابة
بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال الزهري: فقال أبو لبابة: والله
لا أدوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام لا يدوق طعاماً ولا شراباً
حتى خرّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل: يا أبا لبابة قد تيب عليك، قال: والله لا أحل نفسي حتى
يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من
توبتي أن أهرج دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي، قال: يجزئك الثلث أن تصدق
به^(٢). [ضعيف]

وعن الكلبي: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا لبابة - رضي الله عنه - إلى
قريظة وكان حليفاً لهم، فأوماً بيده؛ أي: الذبح؛ فأنزل الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لامرأة

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٢) ص: ٤٨٠/١٣: ثنا القاسم بن بشر بن معروف ثنا شبابة بن سوار
ثنا محمد بن المحرم قال: لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال: حدثني جابر (فذكره).

قلنا: محمد هذا لم نجد له ترجمة بعد طول بحث.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤٨ / ٤) وزاد نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣ / ٣١٣): "هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر".

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٣) ص: ٤٨١/١٣-٤٨٢، من طريق سنيد صاحب "التفسير": ثني أبو
سفيان عن معمر عن الزهري به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف؛ كما تقدم مراراً، ثم إن أبا سفيان هذا لم نعرفه.

أبي لبابة: "أصلي ويصوم ويغتسل من الجنابة؟"، فقالت: إنه ليصلي ويصوم ويغتسل من الجنابة ويحب الله ورسوله، فبعث إليه؛ فأتاه فقال: يا رسول الله! والله إنني لأصلي وأصوم وأغتسل من الجنابة، وإنما نهست إلى النساء والصبيان فوقعت لهم، فما زالت في قلبي حتى عرفت أنني خنت الله ورسوله"^(١). [موضوع]

وروي عن لبابة بنت أبي لبابة؛ قالت: "كنت أنا صاحبتة فكان يقول: شدي وثاق عدو الله الذي خان الله ورسوله، فمر به أبو رفاعة بن عبد المنذر فناداه: يا أخي، هلم أكلمك؟ فقال: لا، والله لا أكلمك أبداً، حتى يرضي الله عنك ورسوله، فسأل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: هو في المسجد وأخبروه بخبره، فقال: "لو جاءني؛ لكان لي فيه أمر"؛ فنزلت: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَحُولُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} الآية، ونزلت الآية الأخرى فيه: {وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ} [التوبة: ١٠٦]"^(٢). [ضعيف]

عن عكرمة؛ قال: "لما كان شأن بني قريظة، بعث إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - علياً رضي الله عنه- فيمن كان عنده من الناس انتهى إليهم؛ وقعوا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وجاء جبريل -عليه السلام- إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فرس أبلق، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: فلكأنني أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسح الغبار عن وجه جبريل -عليه السلام-، فقلت: هذا دحية يا رسول الله؟ قال: "هذا جبريل"، فقال: يا رسول الله! ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فكيف لي بحصنهم؟"، فقال جبريل -عليه السلام-: "إنني أدخل فرشي هذا عليهم"، فركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرساً معروراً، فلما رآه علي -رضي الله عنه-، قال: يا رسول الله! لا عليك أن لا تأتيهم؛ فإنهم يشتمونك، فقال: "كلا إنها ستكون تحية"، فأتاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا إخوة القردة

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٨، ٤٩) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: الكلي كذاب، وهو مع ذلك معضل.

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٦ / ٣٤٣٧، ٣٤٣٨ رقم ٧٨٢٨) من طريق بهلول بن مورك -وفي المطبوع: مرزوق، وهو خطأ؛ فليحذر-: ثنا موسى بن عبيدة عن سعيد بن جبير -وفي المطبوع: جبريل!! - مولى أبي لبابة ويعقوب بن زيد عن لبابة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ موسى بن عبيدة ضعيف؛ كما في "التقريب".

وبه أعله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "الإصابة" (٤ / ٣٩٩).

والخنازير!!"؛ فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً. .؟! فقالوا: لا ننزل على حكم محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكننا ننزل على حكم سعد بن معاذ، فنزلوا؛ فحكم فيهم: أن تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بذلك طرقتني الملك سحراً"؛ فنزل فيهم: {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)}؛ نزلت في أبي لبابة - رضي الله عنه-، أشار إلى بني قريظة حين قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، لا تفعلوا؛ فإنه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه"^(١). [ضعيف]

وروي عن عبد الله بن أبي قتادة، يقول: "نزلت: {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)} في أبي لبابة"^(٢). [ضعيف]

والثالث: عن المغيرة بن شعبة؛ قال: "نزلت هذه الآية في قتل عثمان"^(٣). [ضعيف جداً]

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانتهم وخيانة رسوله، وخيانة أمانته وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأي ذلك كان يجب التسليم له بصحته"^(٤).

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٩) ونسبه لابن مردويه.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٤):ص٤٨٢/١٣، وسعيد بن منصور في "سننه" (٢٠٥ / ٥) رقم (٩٨٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٨٤ رقم ٨٩٧٥) من طريق ابن عيينة ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت عبد الله بن أبي قتادة به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٤٨) وزاد نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٥):ص٤٨٢/١٣: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز بن أبان ثنا يونس بن الحارث الطائفي ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ فيه علة:

الأولى: عبد العزيز بن أبان؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

الثانية: يونس بن الحارث الطائفي؛ ضعيف؛ كما في "التقريب".

الثالثة: محمد بن عبد الله هذا لم نعرفه ولم نجد له ترجمة.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨٣/١٣.

قال الحافظ ابن كثير: "والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية"^(١).

٧- {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الْمَاكِرِينَ (٣٠)} [الأنفال: ٣٠]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن المطلب بن أبي وداعة: "أن أبا طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما يأتى به قومك، قال: "يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني"، فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: "ربي"، قال: نعم، الرب ربك فاستوص به خيراً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنا أستوصي به، بل هو يستوصي بي خيراً"؛ فنزلت: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}^(٢). [حسن]

والثاني: عن معاوية بن قرة: "أن قريشاً اجتمعت في بيت، وقالوا: لا يدخل معكم اليوم إلا من هو منكم، فجاء إبليس فقال له: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، وأنا ابن أختكم، فقالوا: ابن أخت القوم منهم، فقال بعضهم: أوثقوه، فقال: أيرضى بنو هاشم بذلك؟ فقال بعضهم: أخرجوه، فقال: يؤويه غيركم، فقال أبو جهل: ليجتمع من كل بني أبي رجل فيقتلوه، فقال إبليس: هذا الأمر الذي قال الفتى؛

(١) تفسير ابن كثير: ٤/١٤.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٦٣): ص ٤٩٢/١٣، ثنا محمد بن إسماعيل البصري ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب.

قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-؛ رجاله ثقات؛ عدا عبد المجيد هذا فيه كلام طويل، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ"، وهو أثبت الناس في ابن جريج، وعن عنة ابن جريج عن عطاء خاصة محمولة على الاتصال.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣١٤ / ٢): "وذكر أبي طالب في هذا غريب جداً، بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمان والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه، والدليل على صحة ما قلنا. " ثم ذكر حديث ابن عباس الواهي الذي ذكرنا آنفاً.

قلنا: حديث المطلب هذا من حيث السند أقوى من حديث ابن عباس جزماً، وإن كان في حديث المطلب بعض النكارة لا نحكم عليه كله؛ تماماً كحديث بحيرة الراهب الذي فيه جملاً مستنكرة ومع ذلك؛ فالمحدثين من أهل العلم صححوه؛ لصحة سنده، وأنكروا بعض ما فيه؛ لمخالفته للصحيح والواقع.

فأنزل الله -تعالى- هذه الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾^(١).

وفي السياق نفسه روي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن نفرأ من قريش من أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه؛ قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم؛ فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل أدخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يؤاتيكم في أموركم بأمره، قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء؛ زهير، والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي، فقال: والله ما هذا لكم رأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجكم من بلادكم، قالوا: فانظروا في غير هذا، قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه؛ فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي؛ ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه، والله لنن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق، والله فانظروا رأياً غير هذا، قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعدما أرى غيره، قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلاماً وسطاً شاباً نهذاً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرن على حرب قريش كلها؛ فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره، قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، قال: فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمره أن لا يبیت في مضجعه الذي كان يبیت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال، يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾ وأنزل في قولهم: تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

(١) ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٤ / ٥٣) ونسبه لعبد بن حميد.

المثون (٣٠) } [الطور: ٣٠]، وكان يسمى ذلك اليوم: يوم الزحمة، للذي اجتمعوا عليه من الرأي
" (١). [ضعيف]

٨- {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)}
[الأنفال: ٣١]

عن سعيد بن جبير؛ قال: "قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر صبراً عقبة بن أبي
معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله؛ قال المقداد:
يا رسول الله! أسيري، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إنه كان يقول في كتاب الله ما
يقول"، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتله، فقال المقداد: أسيري، فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - : "اللهم أغن المقداد من فضلك"، فقال المقداد: هذا الذي أردت، وفيه أنزلت هذه الآية:
{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)}" (٢).
[ضعيف]

(١) أخرجه ابن إسحاق في "المغازي والسير" (٢/ ٩٥) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"
(١٥٩٦٥): ص١٣/٤٩٤-٤٩٥، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (ص ١٥٦، ١٦٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/
١٦٨٦، ١٦٨٧ رقم ٨٩٩٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩) - عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن
عباس.

ومن طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
قلنا: وهذا موضوع، فالكلبي شيخ ابن إسحاق كذاب ونحوه شيخه أبو صالح.
والطريق الأولى لم يصرح ابن إسحاق فيها بالسماع وهو مدلس، ولعله أسقط الكلبي، وفي رواية لأبي نعيم حدثني
من لا أتهم.

وفي رواية أخرى عنده: ثني ابن أبي نجیح عن مجاهد به.
قلنا: وهو وهم ففي الطريق إليه سلمة بن الأبرش وهو صدوق كثير الخطأ، وكذا في الطريق إليه الفضل بن غانم؛
قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بشيء، وضعفه الخطيب؛ كما في "الميزان" (٣/ ٣٥٧).
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥١) وزاد نسبه لابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٩): ص١٣/٥٠٤: ثنا محمد بن بشار بن دار حدثنا محمد بن جعفر غندر
ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، رجاله ثقات.
ثم أخرجه من طريق هشيم نا أبو بشر به.
وهذا إسناد صحيح كالشمس؛ لكنه مرسل.

عن ابن جريج؛ قوله: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا}؛ قال: كان النضر بن الحارث يختلف تاجراً إلى فارس، فيمر بالعباد وهم يقرؤون الإنجيل، ويركعون ويسجدون، فجاء مكة؛ فوجد محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا مثل هذا للذي سمع من العباد؛ فنزلت: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا}، قال: فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقص قولهم إذ قالوا: {اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ} الآية^(١). [ضعيف جداً]

عن السدي؛ قال: كان النضر بن الحارث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة، فيسمع سجع أهلها وكلامهم، فلما قدم مكة سمع كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - والقرآن، فقال: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} يقول: أساجيع أهل الحيرة^(٢). [ضعيف جداً]

٩- {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)} [الأنفال : ٣٢ - ٣٤]

في سبب نزول الآيات [٣٢-٣٤]، وجوه:

أحدها: أنها نزلت في أبي جهل.

عن أنس؛ قال أبو جهل: "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ؛ فنزلت: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٥٤) وزاد نسبه لابن مردويه.

(١) أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٧):ص٥٤/١٣ -: ثني حجاج قال: قال ابن جريج. . (ونكره).

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٨):ص٥٤/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥ / ١٦٨٩ رقم ٩٠٠٢) من طريق أسباط بن نصر عن السدي.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)"}^(١). [صحيح]

عن قتادة؛ قال: ذكر لنا أنها نزلت في أبي جهل بن هشام^(٢).

والثاني: أنها نزلت في النضر بن الحارث.

قال السمعاني: "أكثر المفسرين على أن هذا قول النضر بن الحارث"^(٣).

عن سعيد بن جبيرة؛ قال: "نزلت في النضر بن الحارث"^(٤). [ضعيف]

عن مجاهد في قوله: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ}؛ قال: هو النضر بن الحارث بن

كلدة"^(٥). [ضعيف]

عن السدي؛ قال: "فقال-يعني: النضر بن الحارث-: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ} ما يقول محمد {هُوَ الْحَقُّ

مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، قال الله: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١)

لِلْكَافِرِينَ} [المعارج: ١، ٢]"^(٦). [ضعيف جداً]

عن عطاء؛ قال: قال رجل من بني عبد الدار -يقال له: النضر بن كلدة-: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ انزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}؛ فقال الله: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ

لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)} [ص: ١٦]، وقال: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/٣٠٨، ٣٠٩ رقم ٤٦٤٨، ٤٦٤٩)، ومسلم (٤/٢١٥٤ رقم ٢٧٩٦).

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٥٥) ولم يعزه لمسلم؛ فليستدرك عليه.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/٥٥) ونسبه لعبد بن حميد.

(٣) تفسير السمعاني: ٢٦١/٢.

(٤) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨١): ص ١٣/٥٠٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/١٦٨٩ رقم

٩٠٠١) من طريق هشيم وشعبة كلاهما عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد؛ رجاله ثقات.

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/١٦٩٠ رقم ٩٠٠٨، ٩٠١٣) من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن

رجل عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة الرجل الذي لم يسم.

(٥) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٤): ص ١٣/٥٠٦، من طريقين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٦) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٦): ص ١٣/٥٠٦، من طريق أسباط عنه به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

[الأنعام: ٩٤]، وقال: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ} [المعارج: ١، ٢]؛ قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله^(١). [ضعيف]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت، يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "قد، قد"، فيقولون: لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك، غفرانك؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)}؛ فقال ابن عباس: فيهم أمانان: نبي الله، والاستغفار؛ فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبقي الاستغفار: {وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)}؛ قال: فهذا عذاب الآخرة، قال: وذلك عذاب الدنيا^(٢). [ضعيف]

والرابع: عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس؛ قالوا: "قالت قريش -بعضها لبعض-: محمد أكرم الله من بيننا، {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} الآية، فلما أمسوا؛ ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم؛ فأنزل الله -عزَّ وجلَّ-: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} إلى قولهم: {وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّفُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)}^(٣). [ضعيف جداً]

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٤): ص٥٠٦/١٣، من طريق طلحة بن عمرو القناد عنه به.

قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد..

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٠٠): ص٥١١/١٣-٥١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٦٩١ /٥) رقم ٩٠١٧، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٤٥ /٥) (٤٦، ٤٥) من طريق أبي حذيفة ثنا عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ أبو حذيفة هذا موسى بن مسعود النهدي؛ صدوق سيئ الحفظ، وكان يصحف.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٥ /٤) وزاد نسبه لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

وقد أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨٤٣ /٢) رقم ١١٨٥) من طريق النضر بن محمد اليمامي ثنا عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ويلكم قد قد". فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

وأنت ترى أنه ليس فيه التصريح بسبب النزول؛ وهو الصواب.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٠١): ص٥١٢/١٣: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز عن أبي

معشر عن يزيد به.

١٠- {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)}
[الأنفال : ٣٥]

عن سعيد بن جبير؛ قال: "كانت قريش يعارضون النبي - صلى الله عليه وسلم - في الطواف، يستهزئون به، ويصفرون ويصفقون؛ فنزلت: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)}" (١). [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانوا يطوفون بالبيب عراة؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)}؛ قال: والمكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير، والتصديع: التصفيق، وأنزل فيهم: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ} [الأعراف: ٣٢]" (٢). [ضعيف]

قلنا: وهذا إسناد وإمارة؛ فيه علة:

الأولى: عبد العزيز بن أبان؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

الثانية: أبو معشر نجيب السندي؛ ضعيف، أسن واختلط.

الثالثة: الإرسال.

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٣٥): ص ٥٢٤/١٣: ثنا المثنى ثنا عبد الحميد الحماني ثنا شريك عن سالم الأفتس عن سعيد به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه ثلاث علة:

الأولى: الإرسال.

الثانية: شريك القاضي؛ ضعيف.

الثالثة: الحماني؛ حافظ متهم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦١ / ٤) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٦٩٦ / ٥) رقم (٩٠٤٥)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور"

(٦١ / ٤) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ١١٧، ١١٨ رقم ١١٦) - من طريق جعفر

بن أبي المغيرة القمي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده حسن في الشواهد والمتابعات.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٦١ / ٤) وزاد نسبه لأبي الشيخ.

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون، ووصف الصفق بيده، ويصفرون، ووصف صفرهم، ويضعون خدودهم بالأرض؛ فنزلت هذه الآية"^(١).
[ضعيف]

١١- {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)}
[الأنفال : ٣٨]

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الفتح وقال لهم : ما ظنكم بي وما الذي ترون أني صانع بكم ؟، قالوا : ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : {لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٩٢]، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٢).

١٢- {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)} [الأنفال : ٤٧]

عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: "لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف؛ فأنزل الله: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)}"^(٣). [ضعيف جداً]

١٣- {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)} [الأنفال : ٥٥]

(١) أخرجه الواحدي في "تفسيره" (ص ١٥٨) من طريق قررة عن عطية العوفي عن ابن عمر. قلنا: وسنده ضعيف؛ لضعف عطية وتدليسه.

وقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٢٥)-(١٦٠٢٩):ص٥٢٣/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/١٦٩٥ رقم ٩٠٤٠)، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه؛ كما في "الدر المنثور" (٦٢ /٤) مختصراً ليس فيه ذكر سبب النزول.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣١٨/٢.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦١٨٢):ص٥٨١/١٣: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز ثنا أبو معشر عن محمد به.

قلنا: وهذا سند تالف، وإِ جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر؛ ضعيف، أسن واختلط؛ كما في "التقريب".

الثالثة: عبد العزيز بن أبان؛ متروك، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

قال أبو صالح عن ابن عباس: "نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه"^(١).

١٤- {وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)} [الأنفال : ٥٨]

قال الشافعي رحمه الله:- "نزلت في أهل هدنة، بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - عنهم شيء، استدل به على خيانتهم"^(٢).

قال الطبري: "وقيل: نزلت الآية في قريظة... عن مجاهد: {فانبد إليهم على سواء}، قال: قريظة"^(٣).

١٥- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)} [الأنفال : ٦٤]
في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن سعيد بن جبير قال: "لما أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر، فنزلت: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}"^(٤). وروي عن سعيد بن المسيب نحو ذلك^(٥). وأخرج الطبراني نحوه عن ابن عباس^(٦).

(١) زاد المسير: ٢١٩/٢.

(٢) تفسير الإمام الشافعي: ٨٨٥/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٦/١٤، والخبر أخرجه الطبري (١٦٢٢١) ص: ٢٦/١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩١٣٥) ص: ١٧٢٨/٥.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٢٨/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٦) روي الطبراني (٦٠ / ١٢) (١٢٤٧٠) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أسلم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، وأسلم عمر تمام الأربعين، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}». قال الهيثمي في المجمع (١٠١ / ٧): [رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب].

قال عبدالسلام بن محسن آل عيسى في كتابه: "دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه" (١ / ١٤٣ : ١٤٧): [وكان إسلام عمر رضي الله عنه فيما روي بعد تسعة وثلاثين رجلاً. وقيل: إن إسلامه كان بعد أربعين رجلاً. وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلاً. وأمّا عدد النساء اللاتي سبقن عمر بالإسلام فقيل إنهن إحدى عشرة امرأة. وقيل إحدى وعشرين. وهذه الروايات لا تخلو من ضعف كما هو مبين في الهامش، ولكنها متقاربة في تحديد العدد، فالرواية الأولى حددت عدد الرجال السابقين لعمر بالإسلام بتسعة وثلاثين، والثانية حددتهم بأربعين، والثالثة بخمسة وأربعين، وهذا فارق غير معتبر إذ إنّ زيادة العدد، أو نقصه بواحد، أو

والثاني: عن محمد بن إسحاق عن الزهري في قول الله: "حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" قال: يقال: نزلت في الأنصار^(١).

١٦- {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)
فُكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)} [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]
سبب نزول الآيات: [٦٧ إلى ٦٩]:

عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : "لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ، لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم! وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا. قال : فقال له العباس : فُطِعَتْ رَحْمُكَ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبههم ، ثم دخل. فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس : يأخذ بقول عمر. وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إِنَّ اللَّهَ لِيلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَلِينٌ مِنَ اللَّبَنِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشْدُدُ قُلُوبَ رِجَالٍ حَتَّى تَكُونَ أَشَدُّ مِنَ الْحِجَارَةِ! وَإِنْ مَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة أمر معتاد في الإحصاء حيث إن بعض المسلمين كان يخفي إسلامه فيعلم به البعض، ويخفي على البعض.

وعلى أي حال فإن إسلام عمر - رضي الله عنه - كان في السنة السادسة، أو السابعة كما تقدم ذلك. إلا أن تحديد عدد من أسلم من الرجال بأربعين، أو نحوها، والنساء بعشرة، أو عشرين فيه نظر، فإن ابن إسحاق رحمه الله ذكر أن عدد المهاجرين إلى الحبشة الثانية كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. ونقل ابن حجر عن ابن جرير الطبري أن نساءهم، وأبناءهم كانوا معهم، فقال: وقيل: إن عدة نساءهم ثمان عشرة امرأة. وقد ذكر ابن إسحاق أن إسلام عمر رضي الله عنه كان بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة. لذلك قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية للحبشة: "وهذا يرد قول من زعم أنه (أي: إسلام عمر) كان تمام أربعين من المسلمين، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين". ولعل مما يؤيد كلام ابن كثير - رحمه الله - قول ابن إسحاق رحمه الله بعد ذكره لأسماء المهاجرين إلى الحبشة وهم ثلاثة وثمانون رجلاً. ثم ذكر إسلام عمر - رضي الله عنه - فقال: "وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحبشة".

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٦):ص١٧٢٨/٥.

رَحِيمٌ { [سورة إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ} ، الآية [سورة المائدة : ١١٨] ، ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : { رَبِّ لَا تَذَرُ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } [سورة نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى قال : { رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } [سورة يونس : ٨٨]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة ، فلا ينفلتن أحدٌ منهم إلا بفداء أو ضرب عنق. قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء ، فإني سمعته يذكر الإسلام! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليَّ الحجارة من السماء ، مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء. قال : فأنزل الله : {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} ، إلى آخر الثلاث الآيات^(١).

عن عبد الله بن عباس قال : "لما أسروا الأسارى ، يعني يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبو بكر وعمر وعلي ؟ قال : ما ترون في الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال : لا والذي لا إله إلا هو ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، يا نبي الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكنني من فلان - نسيبٍ لعمر - فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوا ما قلت. قال عمر : فلما كان من الغد ، جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء ، ولقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة! لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}، إلى قوله : {حلالا طيبا} ، وأحل الله الغنيمة لهم"^(٢).

(١) أخرجه الطبري(١٦٢٩٣):٦١/١٤-٦٢.

(٢) أخرجه الطبري(١٦٢٩٤):ص٦٢/١٤، وأخرجه مسلم (٣/١٣٨٣ - ح: ١٧٦٣) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٠٢/١٤ - ح: ٢٩٢) وابن جرير (٣١/١٠) والبيهقي في "الدلائل" (٣/١٣٧) وأبو نعيم في "الدلائل" (١٧١/٢)، والواحدي في اسباب النزول: ٢٤٠ من طريق سماك الحنفي به.

١٧- {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)} [الأنفال : ٦٩]

قال البغوي والسمعاني: "روي أنه لما نزلت الآية الأولى، كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزل: {فكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ}"^(١).

١٨- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)} [الأنفال : ٧٠]

قال العباس: "في نزلت: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا، كلهم تاجر، مالي في يديه"^(٢).

وعن ابن عباس: "{يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى}، عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أما بما جئت به، ونشهد إنك لرسول الله، لننصحن لك على قومنا. فنزل: {إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم}، إيمانًا وتصديقًا، يخلف لكم خيرًا مما أصيب منكم {ويغفر لكم}، الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا، لقد قال: {يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم}، فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مئة ضعف، وقال: {ويغفر لكم}، وأرجو أن يكون قد غُفِرَ لي"^(٣).

وعن الضحاك في قوله: "{يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى} الآية، يعني: العباس وأصحابه، أسروا يوم بدر. يقول الله: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي، أعطيتكم خيرًا مما أخذ منكم وغفرت لكم. وكان العباس بن عبد المطلب يقول: لقد أعطانا الله خصلتين، ما شيء هو أفضل منهما: عشرين عبدًا. وأما الثانية: فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه"^(٤).

ونقل الواحدي عن الكلبي، قال: "نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب وكان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى

(١) تفسير البغوي: ٣/٣٧٧، وتفسير السمعاني: ٢/٢٨١. واللفظ للبغوي.

(٢) أخرجه الطبري (١٦٣٢١): ص ١٤/٧٣.

(٣) أخرجه الطبري (١٦٣٢٦): ص ١٤/٧٤.

(٤) أخرجه الطبري (١٦٣٢٧): ص ١٤/٧٥.

أسر، فأخذت منه وأخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه، قال: فكلمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني فداء، فأبى علي وقال: "أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا"، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة، فقلت له: تركتني والله أسأل قريشا بكفي والناس ما بقيت، قال: "فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل قبل مخرجك إلى بدر وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم"؟ قال: قلت: وما يدريك؟ قال: "أخبرني الله بذلك"، قال: أشهد إنك لصادق وإني قد دفعت إليها ذهبا ولم يطلع عليها أحد إلا الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، قال العباس: فأعطاني الله خيرا مما أخذ مني، كما قال: عشرين عبدا كلهم يضرب بمال كثير مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي"^(١).

١٩- {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)}

[الأنفال : ٧٣]

عن أبي مالك قال: "قال رجل : نورث أرحامنا من المشركين! فنزلت : {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض}، الآية"^(٢).

عن ابن عباس قوله : "{والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} ، نزلت في مواريث مشركي أهل العهد"^(٣).

٢٠- {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)}

[الأنفال : ٧٥]

عن الزبير بن العوام قال: "أنزل الله فينا خاصة معشر قريش والأنصار {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، قال: وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وأورثناهم، فأخى أبو بكر خارجة بن زيد، وأخى عمر فلانا وأخى عثمان بن عفان رجلا من بني زريق بن سعد الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير: وواخيت أنا كعب بن مالك، وأورثونا وأورثناهم، فلما كان يوم أحد قيل لي: قد قتل أخوك كعب بن

(١) أسباب النزول: ٢٤١-٢٤٢.

(٢) أخرجه الطبري(١٦٣٤٣):ص٨٤/١٤.

(٣) أخرجه الطبري(١٦٣٤٤):ص٨٤/١٤.

مالك، فجننته فانتقلتته، فوجدت السلاح قد ثقله فيما نرى، فو الله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى موارثنا^(١).
عن عيسى بن الحارث: "أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِيَّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زُوِّجت ، فولدت غلامًا ، ثم ماتت السُرِيَّة ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث في كتاب الله! قال : فقضى شريح بالميراث للغلام. قال : {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، فأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن الزبير إلى شريح : إن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا، وقلت: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية : أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول : «ترثني وأرثك»، فنزلت: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}. فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح: أعتقها حيتان بطنها!، وأبى أن يرجع عن قضائه"^(٢). وفي رواية أخرى : "كان الرجل يعاقد الرجل يقول : «ترثني وأرثك»، فلما نزلت ترك ذلك"^(٣).

عن ابن عباس" وقيل له أن ابن مسعود لا يورث الموالي دون ذوي الأرحام، ويقول: إن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، فقال ابن عباس: هيهات هيهات أين ذهب؟ إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب فنزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله يعني: أنه يورث المولى"^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٦):ص١٧٤٢/٥-١٧٤٣.

(٢) أخرجه الطبري(١٦٣٥٤):ص٩٠/١٤-٩١.

(٣) أخرجه الطبري(١٦٣٥٥):ص٩١/١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٩):ص١٧٤٣/٥.

سورة «التوبة»

١- {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)} [التوبة : ١]

قال ابن عباس: "نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول" (١).

٢- {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)} [التوبة : ١٧]

قال الواحدي: "قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بكفروه بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ علي له القول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون، محاسننا، فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني؛ فأنزل الله - عز وجل - ردا على العباس: {ما كان للمشركين أن يعمروا} الآية" (٢).

٣- {أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنْ يَسْتَوْوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)} [التوبة : ١٩ - ٢٠]

في سبب نزول الآيتان [١٩-٢٠]، أقوال:

أحدها: عن النعمان بن بشير قال: "كنت عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يوم الجمعة - ولكني إذا صليت دخلت فاستفتيت

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٤٣. بدون إسناد.

(٢) أسباب النزول: ٢٤٣. ذكره بدون إسناد.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما اختلفتم فيه، ففعل. فأنزل الله تعالى: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام} إلى قوله تعالى: {والله لا يهدي القوم الظالمين} (١).
والثاني: قال ابن عباس: "قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونسقي الحاج، ونفك العاني! قال الله: {أجعلتم سقاية الحاج}، إلى قوله: {الظالمين}، يعني: أن ذلك كان في الشرك، ولا أقبل ما كان في الشرك" (٢).

وروي عن الضحاك: "أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنا نعلم المسجد الحرام، ونفك العاني، ونحجب البيت، ونسقي الحاج! فأنزل الله: {أجعلتم سقاية الحاج}، الآية" (٣).

والثالث: وقال ابن سيرين ومرة الهمداني: "قال علي للعباس: ألا تهاجر؟ ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: ألسنت في شيء أفضل من الهجرة؟ ألسنت أسقي حاج بيت الله وأعلم المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا} (٤) (٥).

والرابع: وقال الحسن (٦) والشعبي (١)، ومحمد بن كعب القرظي (٢): "نزلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبعة، وذلك أنهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٩/٣ - ح: ١٨٧٩) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٥٩/١٨ - ح: ٢٩٣)، والطبري (١٦٥٥٧): ص ١٦٩/١٤، وأبو داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه (فتح القدير: ٣٤٥/٢) وكما في الدر المنثور: ٢١٨/٣، والطبراني في "الأوسط" (٢٦٦/١ - ح: ٤٢٣) عن النعمان به، وأخرجه الواحد في أسباب النزول: ٢٤٣. واللفظ له.

ويشهد له: ما أخرجه عبد الرزاق (تفسير ابن كثير: ٣٤٢/٢) وابن جرير (٦٧/١٠) من وجه آخر عن النعمان به، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه الطبري (١٦٥٥٨): ص ١٦٩/١٤-١٧٠ وابن المنذر وابن أبي حاتم (فتح القدير: ٣٤٦/٢) من طريق الوالبي - وهو علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس رضي الله عنهما به، والواحد في أسباب النزول: ٢٤٤. وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبري (١٦٥٦٦): ص ١٧٢/١٤.

(٤) [التوبة: ٢٠].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٢): ص ١٧٦٩/٦، وذكره الواحد في أسباب النزول: ٢٤٤-٢٤٥. [مرسل]

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٦٥٦١): ص ١٧١/١٤. ولفظه: "نزلت في علي، وعباس، وعثمان، وشيبعة، تكلموا في ذلك، فقال العباس: ما أراني إلا تارك سقائتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقيموا على سقائتكم، فإن لكم

وإلي ثياب بيته، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣).

وعن السدي: "افتخر علي، وعباس، وشيبة بن عثمان، فقال للعباس: أنا أفضلكم، أنا أسقي حُجَّاج بيت الله! وقال شيبة: أنا أعمُرُ مسجد الله! وقال علي: أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجاهد معه في سبيل الله! فأنزل الله: {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، إلى: {نعيم مقيم}}"^(٤).

٤- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)}
[التوبة: ٢٣ - ٢٤]

في سبب نزول الآيات: [٢٣-٢٤]، وجوه:

أحدها: عن مجاهد، قوله: "سقاية الحاج"، أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا أحجب الكعبة، فلا نهاجر، فأنزلت: {لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان}^(٥).

والثاني: نقل الواحدي عن الكلبي: "لما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامراته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده، فيقولون: ناشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع،

فيها خيراً".

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٥٦٢): ص ١٤/١٧١. ولفظه: "نزلت في علي، والعباس، تكلما في ذلك".

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦٥٦٢): ص ١٤/١٧١. ولفظه: "افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت، معي مفتاحه، لو أشاء بتُّ فيه! وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد! وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد! فأنزل الله: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، الآية كلها".

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٤٤. [مرسل]

(٤) أخرجه الطبري (١٦٥٦٥): ص ١٤/١٧٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٨): ص ٦/١٧٧٠.

فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزل قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم﴾ الآية. ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم﴾ إلى قوله: ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ يعني: القتال وفتح مكة^(١).

وفي السياق نفسه نقل البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: قال: "لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده، يقولون: ننشدك بالله أن لا تضيعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"^(٢).

والثالث: وقال مقاتل: "نزلت في السبعة الذين ارتدوا عن الإسلام فلحقوا بمكة من المدينة فنهى الله عن ولايتهم فقال: ﴿ومن يتولهم منكم﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فأولئك هم الظالمون﴾"^(٣).

٥- ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلما يقرَّبوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خِفْتُمْ عيلةً فسوف يُغنيكم الله من فضله إن شاء إنَّ اللهَ عليمٌ حكيمٌ﴾ [التوبة : ٢٨]

قال ابن عباس: "كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون به، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت قال المسلمون: فيمن أين لنا الطعام؟ قال: فأنزل الله عز وجل ﴿وإن خِفْتُمْ عيلةً فسوف يُغنيكم الله من فضله إن شاء﴾، قال: فأنزل الله عليهم المطر وكثر خيرهم حين ذهب المشركون عنهم"^(٤).

٦- ﴿وقالت اليهودُ عزيزُ ابنُ اللهِ وقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ اللهِ ذلكَ قولُهُمُ بأفواهُمُ يضاهونَ قولَ الذينَ كفروا مِن قَبْلُ قاتلَهُمُ اللهُ أنى يُؤفكونَ﴾ [التوبة : ٣٠]

عن ابن عباس قال: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامٌ بن مشكم، ونعمانُ بن أوفى، وشأسُ بن قيس، ومالك بن الصَّيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبَلتنا، وأنت لا تزعم أنَّ عزيزاً ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وقالت اليهودُ عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾، إلى: ﴿أنى يؤفكون﴾"^(٥).

(١) أسباب النزول: ٢٤٥.

(٢) تفسير البغوي: ٢٤/٤. وعزاه ابن حجر للثعلبي من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. انظر: الكافي الشاف ص (٧٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٤/٢، وعزاه ابن حجر للثعلبي، انظر: الكافي الشاف ص (٧٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٢٠): ص ١٧٧٧/٦.

(٥) أخرجه الطبري (١٦٦٢٠): ص ٢٠٢/١٤.

٧- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)}
[التوبة : ٣٤]

قال الواحدي: "نزلت في العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشاء من سفلتهم، وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من عوامهم"^(١).

٨- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)} [التوبة : ٣٨]

قال الواحدي: "نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من الناس وجذب من البلاد وشدة من الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار، فعظم على الناس غزوة الروم وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشق عليهم الخروج إلى القتال، فلما علم الله تناقل الناس أنزل هذه الآية"^(٢).

٩- {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)} [التوبة : ٤١]

عن مجاهد قوله: "يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اتقلتم إلى الأرض"، الآية، قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف. أمرهم بالتفكير في الصيف، حين أخرفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقَّ عليهم المخرج. قال: فقالوا: الثقيل، ذو الحاجة، والضئعة، والشغل، والمنتشر به أمره في ذلك كله. فأنزل الله: {انفروا خفافا و ثقالا}، [سورة التوبة: ٤١]"^(٣).

وروي المعتمر، عن أبيه قال: "زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلاً أو كبيراً، فيقول: إن أجتنبه إباءً، فإني أثم! فأنزل الله: {انفروا خفافاً و ثقالا}"^(٤).

(١) أسباب النزول: ٢٤٥.

(٢) أسباب النزول: ٢٤٦.

(٣) أخرجه الطبري (١٦٧٢٠): ص ٢٥٣/١٤.

(٤) أخرجه الطبري (١٦٧٥٣): ص ٢٦٦/١٤-٢٦٧.

وقال السدي: "جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عظيماً سمينا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت فيه: {انفروا خفافاً وثقالاً}"^(١).

١٠- {عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣)} [التوبة: ٤٣] عن عمرو بن ميمون الأودي قال: "اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى، فأنزل الله: {عفا الله عنك لم أذنت لهم، الآية}"^(٢).

١١- {لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨)} [التوبة: ٤٨]

أخرج الطبري عن الحسن قوله: "{وقلبوا لك الأمور}"، قال: منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن رافع، وزيد بن النابتوت القيناعي"^(٣). قال الطبري: "وفيهم، فيما حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن البصري، أنزل الله: {لقد ابتغوا الفتنة من قبل}، الآية"^(٤).

١٢- {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني أنا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩)} [التوبة: ٤٩]

عن محمد بن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه، للجد بن قيس أخي بني سلمة: هل لك يا جدُّ العام في جلال بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشدَّ عُجْبًا بالنساء مئياً، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن! فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية: {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني}، الآية، أي: إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه، أعظم"^(٥).

(١) مرسل، حكاه الواحدي عنه في أسباب النزول: ٢٤٧، وعزاه في الدر (٣/ ٢٤٦) لابن حاتم وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الطبري (١٦٧٦٥): ص ١٤/٢٧٣.

(٣) أخرجه الطبري (١٦٧٨٣): ص ١٤/٢٨٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٦/١٤، قطعة من الخبر (١٦٧٨٤): ص ١٤/٢٨٤-٢٨٦.

(٥) أخرجه الطبري (١٦٧٨٨): ص ١٤/٢٨٧.

١٣- {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)} [التوبة : ٥٣]

قال ابن عباس : "قال: الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفنتن ، ولكن أعينك بمالي! قال : ففيه نزلت: {أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم}، قال : لقوله: «أعينك بمالي»" (١).

١٤- {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ (٥٨)} [التوبة : ٥٨]

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: روى الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال : " بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، قال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله انذن لي فيه فأضرب عنقه فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود في إحدى يديه أو قال إحدى ثدييه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدرر يخرجون على حين فترة من الناس. فنزلت فيهم {ومنهم من يلمزك في الصدقات} الآية. قال أبو سعيد: أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشهد أن علياً حين قتلهم وأنا معهم جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " (٢).

والثاني: ونقل الواحدى عن الكلبي، قال: "نزلت في المؤلفلة قلوبهم وهم المنافقون، قال رجل منهم يقال له أبو الجواظ للنبي - صلى الله عليه وسلم - لم تقسم بالسوية، فأنزل الله تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات} " (٣).

والثالث: وقال الماوردي: "أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، كان يقول : إنما يعطي محمد من يشاء ويتكلم بالنفاق فإن أعطي رضي وإن منع سخط ، فنزلت فيه الآية" (١).

(١) أخرجه الطبري(١٦٨٠٣):ص٢٩٤/١٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٤٦/١٠) ، وابن أبى شيبة (٥٦٢/٧) ، رقم (٣٧٩٣٢)، والطبري(١٦٨١٧):ص٣٠٢/١٤-٣٠٣، وانظر: [كنز العمال ٣١٥٨٩].

(٣) اسباب النزول: ٢٤٩. والكلبي ضعيف، وما ذكره مر في الحديث السابق.

١٥- {وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلُوبِنَا خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)} [التوبة : ٦١]

عن ابن إسحاق قال: "ذكر الله غشهم، يعني : المنافقين وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : {ومنهم الذين يؤدون النبي ويقولون هو أذن}، الآية. وكان الذي يقول تلك المقالة ، فيما بلغني ، نبتل بن الحارث ، أخو بني عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه قال : «إنما محمد أذن! من حدّته شيئاً صدّقه!» ، يقول الله : {قل أذن خير لكم}، أي : يسمع الخير ويصدّق به"^(١).
وقال الكلبي : "نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يعيبون النبي -صلى الله عليه وسلم- ويقولون فيه ما لا يجوز ، فنزلت هذه الآية فيهم"^(٢).

١٦- {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)} [التوبة : ٦٢]

عن قتادة قوله : " {يحلّفون بالله لكم ليرضوكم} ، الآية ، ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقاً ، لهم شرٌّ من الحمير! قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد حق ، ولأنت شر من الحمار ! فسعى بها الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال له : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتعن ، ويحلف بالله ما قال ذلك. قال : وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدّق الصادق ، وكذب الكاذب ! فأنزل الله في ذلك : {يحلّفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين}"^(٤).

١٧- {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَأُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤)} [التوبة : ٦٤]

قال الطبري: " قيل : إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين ،

(١) النكت والعيون: ٣٧٣/٢.

(٢) أخرجه الطبري(١٦٨٩٩):ص٤١٤/٣٢٥.

(٣) النكت والعيون: ٣٧٧/٢.

(٤) أخرجه الطبري(١٦٩٠٦):ص٤١٤/٣٢٩-٣٣٠.

قالوا : " لعل الله لا يفشي سِرَّنَا! " ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل لهم : {استهزءوا} ، متهدداً لهم متوعداً : {إن الله مخرج ما تحذرون} (١). وروي عن مجاهد نحو هذا المعنى (٢).

١٨- {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة : ٦٥]

عن عبد الله بن عمر قال : "قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس : كذبت ، ولكنك منافق ! لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيت متعلقاً بحَقَبِ ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة ، وهو يقول : " يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب! " ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} (٣).

وعن قتادة قوله : "ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب}، الآية ، قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوته إلى تبوك ، وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا : " يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها! هيهات هيهات " ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : " احبسوا عليَّ الركب ! فأتاهم فقال : قلتم كذا ، قلتم كذا. قالوا : " يا نبي الله ، إنما كنا نخوض ونلعب " ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون" (٤).

١٩- {لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [التوبة : ٦٦]

عن معمر قال: "قال بعضهم : كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث، يسير بجانبهم، فنزلت : {إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة}، فسُمِّي " طائفة " وهو واحد" (٥).

٢٠- {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [التوبة : ٧٤]

(١) تفسير الطبري: ٣٣١/١٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري ((١٦٩٠٧)، و(١٦٩٠٨):ص٣٣٢-٣٣١/١٤.

(٣) أخرجه الطبري(١٦٩١٢):ص٣٣٤-٣٣٣/١٤.

(٤) أخرجه الطبري(١٦٩١٤):ص٣٣٤/١٤.

(٥) أخرجه الطبري(١٦٩٢٢):ص٣٣٧/١٤.

سبب النزول:

أ-في سبب نزول قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا} [التوبة : ٧٤] ، أقوال:

أحدها : أنها نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت ، قال : إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن شر من الحمير ، ثم حلف أنه ما قال ، وهذا قول عروة^(١) ، وابن إسحاق^(٢).

عن عروة: " {يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر} ، قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: "إن كان ما جاء به محمد حقاً، لنحن أشرُّ من الحُمُر!" ، فقال له ابن امرأته: والله، يا عدو الله، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبي قارعة، وأؤاخذ بخطيئتكَ! فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس، فقال: "يا جُلاس، أقلت كذا وكذا؟ فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: {يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نَقَموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}"^(٣).
والثاني : أنه عبد الله بن أبي بن سلول . قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قاله قتادة^(٤).

عن قتادة قوله : " {يحلِفون بالله ما قالوا} ، إلى قوله : {من وليّ ولا نصير} ، قال : ذكر لنا أنّ رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة ، والآخر من غفار ، وكانت جهينة حلفاء ، الأنصار ، وظهر الغفاريّ على الجهنيّ ، فقال عبد الله بن أبيّ للأوس : انصروا أخاكم ، فوالله ما مثلنا ومثّل محمد إلا كما قال القائل : " سمّن كلبك يأكلك " ، وقال : {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل} [سورة المنافقون : ٨] ، فسعى بها رجل من المسلمين إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {يحلِفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر}"^(٥).

والثالث : أنهم جماعة من المنافقين قالوا ذلك ، قاله الحسن^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٧):ص٣٦١/١٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٦٩):ص٣٦٢/١٤-٣٦٣.

(٣) أخرجه الطبري(١٦٩٦٧):ص٣٦١/١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٤)، (١٦٩٧٥):ص٣٦٤/١٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٤):ص٣٦٤/١٤.

(٦) انظر: النكت والعيون:٣٨٣/٢.

وروي عن ابن عباس قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظلّ شجرة ، فقال : إنه سيأتيكم إنسانٌ فينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه. فلم يلبث أن طلع رجل أزرقُ ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : علامَ تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا ، حتى تجاوزَ عنهم ، فأنزل الله : (يحلفون بالله ما قالوا) ، ثم نعتهم جميعاً ، إلى آخر الآية"^(١).

وروي عن مجاهد^(٢)، أنها نزلت في رجل دون تحديد الاسم.

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كُفّر تكلموا بها أنهم لم يقولوها. وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة : أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول ، والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال، ولا علم لنا بأيّ ذلك من أيّ ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويُتوصّل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم)"^(٣).

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا} [التوبة : ٧٤]:

قال الضحاك: "هموا أن يدفعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة العقبة وكانوا قوماً قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم معه، يلتمسون غرته حتى أخذ في عقبة، فتقدم بعضهم وتأخر بعضهم وذلك كان ليلاً قالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حذيفة فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل، فالتفت فإذا هو بقوم مثلثمين، فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله؛ فأمسكوا، ومضى النبي عليه الصلاة والسلام حتى نزل منزله الذي أراد، فأنزل الله تعالى قوله: {وَهُمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا}"^(٤).

ت-سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ} [التوبة : ٧٤]:

قال عكرمة: "قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفاً في مولى لبني عدي بن كعب ، وفيه أنزلت هذه الآية : {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}"^(٥).

(١) أخرجه الطبري(١٦٩٧٣):ص٣٦٣/١٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٧٠):ص٣٦٣/١٤.

(٣) تفسير الطبري:٣٦٣-٣٦٤.

(٤) أسباب النزول للواحي:٢٥١-٢٥٢.

(٥) أخرجه الطبري(١٦٩٨٠):ص٣٦٦-٣٦٧.

عن عمرو قال: "سمعت عكرمة: أن مولى لبني عدي بن كعب قتل رجلا من الأنصار، ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا، وفيه أنزلت: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، قال عمرو: لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من عكرمة، يعني: الدية اثني عشر ألفاً"^(١).

وروي عن ابن عباس: "أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفاً. فذلك قوله: {وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله}، قال: بأخذ الدية"^(٢).

٢١- {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لِنِائَاتِنَا مِنْ فَضْلِهِ لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦)} [التوبة: ٧٥ - ٧٦]

في سبب نزول الآيتين [٧٦-٧٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن هذه الآية والتي بعدها نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري. وفي سبب نزولها قولان: القول الأول: أنه كان له مال بالشام خاف هلاكه فنذر أن يتصدق منه، فلما قدم عليه بخل به، قاله الكلبي^(٣).

وروي عن ابن عباس قوله: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله)، الآية، وذلك أن رجلا يقال له: "ثعلبة بن حاطب"، من الأنصار، أتى مجلساً فأشهدهم فقال: لئن آتاني الله من فضله، آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه، ووصلت منه القرابة! فابتلاه الله فاتاه من فضله، فأخلف الله ما وعده، وأغضب الله بما أخلف ما وعده. فقص الله شأنه في القرآن: {ومنهم من عاهد الله، الآية، إلى قوله: {يكذبون}}"^(٤).

عن أبي أمامة الباهلي: "عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يرزقني مالا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدِّي شكره، خير من كثير لا تطيقه! قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله، فالذي نفسي بيده، لو شئتُ أن تسيرَ معي الجبال ذهباً وفضة لسارت! قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الطبري (١٦٩٨٢):ص٣٦٧/١٤.

(٢) أخرجه الطبري (١٦٩٨٣):ص٣٦٧/١٤.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٨٤/٢.

(٤) أخرجه الطبري (١٦٩٨٦):ص٣٧٠/١٤.

: اللهم ارزق ثعلبه مالاً! قال : فاتخذ غنماً ، فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، ففتحني عنها ، فنزل وادياً من أوديتها ، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ما سواهما . ثم نمت وكثرت ، ففتحني حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة . فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة! فأخبروه بأمره ، فقال : يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبه ! يا ويح ثعلبة! قال : وأنزل الله : {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [سورة التوبة : ١٠٣] الآية ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين ، على الصدقة ، رجلاً من جهينة ، ورجلاً من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : مرّاً بثعلبة ، وبفلان ، رجل من بني سليم ، فحذا صدقاتهما ! فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أخت الجزية! ما أدري ما هذا ! انطلقا حتى تفرغاً ثم عودا إليّ . فانطلقا ، وسمع بهما السلمي ، فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهم بها . فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . قال : بلى ، فخذوه ، فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي لي! فأخذوها منه . فلما فرغا من صدقاتهما رجعا ، حتى مرّاً بثعلبة ، فقال : أروني كتابكما ! فنظر فيه ، فقال : ما هذه إلا أخت الجزية! انطلقا حتى أرى رأيي . فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهما قال : يا ويح ثعلبة ! قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة ، والذي صنع السلمي ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين}، إلى قوله : {وبما كانوا يكذبون}، وعند رسول الله رجلاً من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا وكذا ! فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته . فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ! فجعل يحثي على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعني! فلما أبى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منزله ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئاً . ثم أتى أبا بكر حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي ! فقال أبو بكر : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها! فقبض أبو بكر ، ولم يقبضها . فلما ولي عمر ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي ! فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه

وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ! فقبض ولم يقبلها ، ثم ولي عثمان رحمة الله عليه ، فاتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك ! فلم يقبلها منه. وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه^(١). والقول الثاني : أن مولى لعمر قتل رجلاً لثعلبة فوعد إن أوصل الله الدية إليه أخرج حق الله تعالى منها ، فلما وصلت إليه بخل بحق الله تعالى أن يخرج ، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: أنها نزلت في رجلين : أحدهما ثعلبة ، والآخر معتب بن قشير. وهذا قول الحسن^(٣). عن الحسن : " {ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله} الآية ، وكان الذي عاهد الله منهم : ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بني عمرو بن عوف"^(٤).

وروي عن مجاهد في قول الله : " {ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله} ، قال رجلان خرجا على ملاء فعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن ! فلما رزقهم بخلوا به"^(٥). والثالث: أنها نزلت صنف من المنافقين. وهذا قول ابن زيد^(٦).

قال ابن زيد في قوله : " {ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله} الآية ، قال : هؤلاء صنف من المنافقين ، فلما آتاهم ذلك بخلوا به ، فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقاً إلى يوم يلقونه ، ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو ، كما أصاب إبليس حين منعه التوبة"^(٧).

٢٢- {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)}

[التوبة : ٧٩ - ٨٠]

سبب نزول الآيتين [٧٩-٨٠]:

(١) أخرجه الطبري(١٦٩٨٧):ص١٤/٣٧٠-٣٧١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٨٤/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٩٠):ص١٤/٣٧٤-٣٧٥.

(٤) أخرجه الطبري(١٦٩٩٠):ص١٤/٣٧٤-٣٧٥.

(٥) أخرجه الطبري(١٦٩٩١):ص١٤/٣٧٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٩٤):ص١٤/٣٧٥.

(٧) أخرجه الطبري(١٦٩٩٤):ص١٤/٣٧٥.

عن ابن عباس قوله: «{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الناس يوماً فنادى فيهم: أن أجمعوا صدقاتكم! فجمع الناس صدقاتهم. ثم جاء رجل من آخرهم بمنّ من تمر، فقال: يا رسول الله، هذا صاع من تمر، بتُّ ليلتي أجرُّ بالجرير الماء، حتى نلت صاعين من تمر، فأمسكت أحدهما، وأتيتك بالآخر. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات. فسخر منه رجال وقالوا: والله إن الله ورسوله لغنيان عن هذا! وما يصنعان بصاعك من شيء! ثم إن عبد الرحمن بن عوف، رجل من قریش من بني زهرة، قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات؟ فقال: لا! فقال عبد الرحمن بن عوف: إن عندي مئة أوقية من ذهب في الصدقات. فقال له عمر بن الخطاب: أمجنون أنت؟ فقال: ليس بي جنون! فقال: فعلمنا ما قلت؟ قال: نعم! مالي ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي، وأما أربعة آلاف فلي! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت! وكره المنافقون فقالوا: "والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياءً! وهم كاذبون، إنما كان به متطوعاً. فأنزل الله عزره وعذره صاحب المسكين الذي جاء بالصاع من التمر، فقال الله في كتابه: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، الآية»^(١).

عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال: "جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف، جئتك بأربعة آلاف، فأجعلها في سبيل الله، وأمسكت أربعة آلاف لعيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت! وجاء رجل آخر فقال: يا رسول الله، بتُّ الليلة أجرُّ الماء على صاعين، فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به، أجعله في سبيل الله، فقال: بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت! فقال ناس من المنافقين: والله ما أعطى عبد الرحمن إلا رياءً وسمعة، ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان! فأنزل الله: {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، يعني عبد الرحمن بن عوف: {والذين لا يجدون إلا جهدهم}، يعني صاحب الصاع {فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}"^(٢).

(١) أخرجه الطبري(١٧٠٠٤):ص٣٨٣/١٤.

(٢) أخرجه الطبري(١٧٠١٧):ص٣٩١/١٤.

عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه قال : "بتُّ أجرُ الجريز على ظهري على صاعين من تمر فانقلبْتُ بأحدهما إلى أهلي يتبَلَّغون به ، وجئتُ بالآخر أتقرَّبُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : انثره في الصدقة. فسخر المنافقون منه. وقالوا : لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا المسكين! فأنزل الله : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، الآيتين"^(١).

عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثًا. قال : فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، إن عندي أربعة آلاف ، ألفين أقرضهما الله ، وألفين لعيالي. قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت ! فقال رجل من الأنصار : وإن عندي صاعين من تمر ، صاعًا لربي ، وصاعًا لعيالي ! قال : فلمز المنافقون وقالوا : ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياءً ! وقالوا : أو لم يكن الله غنيًّا عن صاع هذا ! فأنزل الله : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين}، إلى آخر الآية"^(٢).

عن الربيع بن أنس في قوله : "{الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات}، قال : أصاب الناس جهْدٌ شديد ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدَّقوا ، فجاء عبد الرحمن بأربعمائة أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك له فيما أمسك. فقال المنافقون : ما فعل عبد الرحمن هذا إلا رياء وسمعة ! قال : وجاء رجل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله أجرت نفسي بصاعين ، فانطلقت بصاع منهما إلى أهلي ، وجئت بصاع من تمر. فقال المنافقون : إن الله غنيٌّ عن صاع هذا ! فأنزل الله هذه الآية : {والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}"^(٣).

عن أبي مسعود قال : "لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، قال أبو النعمان : كنا نعمل قال : فجاء رجل فتصدق بشيء كثير. قال : وجاء رجل فتصدق بصاع تمر ، فقالوا : إن الله لغنيٌّ عن

(١) أخرجه الطبري(١٧٠١٤):ص٣٨٨/١٤-٣٨٩.

(٢) أخرجه الطبري(١٧٠١٠):ص٣٨٦/١٤.

(٣) أخرجه الطبري(١٧٠١١):ص٣٨٦/١٤-٣٨٧.

صاح هذا ! فنزلت : {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم} (١).

٢٣- {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)} [التوبة : ٨٠]

عن عروة : "أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لأصحابه : لولا أنكم تُنْفِقُونَ على محمد وأصحابه لانْفَضُوا من حوله! وهو القائل : {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ} [سورة المنافقون : ٨] ، فأنزل الله : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، قال النبي صلى الله عليه وسلم : لأزیدن على السبعين! فأنزل الله : {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ}، فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم" (٢).

عن مجاهد : "إن تستغفر لهم سبعين مرة}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سأزيد على سبعين استغفارة! فأنزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون : {لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، عزمًا" (٣).
عن قتادة قوله : "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ، فقال نبي الله : قد خيرني ربي ، فلازيدنهم على سبعين! فأنزل الله : {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ}، الآية" (٤).

عن ابن عباس قوله : "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} إلى قوله : {القوم الفاسقين}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية : أسمع ربي قد رخص لي فيهم ، فوالله لأستغفرون أكثر من سبعين مرة ، فلعل الله أن يغفر لهم ! فقال الله ، من شدة غضبه عليهم : {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ يَتُوبُونَ} [سورة المنافقون : ٦]" (٥).

٢٤- {فِرْحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)} [التوبة : ٨١]

(١) أخرجه الطبري (١٧٠١٣):ص٤/٣٨٨.

(٢) أخرجه الطبري (١٧٠٢٣):ص٤/٣٩٥.

(٣) أخرجه الطبري (١٧٠٢٥):ص٤/٣٩٦.

(٤) أخرجه الطبري (١٧٠٣١):ص٤/٣٩٧.

(٥) أخرجه الطبري (١٧٠٣٠):ص٤/٣٩٦-٣٩٧.

عن ابن عباس قوله : " {فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله} ، إلى قوله : {يفقهون} ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ الناس أن يبعثوا معه ، وذلك في الصيف ، فقال رجال : يا رسول الله ، الحرُّ شديدٌ ، ولا نستطيع الخروجَ ، فلا تنفر في الحرِّ ! فقال الله : {قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون} ، فأمره الله بالخروج" (١) .

عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ إلى تبوك ، فقال رجل من بني سلمة : لا تنفروا في الحرِّ ! فأنزل الله : (قل نار جهنم) ، الآية" (٢) .

٢٥- {فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)} [التوبة : ٨٣]

عن ابن عباس قال : "قال رجل : يا رسول الله ، الحر شديد ، ولا نستطيع الخروج ، فلا تنفر في الحرِّ ! وذلك في غزوة تبوك فقال الله : {قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون} ، فأمره الله بالخروج. فتخلف عنه رجال ، فأدركتهم نفوسهم فقالوا : والله ما صنعنا شيئاً ! فانطلق منهم ثلاثة ، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أتوه تابوا ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فأنزل الله : {فإن رجعت الله إلى طائفة منهم} ، إلى قوله : {ولا تقم على قبرة} ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلك الذين تخلفوا ، فأنزل الله عُذْرَهُمْ لما تابوا ، فقال : {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} ، إلى قوله : {إن الله هو التواب الرحيم} [سورة التوبة : ١١٧ ، ١١٨] (٣) .

٢٦- {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)} وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)} [التوبة : ٨٤ - ٨٥]

سبب نزول الآيتان: [٨٤-٨٥]

عن ابن عمر قال : "جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين مات أبوه فقال : أعطني قميصك حتى أكفنه فيه ، وصلِّ عليه ، واستغفر له . فأعطاه قميصه وإذا فرغتم فأذنوني ، فلما أراد أن يصلي عليه ، [جذبه] عمر ، وقال : أليس قد نهاك الله أن تُصَلِّيَ على المنافقين ؟ فقال :

(١) أخرجه الطبري(١٧٠٣٣):ص٤٠٠/١٤٠٠

(٢) أخرجه الطبري(١٧٠٣٥):ص٤٠٠/١٤٠٠

(٣) أخرجه الطبري(١٧٠٤٧):ص٤٠٤/١٤٠٤

بل خيرني وقال : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم}، قال : فصلي عليه. قال : فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره}، قال : فترك الصلاة عليهم^(١).

عن عبد الله بن عباس قال : "سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول ، دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه. فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولتُ حتى قمت في صدره فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على عدوِّ الله عبد الله بن أبي ، القائل يوم كذا وكذا وكذا!!! أعدد أيامه ، ورسول الله عليه السلام يتبسم ، حتى إذا أكثرت عليه قال : أحرَّ عني يا عمر ، إني خيَّرتُ فاخترت ، وقد قيل لي : {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} ، فلو أتيتُ إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت ! قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره حتى فرغ منه. قال : فعجبتُ لي وجُرأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : {ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً}، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدَه على منافق ، ولا قام على قبره ، حتى قبضه الله"^(٢).

وعن قتادة قوله : "{ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره}، الآية ، قال : بعث عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه ، فنهاه عن ذلك عمر. فأتاه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه ، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبُّ اليهود! قال فقال : يا نبي الله ، إني لم أبعث إليك لتؤثبني ، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي! وسأله قميصه أن يكفن فيه ، فأعطاه إياه ، فاستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفث في جلده ، ودلاه في قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تصل على أحد منهم مات أبداً} ، الآية. قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كلَّم في ذلك فقال : وما يغني عنه قميصي من الله أو : ربي، وصلى عليه وإني لأرجو أن يسلم به ألفٌ من قومه"^(٣).

(١) أخرجه الطبري(١٧٠٥٠):ص٤٠٦/١٤.

(٢) أخرجه الطبري(١٧٠٥٥):ص٤٠٨/١٤-٤٠٩.

(٣) أخرجه الطبري(١٧٠٥٨):ص٤٠٩/١٤-٤١٠.

عن جابر بن عبد الله : "أن رأس المنافقين مات بالمدينة ، فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يكفن في قميصه ، فكفنه في قميصه ، وصلى عليه وقام على قبره ، فأنزل الله تبارك وتعالى : {ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره}"^(١).

قال ابن كثير: "أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبئراً من المنافقين ، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات ، وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له ؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا عليه. وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين"^(٢).

٢٧- {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١)} [التوبة : ٩١]

في سبب نزول الآية، وجهان:

أحدهما: عن زيد بن ثابت قال: "كنت أكتب لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-. فكنت أكتب براءة، فإني لو اضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ينظر ما ينزل عليه، إذ جاء أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله، وأنا أعمى؟ فنزلت: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله}، قال: نزلت في عائذ ابن عمرو وفي غيره"^(٣).

وعن قتادة: {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} [التوبة : ٩١]، نزلت في عائذ بن عمرو"^(٤).

والثاني: عن ابن عباس، قوله: "{تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون}"، وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس أن يبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه فيهم: عبد الله بن مغفل فقالوا: يا رسول الله، احملنا فقال لهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء» ، وعزيز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة،

(١) أخرجه الطبري(١٧٠٥٢):ص٤٠٧/١٤.

(٢) تفسير ابن كثير:١٩٢/٤-١٩٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦١/٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٧٠٧٨):ص٤٢٠/١٤.

ولا محملاً، فلما رأى الله عز وجل حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه فقال: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى} إلى قوله: {تولوا وأعينهم تفيض من الدمع} الآية^(١).
 ٢٨- {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة : ٩٨]

قال مقاتل: "نزلت في أعراب مزينة"^(٢).

٢٩- {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ٩٩]

عن البخاري بن المختار العبدي قال، "سمعت عبد الرحمن بن معقل قال: كنا عشرة ولد مقرن، فنزلت فينا: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، إلى آخر الآية"^(٣).

وروي عن مجاهد قوله: "{ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، قال: هم بنو مقرن، من مزينة، وهم الذين قال الله فيهم: {ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً}"^(٤).

٣٠- {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ١٠٢]

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها نزلت في سبعة من الأنصار منهم أو لبابة بن عبد المنذر ، وأوس بن ثعلبة ، ووديعة بن حزام ، كانوا من جملة العشرة الذين تخلفوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في غزاة تبوك ، فربطوا أنفسهم لما ندموا على تأخرهم إلى سواري المسجد ليطلقهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن عفا عنهم ، فلما عاد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مر بهم وكانوا على طريقة فسأل عنهم فأخبر بحالهم فقال : لا أعذرهم ولا أطلقهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يعذرهم ويطلقهم. فنزلت هذه الآية فيهم فأطلقهم ، وهذا قول ابن عباس^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٠):ص٦/١٨٦٣-١٨٦٤. كذا الترقيم بالمطبوع!

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩١/٢.

(٣) أخرجه الطبري(١٧٠٩٨):ص١٤/٤٣٣.

(٤) أخرجه الطبري(١٧٠٩٧):ص١٤/٤٣٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٧١٣٦):ص١٤/٤٤٧-٤٤٨.

عن ابن عباس قوله: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، قال : كانوا عشرة رهطٍ تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم ، أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد ، فكان ممرّ النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع في المسجد عليهم فلما رآهم قال : " من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري ؟ قالوا : هذا أبو لبابة وأصحابٌ له تخلفوا عنك ، يا رسول الله ، [وحلفوا لا يطلقهم أحد] ، حتى تطلقهم ، وتعذرهم. فقال النبي عليه السلام : وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم ، حتى يكون الله هو الذي يطلقهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين! فلما بلغهم ذلك قالوا : ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا ! فأنزل الله تبارك وتعالى : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم}، و «عسى» من الله واجب. فلما نزلت أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم" (١).

وروي عن ابن عباس أيضاً قوله : "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله}، إلى قوله : {إن الله غفور رحيم}، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا ، وأيقنوا بالهلكة ، وقالوا : " نكون في الكنّ والطمانينة مع النساء ، ورسول الله والمؤمنون معه في الجهاد! والله لنوثقن أنفسنا بالسواري ، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا " ، فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد ، وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته ، وكان طريقه في المسجد ، فمرّ عليهم فقال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري ؟ فقالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له ، تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضى عنهم ، وقد اعترفوا بذنوبهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ، ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم ، وقد تخلفوا عني ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم ! فأنزل الله برحمته : {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم}، و«عسى» من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعذرهم ، وتجاوز عنهم" (٢).

(١) أخرجه الطبري(١٧١٣٦):ص٤٤٧/١٤-٤٤٨.

(٢) أخرجه الطبري(١٧١٣٧):ص٤٤٨/١٤-٤٤٩.

والقول الثاني : أنها نزلت في ابي لبابة وحده، وفي سبب نزولها وجهان: أحدهما: أنها نزلت فيه وذلك حين قال لبني قريظة -حين أرادوا النزول على حكم النبي -صلى الله عليه وسلم- -إنه ذابحكم إن نزلتم على حكمه ، قاله مجاهد^(١).

عن مجاهد : "ربط أبو لبابة نفسه إلى سارية ، فقال : لا أحل نفسي حتى يحلني الله ورسوله ! قال : فحلَّه النبي صلى الله عليه وسلم : وفيه أنزلت هذه الآية : {وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا}، الآية"^(٢).

الثاني: أنها نزلت في أبي لبابة ، بسبب تخلفه عن تبوك. وهذا قول الزهري^(٣).

قال الزهري: " : كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية ، فقال : والله لا أحل نفسي منها ، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا ، حتى أموت أو يتوب الله عليّ ! فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا ، حتى خر مغشيا عليه ، قال : ثم تاب الله عليه ، ثم قيل له : قد تيب عليك يا أبا لبابة! فقال : والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني ! قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده. ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أهدر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله! قال : يجزيك يا أبا لبابة الثلث"^(٤).

والقول الثالث: أنها نزلت في الأعراب. وهذا القول مروى عن ابن عباس أيضا^(٥).

عن ابن عباس : " {وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحًا وآخر سيئًا}، قال : إنهم من الأعراب"^(٦).

٣١- {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ } (١٠٣) [التوبة : ١٠٣]

عن ابن عباس قال : جاءوا بأموالهم يعني أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا ، فقالوا : يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا ، واستغفر لنا ! قال : ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا! فأنزل الله :

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧١٤٤) (١٧١٤٨) ص: ٤٥١/١٤-٤٥٢.

(٢) أخرجه الطبري (١٧١٤٧) ص: ٤٥١/١٤-٤٥٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧١٤٩) ص: ٤٥٢/١٤.

(٤) أخرجه الطبري (١٧١٤٩) ص: ٤٥٢/١٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧١٥٠) ص: ٤٥٢/١٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٧١٥٠) ص: ٤٥٢/١٤.

{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} ، يعني بالزكاة : طاعة الله والإخلاص {وصل عليهم}، يقول : استغفر لهم"^(١).

وروي عن ابن عباس أيضا: "لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه ، انطلق أبو لبابة وصاحبه بأموالهم ، فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خذ من أموالنا فتصدق بها عنا ، وصلّ علينا يقولون : استغفر لنا وطهرنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا آخذ منها شيئا حتى أومر. فأنزل الله : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) ، يقول : استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوا. فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا من أموالهم ، فتصدق بها عنهم"^(٢).

عن الضحاك ، قال : "لما أطلق النبيّ الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه ، أتوا نبيّ الله بأموالهم فقالوا : يا نبي الله ، خذ من أموالنا فتصدق به عنا ، وطهرنا ، وصلّ علينا ! يقولون : استغفر لنا فقال نبي الله : لا آخذ من أموالكم شيئا حتى أومر فيها فأنزل الله عز وجل : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم}، من ذنوبهم التي أصابوا {وصل عليهم}، يقول : استغفر لهم. ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به"^(٣).

عن زيد بن أسلم قال : "لما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسَّواري ، قالوا : يا رسول الله ، خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها ! فأنزل الله : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم}، الآية"^(٤).

عن سعيد بن جبير قال : "قال الذين ربطوا بالسواري حين عفا عنهم : يا نبيّ الله ؛ طهر أموالنا ! فأنزل الله : {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}، وكان الثلاثة إذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخرين مثله ، وكان عمي منهم اثنان ، فلم يزل الآخر يدعو حتى عمي"^(٥).

٣٢- {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

[١٠٤] {التوبة : ١٠٤}

(١) أخرجه الطبري(١٧١٥٢):ص١٤/٤٥٤-٤٥٥.

(٢) أخرجه الطبري(١٧١٥٣):ص١٤/٤٥٥.

(٣) أخرجه الطبري(١٧١٥٧):ص١٤/٤٥٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٧١٥٤):ص١٤/٤٥٥.

(٥) أخرجه الطبري(١٧١٥٥):ص١٤/٤٥٥.

قال ابن زيد: قال الآخرون - يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين- هؤلاء، يعني الذين تابوا، كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم؟ فقال الله: {إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم} (١).

قال القرطبي: " قيل: قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا معنا بالأمس، لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم الآن؟ وما هذه الخاصة التي خصوا بها دوننا، فنزلت: " ألم يعلموا" فالضمير في" يعلموا" عائد إلى الذين لم يتوبوا من المتخلفين. قال معناه ابن زيد" (٢).

٣٣- {وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)} [التوبة : ١٠٦]

عن ابن عباس قال: "وكان ثلاثة نفر لم يوتقوا أنفسهم بالسواري أرجوا سنة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم؟ فأنزل الله تعالى، يعني قوله: {وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ} (٣).
٣٤- {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)} [التوبة : ١٠٧]

عن ابن عباس قوله : " {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين}، قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد فُباء ، خرج رجالٌ من الأنصار ، منهم : بحزج ، جدُّ عبد الله بن حنيف ، ووديعة بن حزام ، ومجمع بن جارية الأنصاري ، فبنوا مسجد النفاق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحزج ويلك! ما أردت إلى ما أرى! فقال : يا رسول الله ، والله ما أردت إلا الحسنى ! وهو كاذب ، فصدَّقه رسول الله وأراد أن يعذره ، فأنزل الله : {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله}، يعني رجلا منهم يقال له " أبو عامر " كان محارباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد انطلق إلى هرقل ، فكانوا يرصدون [إذا قدم] أبو عامر أن يصلي فيه ، وكان قد خرج من المدينة محارباً لله ولرسوله {وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون} (٤).

(١) أخرجه الطبري(١٧١٦٢):ص٤٥٩/١٤.

(٢) تفسير القرطبي:٢٥٠/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٦):ص١٨٧٨/٦.

(٤) أخرجه الطبري(١٧١٨٨):ص٤٧٠/١٤-٤٧١.

عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني : من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتوية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه ! فقال : إني على جناح سفر وحال شغلٍ أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قدّ قَدِمنا أتيناكم إن شاء الله ، فصلينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُخْشُم ، أبا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي أو أخاه : عاصم بن عدي أبا بني العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقه ! فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ! فدخل [إلى] أهله ، فأخذ سَعَقًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يشندان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقه وهدماه ، وتفرقوا عنه. ونزل فيهم من القرآن ما نزل : {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً}، إلى آخر القصة. وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً خذام بن خالد ، من بني عبيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب ، من بني عبيد ، وهو إلى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير ، من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبئل بن الحارث ، وهم من بني ضبيعة وبَحْرَج ، وهو إلى بني ضبيعة وبجاد بن عثمان ، وهو من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت ، وهو إلى بني أمية ، رهط أبي لبابة بن عبد المنذر^(١).

قال ابن زيد في قوله : "والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل} ، قال : مسجد قباء ، كانوا يصلون فيه كلهم. وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له : " أبو عامر " ، أبو : " حنظلة غسيل الملائكة " ، و " صيفي " ، [واحق]. وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين ، فخرج أبو عامر هارباً هو وابن عبد ياليل ، من ثقيف ، وعلقمة بن علاثة ، من قيس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم. فأما علقمة وابن عبد ياليل ، فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما. وأما أبو عامر ، فتنصر وأقام. قال : وبني ناسٍ من المنافقين مسجد الضرار لأبي عامر ، قالوا : " حتى يأتي أبو

(١) أخرجه الطبري(١٧١٨٦):ص٤٦٨/١-٤٦٩.

عامر يصلي فيه " ، وتفريقاً بين المؤمنين ، يفرقون به جماعتهم ، لأنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء. وجاءوا يخدمون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، ربما جاء السيلُ ، فيقطع بيننا وبين الوادي ، ويحول بيننا وبين القوم ، ونصلي في مسجدنا ، فإذا ذهب السيل صلينا معهم ! قال : وبنوه على النفاق. قال : وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : وألقى الناس عليه الثُّبْنِ والقمامة ، فأَنْزَلَ اللهُ : {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين} ، لئلا يصلي في مسجد قباء جميعُ المؤمنين {وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل}، أبي عامر {وليلطفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون}"(١).

وعن مجاهد : "{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين} ، قال : نزلت في المنافقين، وقوله : {وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل}، قال : هو أبو عامر الراهب"(٢).
عن سعيد بن جبير : "{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً}، قال : هم بنو غنم بن عوف"(٣).

وقال مقاتل:" نزلت في اثني عشر رجلاً من المنافقين وهم من الأنصار كلهم من بني عمرو بن عوف منهم: حرح بن خشف، وحارثة بن عمرو ، وابنه زيد بن حارثة، ونفيل بن الحرث ، ووديعة بن ثابت، وحزام بن خالد، ومجمع بن حارثة، قالوا: نبني مسجداً نتحدث فيه وتخلوا فيه فإذا رجع أبو عامر الراهب"(٤).

٣٥- {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨)} [التوبة : ١٠٨]

عن ابن عباس قوله : "{والذين اتخذوا مسجداً ضراراً} ، وهم أناس من الأنصار ابتنوا مسجداً ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدكم ، واستعدُّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فإتي بجند من الروم ، فأخرج محمداً وأصحابه ! فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحِبُّ أن تصلي فيه

(١) أخرجه الطبري(١٧١٩٩):ص٤٧٣/١٤-٤٧٤.

(٢) أخرجه الطبري(١٧١٩٢):ص٤٧٢/١٤.

(٣) أخرجه الطبري(١٧١٩٤):ص٤٧٢/١٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٥/٢.

، وتدعو لنا بالبركة! فأنزل الله فيه : {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ} ، إلى قوله : {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١).

و روي عن ابن عباس أيضا: " فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو بالبركة، فأنزل الله: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا} (٢).

٣٦- {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} [التوبة : ١١٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن أبي الخليل عن علي قال: "سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟ فذكرته لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنزلت {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} (٣).

وروي عن ابن عباس قوله: " {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}، وكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الإستغفار ولم ينتهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه}، يعني: استغفر له ما كان حيا، فلما مات أمسك عن الإستغفار" (٤).

والثاني: عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يوما إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناهجه طويلا، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه، ثم دعانا فقال: ما أبكاكم؟ قلنا: بكينا لبكائك، قال: إن القبر الذي جلست عنده قبر أمنة، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل على ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة" (٥).

(١) أخرجه الطبري (١٧١٨٧):ص٤٧٠/١٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٤):ص١٨٨١/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٩):ص١٨٩٣/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٠):ص١٨٩٣/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥١):ص١٨٩٣/٦-١٨٩٤.

وقال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- سأل بعد ما افتتح مكة: أي أبويه أحدث به عهداً؟ قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف. قال: حتى أستغفر لها فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فهم النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك فأنزل الله- عز وجل-: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾^(١).

والثالث: عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة فدخل عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- وعنده أو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ قال: فكان آخر شيء كلمهم به أن قال: على ملة عبد المطلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَىٰ﴾^(٢).

٣٧- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)﴾ [التوبة : ١١٤]

قال محمد بن كعب: " لما مرض أبو طالب أتاه النبي- صلى الله عليه وسلم-، فقال المسلمون: هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه، قال: فاستغفروا لقرباتهم من المشركين قال: ثم أنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ﴾، قال: كان يرجوه في حياته فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه"^(٣).

٣٨- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ [التوبة : ١١٥]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل والكلبي^(٤): " وذلك أن الله أنزل فرائض فعمل بها المؤمنون ثم نزل بعد ما نسخ به الأمر الأول فحولهم إليه، وقد غاب أناس لم يبلغهم ذلك فيعملوا بالناسخ بعد النسخ وذكروا ذلك للنبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا نبي الله، كنا عندك والخمر حلال والقبلة إلى بيت المقدس ثم غبنا عنك فحولت القبلة ولم نشعر بها فصلينا إليها بعد التحويل والتحريم. وقالوا: ما ترى يا رسول الله. فأنزل الله- عز وجل- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(٥).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٩/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥٢): ص ١٨٩٤/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٥٦): ص ١٨٩٤-١٨٩٥.

(٤) حكاها عنهما البغوي في تفسيره: ١٠٣/٤. واللفظ لمقاتل كما في تفسيره: ٢٠٠/٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٠/٢.

وقال السمعاني: " أن قوما كانوا أتوا النبي فأسلموا، ولم تكن الخمر حُرمت ولا القبلة صرفت، فرجعوا إلى قومهم وهم على ذلك، ثم حُرمت الخمر (و) صرفت القبلة ولم يكن لهم علم بذلك، فلما قدموا بعد ذلك للمدينة وجدوا الخمر قد حُرمت والقبلة قد صرفت، فقالوا للنبي: قد كنت على دين ونحن على (غيره) فنحن ضلال؟ فأنزل الله {وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون} (١).

والثاني: "أن الآية في الاستغفار للمشركين؛ فإن جماعة من الصحابة كانوا استغفروا لأبائهم ولم يعلموا أن ذلك لا يجوز، فلما أنزل النهي عنه خافوا على أنفسهم خوفا شديدا؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية" (٢).

قال الشوكاني: "لما نزلت الآية المتقدمة في النهي عن الاستغفار للمشركين، خاف جماعة ممن كان يستغفر لهم العقوبة من الله بسبب ذلك الاستغفار، فأنزل الله سبحانه: {وما كان الله ليضل قوما...} (٣).

٣٩- {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)}
[التوبة : ١١٨]

عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك، أقام بها بضع عشرة ليلة، ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية، ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها، وأنزل الله: (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوا في ساعة العسرة) ، الآية، والثلاثة الذين خلفوا: رهط منهم: كعب بن مالك، وهو أحد بني سلمة، ومرارة بن ربيعة، وهو أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، وهو من بني واقف، وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعه وثمانين رجلا. فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، صدقه أولئك حديثهم، واعترفوا بذنوبهم، وكذب سائرهم، فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حبسهم إلا العذر، فقبل منهم رسول الله

(١) تفسير السمعاني: ٣٥٥/٢.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٥٥/٢.

(٣) فتح القدير: ٤٦٩/٢.

وبإيعامهم، ووكّلهم في سرائرهم إلى الله، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خُفّوا، وقال لهم حين حدّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم: قد صدقتم، فقوموا حتى يقضى الله فيكم. فلما أنزل الله القرآن، تاب على الثلاثة، وقال للآخرين: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم) ، حتى بلغ: (لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [سورة التوبة: ٩٥، ٩٦] .

أخرج الطبري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: "أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي -قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. قال كعب: لم أتخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عيرَ قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تواتقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكرَ في الناس منها. فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة. فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفاوزَ، واستقبل عدوًّا كثيرًا، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك: الديوان - قال كعب: فما رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا يظنُّ أن ذلك سيخفى، ما لم ينزل فيه وحْيٌ من الله. وغزا رسول الله تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وأنا إليهما أصغرُ. فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، وطفقت أعدو لكي أتجهز معهم، [فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: "أنا قادر على ذلك إذا أردت! "، فلم يزل ذلك يتمادي بي، حتى استمرَّ بالناس الجدُّ. فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا والمسلمون معه]، ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا. فلم يزل ذلك يتمادي [بي]، حتى أسرعوا وتقارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، فإيا ليتني فعلت، فلم يُقدَّر ذلك لي. فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم يحزنني أيُّ لا أرى لي أسوةً إلا رجلا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلَمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه، والنظر في

عَظْفِيهِ! [فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً]! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو على ذلك، رأى رجلاً مُبَيَّضًا يزول به السراب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كن أبا خيثمة! فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدَّق بصاع التمر، فلمزه المنافقون.

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلًا من تبوك، حضرني بئني، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول: "بم أخرج من سَخَطه غدًا"؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظَلَّ قادمًا"، زاح عني الباطل، حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله. حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسُّم المعضَّب، ثم قال: تعال! فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خُفِّك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال قلت: يا رسول الله، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنني سأخرج من سَخَطه بعدر، لقد أعطيتُ جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتكَ اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني، ليوشكنَّ الله أن يُسَخِّطَكَ عليّ، ولئن حدثتكَ حديثَ صدقٍ تجدُّ عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي عُذْر! والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدَّق، قم حتى يقضي الله فيك! فقامت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا: والله ما علمناك أنذبت ذنبًا قبل هذا! لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك! قال: فوالله ما زالوا يؤؤَّبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكدب نفسي! قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت من هما؟ قالوا: مرارة بن ربيع العامري، وهلال بن أمية الواقفي. قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة، من بين من تخلف عنه. قال: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف. فلبتنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما بيكيان،

وأما أنا فكانت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكانت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحدٌ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: "هل حرك شفتيه بردَّ السلام أم لا؟"، ثم أصلي معه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي، وأحبُّ الناس إليّ = فسلمت عليه، فوالله ما ردّ علي السلام! فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت. قال: فعُدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم! ففاضت عينا، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار.

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا بنبطيّ من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلُّ على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له، حتى جاءني، فدفع إليّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا، فقرأته، فإذا فيه: "أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالحق بنا نؤاسيك".

قال: فقلت حين قرأته: وهذا أيضًا من البلاء!! فتأممتُ به التَّنُّور فسجرت به. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبت الوحي، إذا رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال فقلت: أطلقها، أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها فلا تقربها. قال: وأرسل إلي صاحبتي بذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحق بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادمٌ، فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا ولكن لا يقربنك! قالت فقلت: إنه والله ما به حركة إلى شيء! ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا! قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه؟ قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ماذا يقول لي إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شابٌّ! فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ، فأكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا.

قال: ثم صليت صلاة الفجر صباحَ خمسين ليلةً على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله منّا، قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر! قال: فخررت

ساجدًا، وعرفت أن قد جاء فرجٌ. قال: وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قَيْلٌ صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا، وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني، نزعت له ثوبِيَّ فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة ويقولون: لَتَهْنِكَ توبة الله عليك! حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يُهرول حتى صافحني، وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره - قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة - قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وهو يبرقُ وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك! فقلت: أمن عندك، يا رسول الله، أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأن وجه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك بعض مالك، فهو خيرٌ لك! قال فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت! قال: فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين ابتلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، أحسن مما ابتلاني، والله ما تعمَّدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإنني أرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله: {لقد تاب الله على النبي}، حتى بلغ: {وعلى الثلاثة الذين خَلَفوا}، إلى: {اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}.

قال كعب: والله ما أنعم الله عليَّ من نعمةٍ قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فإن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شرًّا ما قال لأحدٍ: {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون}، إلى قوله: {لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة: ٩٥، ٩٦].

قال كعب: خُلفنا، أيها الثلاثة، عن أمر أولئك الذين قِيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حَلَفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) ، وليس الذي ذكر الله مما خُلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عن حلف له واعتذر إليه فقبل منه"^(١).

قال مقاتل:" ثم ذكر الذين خلفوا عن التوبة. فقال : وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة بعد أبي لبابة وأصحابه وهم ثلاثة: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، ولم يذكر توبتهم ولا عقوبتهم وذلك أنهم لم يفعلوا كفعل أبي لبابة وأصحابه فلم ينزل فيهم شيء شهرا فكان الناس لا يكلمونهم، ولا يخالطونهم، ولا يبايعونهم، ولا يشترون منهم، ولا يكلمهم أهلهم، فضاقت عليهم الأرض فأنزل الله- عز وجل- فيهم بعد شهر أو شهر وتاب أيضا «على الثلاثة الذين خلفوا»"^(٢).

٤٠- {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)} [التوبة : ١٢٢]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عبد الله بن عبيد بن عمير في قوله:"{وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، إلى آخر الآية، قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في رقة من الناس، فأنزل الله عز وجل: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، أمروا إذا بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- سرية أن تخرج طائفة وتقيم طائفة فيحفظ المقيمون على الذين خرجوا ما أنزل الله من القرآن، وما يسن من السنن فإذا رجعوا إلى إخوانهم أخبروهم بذلك، وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف عنه أحد إلا بإذن، أو عذر"^(٣).

والثاني: عن مجاهد قوله: "{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة}، ناس من أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- خرجوا في البوادي، فأصابوا من الناس معروفا، ومن الخصب ما ينتفعون به، ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال لهم الناس: ما نراكم إلا تركتم أصحابكم وجئتمونا، فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجا، وأقبلوا من البادية كلهم، حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله

(١) أخرجه الطبري(١٧٤٤٧):ص١٤٧/١٥٥٦-٥٥٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١١٧):ص٦/١٩١٠.

عز وجل: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة} خرج بعض وقعد بعض، يبتغون الخير، لينفقوها ويسمعوا ما في الناس، وما أنزل بعدهم" (١).

والثالث: وقال السدي: "أقبلت أعراب هذيل، وأصابهم الجوع واستعانوا بتمر المدينة، وأظهروا الإسلام ودخلوا، فقال عتبة بن مسعود -أخو عبد الله بن مسعود- له: أشعرت أنه قدم منا ألف أهل بيت أسلموا جميعا؟ فقال عبد الله: والله لوددت أنه لم يبق منهم، فكانوا يفخرون على المؤمنين ويقولون: نحن أسلمنا طائعين بغير قتال، وأنتم قاتلتم، فنحن خير منكم، فأذوا المؤمنين فأنزل الله فيهم يخبرهم بأمرهم فقال: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، يقول: جميعا {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة}، يقول: من كل بطن منهم طائفة، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فسمعوا كلامه، ثم رجعوا فأخبروهم الخبر، فجنتم على بصيرة، ولكن إنما جنتم من أجل الطعام" (٢).

والرابع: عن ابن عباس قوله: "وما كان المؤمنون لينفروا كافة}، فإنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين، أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يلحوا بالمدينة من الجهد، ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجهدوهم فأنزل الله جل ثناؤه يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائريهم، وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك، قوله: {ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}" (٣).

والخامس: حكي الماوردي عن الكلبي، قال: "وسبب نزول ذلك أن المسلمين بعد أن عثروا بالتخلف عن غزوة تبوك توفروا على الخروج في سرايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتركوه وحده بالمدينة، فنزل ذلك فيهم" (٤).

٤١- {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

{(١٢٨)} [التوبة : ١٢٨]

أخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءتته جهينة فقالوا له: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا نأمنك وتأمنا، قال: ولم سألتكم هذا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٢١):ص١٩١٠/٦-١٩١١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٢٣):ص١٩١١/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٣٥):ص١٩١٣/٦.

(٤) النكت والعيون: ٤١٥/٢.

قالوا: نطلب الأمن فأنزل الله تعالى هذه الآية: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم}
الآية"^(١).

(١) الدر المنثور: ٣٣٣/٤.

سورة «يونس»

١- {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ (٢)} [يونس : ٢]

عن ابن عباس قال : "لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد ! فأنزل الله تعالى : {أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم} ، وقال : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا} [سورة يوسف : ١٠٩]"^(١).

٢- {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧)} [يونس : ١٧]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: وإذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى، فأنزل الله عز وجل: {فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون}"^(٢).

والثاني: عن معاذ بن رفاعة قال: "سمعت أبا خلف الأعمى، قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون}"^(٣).

(١) أخرجه الطبري(١٧٥٢٧):ص١٣/١٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٧):ص١٩٣٥/٦.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٢٧٨):ص١٩٣٥/٦.

سورة «هود»

١- {أَلَا إِنَّهُمْ يَثُورُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ تِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)} [هود : ٥]

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية في الأخنس بن شريق الثقفي" (١).

٢- {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥)} [هود : ١٥]

عن أنس بن مالك في قوله: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها"، قال: نزلت في اليهود والنصارى" (٢).

٣- {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧)} [هود : ١٧]

قال مقاتل: "وذلك أن كفار قريش قالوا: ليس القرآن من الله. إنما تقوله محمد وإنما يليقه «الري»، وهو شيطان يقال له: «الري»، على لسان محمد- صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله: {فلا تك في مرية منه}.. " (٣).

٤- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)} [هود : ١٨]

عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذ كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً} " (٤).

٥- {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)} [هود : ١١٤]

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم (١٠٧٣٦): ص ٢٠١٠/٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٦/٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم (١٠٧٧٢): ص ٢٠١٦/٦.

عن أبي عثمان النهدي، عن عبد الله بن مسعود: " أن رجلا نال من امرأة قبله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن كفارتها قال: فنزلت: {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل} [هود: ١١٤]، قال: يا رسول الله هذه لي قال: «لمن عمل من أمتي»^(١).

وفي رواية عن سفيان، عن ابن مسعود قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنني أصبت منها كل شيء إلا الجماع يعني من امرأة فأنزل الله: {أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات}"^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٦٩):ص٢٠٩١/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٧٠):ص٢٠٩٢/٦.

سورة «يوسف»

١- {الر تلك آيات الكتاب المبين (١)} [يوسف : ١]

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسألة أصحابه إياه أن يقصَّ عليهم. قاله ابن عباس^(١)، وعون بن عبد الله^(٢).

روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، قال: فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا! فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين} ، إلى قوله: {لعلكم تعقلون}، الآية. قال: ثم تلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا! فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} [سورة الزمر: ٢٣] ، قال خلد: وزاد فيه رجل آخر، قالوا: يا رسول الله- أو قال أبو يحيى: ذهبت من كتابي كلمة- فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [سورة الحديد: ١٦]"^(٣). [صحيح]

وقال عون بن عبد الله: " ملَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملَّةً، فقالوا: يا رسول الله حدثنا! فأنزل الله عز وجل: {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [سورة الزمر: ٢٣] . ثم ملوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن! يعنون القصص، فأنزل الله: {الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين} ، فأرادوا الحديث فدَّلَّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدَّلَّهم على أحسن القصص"^(٤). [مرسل]

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٧٧٣):ص٥٢/١٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٨٧٧٥):ص٥٢/١٥.

(٣) أخرجه البزار ٣٢١٨ وأبو يعلى ٧٤٠ وابن حبان ٦٢٠٩ والحاكم ٢ / ٣٤٥ و(١٨٧٧٦):ص٥٣/١٥-واللفظ له-، والواحد في «أسباب النزول» ٥٤٤ من طرق عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه به. وإسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وانظر ما بعده.

(٤) أخرجه الطبري (١٨٧٧٥):ص٥٢/١٥. عن عون بن عبد الله بن مسعود مرسلًا، والمرسل من قسم الضعيف، لكن للحديث شاهد من حديث سعد، وهو المتقدم. وشاهد آخر من حديث ابن عباس: أخرجه الطبري (١٨٧٧٣):ص٥٢/١٥، عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس، وإسناده منقطع، عمرو لم يسمع من ابن عباس. وكرره الطبري (١٨٧٧٤):ص٥٢/١٥، من مرسل عمرو بن قيس، وهو شاهد لما قبله، وإن كان ضعيفًا، والله أعلم.

والثاني: عن ابن عباس قال: "سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، فأنزل الله عز وجل: {الر تلك آيات الكتاب المبين}"^(١).

والراجح-والله أعلم- أن السورة مكية بإجماع كما ذكر في مقدمة تفسير السورة، وسؤالات اليهود إنما كانت في المدينة، فتنبه، والله الموفق إلى الصواب.

٢- {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)} [يوسف : ١١١]

قال الثعلبي: "روى بن جبير عن الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في تلبية مشركي العرب وكانوا يقولون في تليبتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، وكان فيها يخزونك من تليبي: فأجب يا الله لولا أن بكرا دونك بني غطفان وهم يلونك، ينزل الناس ويخزونك، ما زال منا غنجا يأتونك، وكانت تلبية حرمهم: خرجنا عبادك الناس طرف وهم تلاكك، وهم قديما عمروا بلادك، وقد تعادوا فيك من يعادك، وكانت تلبية قريش: [اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك]^(٢) ، وكانت تلبية حمدان وغسان وقضاة وجماد وتلقين وبهرا: نحن عبادك اليماني إنا نحج ثاني [على الطريق الناجي نحن نعادي] جئنا إليك حادي^(٣) . فأنزل الله: {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}، يعني: في التلبية.

وقال: لما سمع المشركون ما قبل هذه الآية من الآيات قالوا: إنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء ولكننا نزع أن له شريكا، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٤).

(١) عزاه ابن الجوزي: (زاد المسير: ٤١١/٢) للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد ذلك المتروك، فقد روى عن الضحاك عن ابن عباس تفسيراً مصنوعاً ليس له أصل، وهذا الحديث منه.

(٢) زيادة عن أخبار مكة للأزرقي: / ١٩٤، وتاريخ دمشق: ١٩ / ٥٠١.

(٣) ذكر اليعقوبي تلبية كل قبيلة من العرب مفصلاً فليراجع تاريخ اليعقوبي: ١ / ٢٥٥ وفيها اختلاف عما ذكره المصنف هنا.

(٤) الكشف البيان: ٥ / ٢٦٢.

سورة «الرعد»

١- {المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١)}

[الرعد : ١]

قال مقاتل: "المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق"، لقول كفار مكة: إن محمدا تقول القرآن من تلقاء نفسه، {ولكن أكثر الناس}، يعني: أكثر كفار {لا يؤمنون} بالقرآن أنه من الله^(١).

٢- {ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلثات وإن ربك لذو مغفرة للناس على

ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦)} [الرعد : ٦]

اختلفوا فيمن نزلت الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب، استهزاء منهم بذلك، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس^(٢).

والثاني: أنها نزلت: في مشركي العرب، قاله قتادة^(٣).

والثالث: أنها نزلت في النضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، قاله مقاتل^(٤).

٣- {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠)}

[الرعد : ١٠]

عن ابن عباس قال: أنزل الله تبارك وتعالى في عامر وأريد وما كانا هما به من النبي صلى

الله عليه وسلم: {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به} الآية^(٥).

٤- {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا

ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١١)} [الرعد : ١١]

قال عطاء بن يسار: "أنزل الله في عامر وأريد ما كانا هما به من النبي صلى الله عليه وسلم

قوله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله}^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٦/٢.

(٢) انظر: زاد المسير: ٤٨٣/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٣٧): ص ٢٢٢٣/٧.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٧/٢-٣٦٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢١٧٤): ص ٢٢٢٨/٧.

٥- {وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)} [الرعد : ١٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أنها نزلت في كافر من الكفار ذكر الله -تعالى وتقدس- بغير ما ينبغي ذكره به، فأرسل عليه صاعقة أهلكته. قاله علي^(٢)، و أنس بن مالك^(٣)، و عبد الرحمن بن صُحار العبدي^(٤)، ومجاهد^(٥).

عن عبد الرحمن بن صُحار العبدي: "أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى جَبَّار يدعو، فقال: "أرأيتم ربكم، أذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو؟" قال: فبينما هو يجادلهم، إذ بعث الله سبحانه فرعدت، فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بِقَحْفِ رأسه فأنزل الله هذه الآية: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}"^(٦).

وعن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرةً رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب، أن ادعُ لي، فقال: يا رسول الله، إنه أعتى من ذلك! قال: اذهب إليه فادعه. قال: فأتاه فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك! فقال: مَنْ رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ قال: فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه" قال: فأتاه فأعاد عليه وردَّ عليه مثل الجواب الأول. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: ارجع إليه فادعه! قال: فرجع إليه. فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما، إذ بعث الله سبحانه بحيال رأسه فرعدت، فوقع منها صاعقة فذهبت بِقَحْفِ رأسه، فأنزل الله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}"^(٧).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٩٤):ص٢٢٣٢/٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٩):ص٣٩٢-٣٩١/١٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٧٠):ص٣٩٢/١٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٦):ص٣٩١/١٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٧):ص٣٩١/١٦.

(٦) أخرجه الطبري(٢٠٢٦٦):ص٣٩١/١٦.

(٧) أخرجه الطبري(٢٠٢٧٠):ص٣٩٢/١٦.

الثاني: أنها نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته، فأنزل الله عز وجل فيه: {وهم يجادلون في الله، وهو شديد المحال}. وهذا قول قتادة^(١).

الثالث: أنها نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل. وهذا قول ابن جريج^(٢)، وروي عن ابن زيد نحو ذلك^(٣).

قال ابن جريج: "نزلت- يعني قوله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء}- في أربد أخي لبيد بن ربيعة، لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: يا محمد أسلم وأكون الخليفة من بعدك؟ قال: لا! قال: فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر؟ قال: لا! قال: فما ذاك؟ قال: "أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها، فإنك رجل فارس. قال: أو ليست أعنة الخيل بيدي؟ أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالا من بني عامر! قال لأربد: إمّا أن تكفينيه وأضربه بالسيف، وإما أن أكفيكه وتضربه بالسيف، قال أربد: اكفينيه وأضربه. فقال ابن الطفيل: يا محمد إن لي إليك حاجة. قال: ادن! فلم يزل يدنو ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ادن" حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه، واستلّ أربد السيف، فاستلّ منه قليلاً فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بريقه تعودّ بأية كان يتعودّ بها، فبيست يد أربد على السيف، فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته، فذلك قول أخيه:

أخسني على أربد الخثوف ولا ... أرهب نوء السماء والأسد ... فجعني البرق والصواعق بال ...
فارس يوم الكريهة النجد^(٤).

٦- {أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩)} [الرعد

: ١٩]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها "نزلت في أبي جهل لعنه الله وحمزة رضي الله عنه". حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس^(٥)، وذكره الواحدي^(١)، وابن عطية^(٢)، والبخاري^(٣).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٢٧١): ص ٣٩٣/١٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠٢٧٢): ص ٣٩٣-٣٩٣/١٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠٢٥٠): ص ٣٧٩/١٦-٣٨٠.

(٤) أخرجه الطبري (٢٠٢٧٢): ص ٣٩٣-٣٩٣/١٦.

(٥) انظر: زاد المسير: ٤٩٢/٢.

الثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل بن هشام. حكاها ابن عطية^(٤)، والبغوي^(٥).

ثم قال ابن عطية: "وهي -بعد هذا- مثال في جميع العالم"^(٦).

٧- {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ

بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) } [الرعد : ٣٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي: "قال أهل التفسير: نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب باسمك اللهم، وهكذا كانت أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"^(٧).

قال قتادة: "ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشاً كتب: "هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاتلناك لقد ظلمناك! ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعنا يا رسول الله نقاتلهم! فقال: لا ولكن اكتبوا كما يريدون إني محمد بن عبد الله. فلما كتب الكاتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قالت قريش: أما «الرحمن» فلا نعرفه ; وكان أهل الجاهلية يكتبون: "باسمك اللهم"، فقال أصحابه: يا رسول الله، دعنا نقاتلهم! قال: لا ولكن اكتبوا كما يريدون"^(٨).

عن مجاهد قال قوله: "كذلك أرسلناك في أمة قد خلت { الآية، قال: هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً في الحديبية، كتب: "بسم الله الرحمن الرحيم"، قالوا: لا تكتب "الرحمن"،

(١) الوجيز: ٥٧٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٩/٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ٣٠٩/٤.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠٩/٣.

(٥) انظر: تفسير البغوي: ٣٠٩/٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٣٠٩/٣.

(٧) أسباب النزول: ٢٧٣.

(٨) أخرجه الطبري (٢٠٣٩٧): ص ١٦٦/٤٤٥-٤٤٦.

وما ندرى ما "الرحمن"، ولا تكتب إلا "باسمك اللهم". قال الله: (وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو)، الآية^(١).

الثاني: قال ابن عباس في رواية الضحاك: "نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - {اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ...} الآية فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: قل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته {هو ربي لا إله إلا هو}"^(٢).

٨- {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)} [الرعد : ٣١]

أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن عطاء، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير، قالت: "سمعت الزبير بن العوام يقول: قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخرت له الريح [والجبال] ، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم. فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلمكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة [ولا يؤمن مؤمنكم] ، فاخترت باب الرحمة [وأن يؤمن مؤمنكم] وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين. فنزلت: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا}^(٣)، [حتى قرأ ثلاث آيات] ، ونزلت: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى}، الآية^(٤).

(١) أخرجه الطبري (٢٠٣٩٨):ص٤٤٦/١٦.

(٢) حكاه الواحدي في أسباب النزول: ٢٧٩، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) [الإسراء : ٥٩].

(٤) أسباب النزول: ٢٨٠، إسناده ضعيف: عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف: [تقريب ١ / ٤٦٦] و (مجروحين ٢ / ١٥٨).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥ / ٧) وقال: رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق وقد ضعفهما الجمهور.

وفي السياق نفسه اخرج ابن وهب عن القاسم بن أبي بزة: "أن قريشا قالوا للنبي: نح عنا هذين الجبلين، وأنشر لنا موتانا وافجر لنا عيون ماء، فأنزل الله: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى}"^(١).

٩- {وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرَسُولٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)} [الرعد : ٣٢]

قال مقاتل: "أخبروا قومهم بنزول العذاب عليهم في الدنيا فكذبوهم واستهزءوا منهم بأن العذاب ليس بنازل بهم، فلما أخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- كفار مكة استهزءوا منه فأنزل الله- تعالى- يعزي نبيه- عليه السلام- ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب: {ولقد استهزئ برسول من قبلك}"^(٢).

١٠- {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْتِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)} [الرعد : ٣٨]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: نقل الواحدي عن الكلبي، قال: "عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمره النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٣).

والثاني: قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بآية فقال الله- تعالى-: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ} إلى قومه..."^(٤).

١١- {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)} [الرعد : ٣٩]

عن مجاهد قول الله: "يمحو الله ما يشاء ويثبت"، قالت قريش حين أنزل: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْتِنَ اللَّهُ} [سورة الرعد: ٣٨]: ما نراك، يا محمد تملك من شيء، ولقد فرغ من الأمر! فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا، وتحدث في كل رمضان، فمحو ونثب ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم، وما نعطيهم، وما نقسم لهم"^(٥).

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٩):ص١٤١/١.

(٢) تفسير مقال بن سليمان:٣٨٠/٢.

(٣) أسباب النزول: ٢٨٠، والكلبي متهم بالكذب.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٣٨٢/٢.

(٥) أخرجه الطبري(٢٠٤٩٨):ص٤٨٧/١٦، والسيوطي في الدر المنثور ٤/٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبه،

١٢- {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (الرعد : ٤٣)

قال عبد الله بن سلام: "نزلت في: { كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}"^(١).

وعبد الله بن سلام، هو الصحابي الجليل، كان أعلم بني إسرائيل، فأسلم.

وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ونقله ابن كثير في تفسيره ٤ / ٥٣٨.

(١) أخرجه الطبري(٢٠٥٣٥):ص١٦/٥٠١. وانظر: (٢٠٥٣٦):ص١٦/٥٠١.

سورة «إبراهيم»

١- {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)} [إبراهيم : ٢٧]

عن خيثمة، عن البراء، قال: "يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ" [إبراهيم: ٢٧]، قال: نزلت في عذاب القبر^(١). [صحيح]

عن البراء بن عازب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ} [إبراهيم: ٢٧] ، قال: " نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد، فذلك قوله: {يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]"^(٢). [صحيح]

٢- {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)} [إبراهيم : ٥٢]

روى يمان بن رثاب: " أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه"^(٣).

(١) أخرجه النسائي(٢٠٥٦):ص٤/١٠١. حكم الألباني«صحيح».

(٢) أخرجه ابن ماجة(٤٢٦٩):ص٢/١٤٢٧، والنسائي(٢٠٥٧):ص٤/١٠١. حكم الألباني«صحيح».

(٣) النكت والعيون:٣/١٤٦.

سورة «الحجر»

١- {وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)} [الحجر : ٦]

قال مقاتل: "نزلت في عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث هو ابن علقمة من بني عبد الدار بن قصي ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش والوليد بن المغيرة، قالوا للنبى- صلى الله عليه وسلم-: إنك لمجنون"^(١).

٢- {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)} [الحجر : ٢٤]

قال ابن عباس: "كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه، فأنزل الله [في شأنها]^(٢): {ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين}^(٣).

وفي رواية: "فإذا سجدوا، نظروا إليها من تحت أيديهم"^(٤).

وقال مروان بن الحكم: "كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء، قال: فأنزل الله {وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ}^(٥).

٣- {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧)} [الحجر : ٤٧]

قال علي بن أبي طالب: "فيما والله نزلت أهل بدر: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ}^(٦). وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: "ونزعنا ما في صدورهم من غل" الآية، قال: نزلت في علي وطلحة والزبير"^(٧).

وأخرج الشيرازي في الألقاب وابن مردويه وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: "{ونزعنا ما في صدورهم من غل" قال: نزلت في عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود"^(٨).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢٥/٢.

(٢) زيادة في الطبري: ٩٤/١٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٦١). ص: ٢٢٦١/٧، والطبري: ٩٣/١٧-٩٤.

(٤) تفسير الطبري: ٩٣/١٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٩٣/١٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٦٦). ص: ١٤٧٨/٥.

(٧) الدر المنثور: ٨٥/٥.

وعن سفيان عن الكلبي عن أبي صلح في: "قوله: {إخوانا على} يقول: {علي سرر متقابلين}، قال عشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ملك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود"^(٢).

٤- {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)} [الحجر : ٤٩ - ٥٠]

سبب نزول الآيتين [٤٩، ٥٠]:

عن مصعب بن ثابت قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون، فقال: «اذكروا الجنة واذكروا النار»، فنزلت: {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ} {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}"^(٣).

٥- {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} [الحجر : ٨٧]

قال الحسين بن الفضل: "إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه القوافل، وبدل على صحة هذا قوله على أثرها {لا تمدن عينيك} الآية"^(٤) [مرسل].

٦- {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)} [الحجر : ٨٨]

عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيف، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود: يقول لك محمد رسول الله: أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب. قال: لا، إلا برهن. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم [فأخبرته] فقال: أما والله إني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض، ولئن أسلفني أو

(١) الدر المنثور: ٨٥/٥.

(٢) تفسير سفيان الثوري (٤٧٤ : ٦ : ٩) : ص ١٦٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٠٥) : ص ٢٢٦٧/٧.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٢٧٧.

باعني لأؤدين إليه. فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية: {ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا} ... إلى آخر الآية، كأنه يعزيه عن الدنيا"^(١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٤٨):ص٢٢٧٣/٧.

سورة «النحل»

١- {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)} [النحل : ١]

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة لما أخبرهم النبي- صلى الله عليه وسلم- الساعة فخوفهم بها أنها كائنة فقالوا: متى تكون تكذيبا بها؟ فأنزل الله- عز وجل- يا عبادي: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}.. فلما سمع النبي- صلى الله عليه وسلم- من جبريل- عليه السلام- {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}، وثب قائما وكان جالسا مخافة الساعة فقال جبريل- عليه السلام-: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}، فاطمأن النبي- صلى الله عليه وسلم- عند ذلك"^(١).

والثاني: عن أبي بكر بن حفص قال: "لما نزلت: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ}، قاموا، فنزلت: {فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}"^(٢).

٢- {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤)} [النحل : ٤]

قال الواحدي: "نزلت الآية في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم؟ قال: نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة يس: {وَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس : ٧٧]، إلى آخر السورة، نازلة في هذه القصة"^(٣).

ونقل الماوردي عن الكلبي: "أن هذه الآية نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين أخذ عظاما نخرة فذراها وقال : أُنْعَادُ إِذَا صرنا هكذا"^(٤).

٣- {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)} [النحل : ٢٨]

قال عكرمة: "كان ناس بمكة أقرّوا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرها إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ}"^(٥).

٤- {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)} [النحل : ٤١]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٩/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٤٥٩):ص٢٢٧٥/٧، والطبري:١٦٢/١٧.

(٣) أسباب النزول:٢٨٥. [بدون إسناد]

(٤) النكت والعيون:١٧٩/٣.

(٥) أخرجه الطبري:١٩٥/١٧.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال الواحدي: "نزلت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بمكة: بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك"^(١). [بدون إسناد]

الثاني: قال الكلبي: "نزلت في بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرت عذبهم أهل مكة حتى قالوا لهم ما أرادوا في الدنيا، فلما خلوهم هاجروا إلى المدينة"^(٢).

الثالث: قال داود بن أبي هند: "نزلت: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} ... إلى قوله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}^(٣)، في أبي جندل بن سهيل"^(٤).

٥- {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢)} [النحل : ٤٢]

قال داود بن أبي هند: "نزلت: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا} ... إلى قوله {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}^(٥)، في أبي جندل بن سهيل"^(٦).

٦- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)} [النحل

: ٤٣]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدهما: عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: "لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، قال: فأنزل الله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ

(١) أسباب النزول: ٢٨٥.

(٢) النكت والعيون: ١٨٩/٣.

(٣) [النحل : ٤٢].

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥١٦): ص ٢٢٨٣/٧، وعبدالرزاق في تفسيره (١٤٨٦): ص ٢٦٨/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٨٩/٣.

(٥) [النحل : ٤٢].

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٧/١٧، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥١٦): ص ٢٢٨٣/٧، وعبدالرزاق في تفسيره (١٤٨٦): ص ٢٦٨/٢، وذكره الماوردي في النكت والعيون: ١٨٩/٣.

عَجَبًا أَنْ أُوحِيَنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ^(١)، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} ^(٢).

وقال مقاتل: "نزلت في أبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، وذلك أنهم قالوا في سبحان: أبعث الله بشرا رسولا يأكل، ويشرب، وترك الملائكة فأنزل الله- عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ} يا محمد- صلى الله عليه وسلم {إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}" ^(٣).

الثاني: عن سعيد بن جبير في قوله: {فسئلوا أهل الذكر}، قال: نزلت في عبد الله بن سلام ونفر من أهل التوراة، كانوا أهل كتب يقول: فاسألوهم إن كنتم لا تعلمون إن الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويعتمر، وإنه لمنافق. قيل: يا رسول الله، بماذا دخل عليه النفاق؟ قال: يطعن على إمامه، وإمامه من قال الله في كتابه: {فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} ^(٤).

٧- {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (٥١)} [النحل : ٥١]

قال مقاتل: "وذلك أن رجلا من المسلمين، دعا الله- عز وجل- في صلاته، ودعا الرحمن. فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين. فأنزل الله- عز وجل- في قوله: {لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ}" ^(٥).

٨- {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥)} [النحل : ٧٥]

(١) [يونس : ٢].

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٨/١٧، وفي إسناده عنده بشر بن عمارة وهو ضعيف، ومن طريق الضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

وذكره ابن أبي حاتم (١٢٥٢١) :ص٧/ ٢٢٨٤، عن ابن عباس، دون ذكر الإسناد.

وعزه في الدر (١١٨ /٤) لابن جرير وابن أبي حاتم ، وذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٨٦، بدون إسناد،

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٠/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٦٤) :ص٧/ ٢٢٨٩.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٢/٢.

قال ابن عباس: "نزلت هذه الآية: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ} في رجل من قريش وعبده، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرا وجهرا، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان بينها"^(١).

٩- {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِنْ كَلَّمَحَ الْبَصَرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {النحل : ٧٧}

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم- متى الساعة؟ فأنزل الله- عز وجل- {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وغيب الساعة ليس ذلك إلى أحد من العباد"^(٢).

١٠- {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} {النحل : ٨٣}

عن مجاهد: "أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا } قال الأعرابي : نعم. قال : { وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ } قال الأعرابي : نعم. ثم قرأ عليه ، كل ذلك يقول الأعرابي : نعم ، حتى بلغ : { كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } فولى الأعرابي ، فأنزل الله : { يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ }"^(٣). [مرسل]

١١- {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} {النحل : ٩١}

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: عن أبي ليلي، عن بريدة ، "قوله {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام {وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا} البيعة، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة"^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٠١):ص٢٢٩٣/٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٩/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٤، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٥٥ /٥) وعزاه لابن أبي حاتم وهو مرسل.

(٤) أخرجه الطبري:٢٨١/١٧.

الثاني: أنها نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية، فأمرهم الله عز وجل في الإسلام أن يوقوا به ولا يفضوه. وهذا قول مجاهد^(١)، وقتادة^(٢)، وابن زيد^(٣).

١٢- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)} [النحل : ٩٧]

عن أبي صالح، قال: "جلس ناس من أهل الأوثان وأهل التوراة وأهل الإنجيل، فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل، فأنزل الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"^(٤).

١٣- {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)} [النحل : ١٠١ - ١٠٢]

سبب نزول الآيتين [١٠٢-١٠١]:

قال الواحدي: "نزلت حين قال المشركون: إن محمدا يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها"^(٥). [بدون إسناد]

١٤- {وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)} [النحل : ١٠٣]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال ابن عباس: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة، وكان أعجمي اللسان، وكان اسمه بلعام، فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره: {وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/١٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/١٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٣/١٧.

(٥) أسباب النزول: ٢٨٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٨/١٧-٢٩٩.

الثاني: قال عبد الله بن مسلم، " كان لنا غلامان فكان يقرآن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ما كذبهم به، فقال: {لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}"^(١).

فأنزل الله تعالى فأكذبهم: لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين.

١٥- {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)} [النحل : ١٠٦]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أنها نزلت في عمار بن ياسر، قاله ابن عباس^(٢)، وقتادة^(٣)، وابو مالك^(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ} ... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي لقي من قريش، والذي قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ} ... إلى قوله (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)"^(٥).

وأخرج ابن ابي حاتم بسنده عن ابن عباس، قال: "لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يهاجر إلى المدينة، قال لأصحابه: تفرقوا عني، فمن كانت به قوة فليأتأخر إلى آخر الليل، ومن لم تكن به قوة فليذهب في أول الليل، فإذا سمعتم بن قد استقرت بي الأرض، فالحقوا بي. فأصبح بلال المؤذن وخباب وعمار وجارية من قريش كانت أسلمت، فأصبحوا بمكة فأخذهم المشركون وأبو جهل، فعرضوا على بلال إن يكفر فأبى، فجعلوا يضعون درعا من حديد في الشمس ثم يلبسونها إياه، فإذا ألبسوها إياه قال: أحد.. أحد.. وأما خباب، فجعلوا يجرونه في الشوك، وأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، وأما الجارية، فوتد لها أبو جهل أربعة أوتاد ثم مدها فأدخل الحربة في قبلها حتى قتلها، ثم خلوا عن بلال وخباب وعمار، فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذي

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٠/١٧، والواحي في أسباب النزول: ٢٨٨، وذكره الحافظ في الإصابة (٤٤٧ / ٢) في ترجمة عبيد الله بن مسلم الحضرمي، وذكره السيوطي في لباب النقول (ص ١٦٣) ومدار هذا الأثر على حصين بن عبد الرحمن: قال الحافظ في التريب: ثقة تغير حفظه في الآخر.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/١٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/١٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/١٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٤/١٧.

كان من أمرهم، واشتد على عمار الذي كان تكلم به. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان قلبك حين قلت الذي قلت: أكان منشرحا بالذي قلت أم لا؟ قال: لا قال: وأنزل الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان^(١).

عن قتادة: "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ"، قال: دُكِرَ لَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَخَذَهُ بَنُو الْمُغْبِرَةِ فَعَطَوْهُ فِي بئرِ مَيْمُونٍ وَقَالُوا: أَكْفَرِ بِمُحَمَّدٍ، فَتَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَلْبُهُ كَارِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ (إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا) : أي: من أتى الكفر على اختيار واستحباب، {فَعَلَيْنَهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}^(٢).

عن أبي مالك، في قوله: "إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ"، قال: نزلت في عمار بن ياسر^(٣).

الثاني: أنها نزلت في عمار بن ياسر وأبويه ياسر وسُمية وبلال وصهيب وخبّاب، أظهروا الكفر بالإكراه وقلوبهم مطمئنة بالإيمان. حكاها الماوردي عن الكلبي^(٤).

الثالث: قال ابن سيرين: "نزلت هذه الآية : {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ} في عياش بن أبي ربيعة. قاله ابن سيرين^(٥).

الرابع: عن مجاهد: "نزلت هذه الآية في أناس من اهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة: إن هاجروا فإننا لا نرى أنكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة فأدرکتهم قريش في الطريق ففتنواهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية"^(٦). [مرسل]

١٦- {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ

[النحل : ١١٠]

في سبب نزول الآية وجوه:

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٦):ص٢٣٠٤/٧.

(٢) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.

(٣) أخرجه الطبري:٣٠٤/١٧.

(٤) انظر: النكت والعيون:٢١٧/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٦٦٨):ص٢٣٠٤/٧.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم(١٢٦٦٩):ص١٣٠٤/٧، وحكاها الواحدي في أسباب النزول:٢٨٩. دون إسناد.

أحدها: قال ابن عباس: " كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتِلَ بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكروهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ} ... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} ... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ}، فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِلَ من قُتِلَ" (١).

عن مجاهد: " {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ}، قال: ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، أن هاجروا، فإننا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنهم وكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية" (٢).

قال قتادة: " ذكر لنا أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يُقبل منهم إسلام حتى يهاجروا، كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة؛ فلما جاءهم ذلك تابيعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحق بهم المشركون، من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله، فخرجوا فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قُتِلَ، ومنهم من نجا، فأنزل الله تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا} ... الآية" (٣).

الثاني: قال ابن إسحاق: " نزلت هذه الآية في عمّار ابن ياسر وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا} " (٤).

(١) أخرجه الطبري: ٣٠٧/١٧-٣٠٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٦/١٧-٣٠٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٧/١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٨/١٧.

الثالث: قال البغوي: "نزلت في عياش بن أبي ربيعة، أخي أبي جهل من الرضاعة، وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسيد الثقفي، فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم، ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا"^(١).

الرابع: أنها نزلت في شأن ابن أبي سرح. قاله الحسن^(٢)، وعكرمة^(٣).

عن عكرمة والحسن البصري، "قالا في سورة النحل {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}، ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ} وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يُقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم"^(٤).

١٧- {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)} [النحل : ١٢٥]

قال مجاهد: "لما انصرف المشركون عن قتلى أحد، انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه، ورأى حمزة: قد شق بطنه، واصطم أنفه، وجدعت أذناه. فقال: لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة بعدي، لتركته حتى يبعثه الله تعالى من بطون السباع والطيور، لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم. ثم دعا ببردة فغطى بها وجهه فخرجت رجلاه، فجعل على رجليه شيئا من الإذخر، ثم قدمه وكبر عليه عشرا، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين. فلما دفنوا وفرغ منهم، نزلت هذه الآية: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} إلى قوله تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}^(٥)، فصبر ولم يمثل بأحد"^(٦). [ضعيف]

(١) تفسير البغوي: ٤٧/٥، وانظر: تفسير الخازن: ٩٧ / ٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٨/١٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٨/١٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٨/١٧.

(٥) [النحل : ١٢٧].

(٦) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٢٩٠، ضعيف: إسماعيل بن عياش إذا حدث عن الشاميين حديثه مستقيم وإذا حدث عن الحجازيين والعراقيين خلط ما شئت، وفي هذا الحديث يروي عن عبد الملك وهو من أصبهان فتكون

١٨- {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)} [النحل]:
[١٢٦]

عن أبي هريرة، قال: "أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة فرأه صريعا، فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه منه، وقال: والله لأقتلن بك سبعين منهم. فنزلت: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نصبر يا رب" (١). [ضعيف]

عن ابن عباس، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قتل حمزة ومثل به: لئن ظفرت بقريش لأمتلن بسبعين رجلا منهم، فأنزل الله عز وجل: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل نصبر يا رب" (٢). [منقطع]

قال عطاء بن يسار: "نزلت سورة النحل كلها بمكة، وهي مكة، إلا ثلاث آيات في آخرها نزلت في المدينة بعد أحد، حيث قُتل حمزة ومثل به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَئِنْ

الرواية ضعيفة، وهناك علة ثانية في هذا الحديث وهي: الحكم بن عتيبة: قال الحافظ في التقریب (١/ ١٩٢) ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس.

والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٨٧) وابن سعد (٣/ ١٠٧) من طريق مقسم عن ابن عباس وليس عندهما سبب النزول، وأخرجه الدارقطني (٤/ ١١٦) وابن سعد (٣/ ١٠٨) والبعوي في شرح السنة (٥/ ٣٦٩) من حديث أنس وليس عندهم سبب النزول..

(١) أخرجه الواحدي في اسباب النزول: ٢٩٠-٢٩١، الحديث في إسناده صالح بن بشير المري قال الحافظ في التقریب: ضعيف [تقریب ١/ ٣٥٨].

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ١٩٧) وسكت عليه وقال الذهبي: صالح واه. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف.

وزاد السيوطي نسبه في الدر (٤/ ١٣٥) لابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل. (٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٢٩١. في إسناده ثلاثة علل: منقطع: الحكم لم يسمع من مقسم إلا خمسة أحاديث وعدها يحيى القطان وهذا ليس فيها [تهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٣] الحماني متهم بسرقة الحديث [تقریب ٢/ ٣٥٢].

قيس بن الربيع: صدق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. وعزاه في الدر (٤/ ١٣٥) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ لِنَمْتَلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ»، فلما سمع المسلمون بذلك، قالوا: والله لئن ظهرنا عليهم لنمتمننَّ بهم مُتَمَلَّةً لم يمتلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} ... إلى آخر السورة^(١).

قال عامر: "أن المسلمين قالوا لما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد: لئن ظهرنا عليهم لنفعلنَّ ولنفعلنَّ، فأنزل الله تعالى {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ}، قالوا: بل نصبر"^(٢).

ووفي رواية أخرى قال عامر: "لما رأى المسلمون ما فعل المشركون بقتلهم يوم أحد، من تبقيير البطون، وقطع المذاكير، والمتملة السيئة، قالوا: لئن أظفرنا الله بهم، لنفعلنَّ ولنفعلنَّ، فأنزل الله فيهم {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}"^(٣).

وقال ابن زيد: "كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين فأسلم رجال ذو منعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب. فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد"^(٤).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٣/١٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٣/١٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٣/١٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٦٩٠): ص ٢٣٠٧/٧.

سورة «الإسراء»

١- {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا (٢٤)} [الإسراء : ٢٣ - ٢٤]
سبب نزول الآيتين: [٢٣-٢٤]:

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في سعد بن أبي وقاص" (١).

٢- {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)} [الإسراء : ٢٩]

عن المنهال بن عمر قال: "بعثت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بابنها فقالت: قل له: اكسني ثوبا فقال: ما عندي شيء فقالت: ارجع إليه فقل له: اكسني قميصك، فرجع إليه فنزع قميصه فأعطاه إياه. فنزلت: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً}، الآية" (٢).

٣- {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (٤٥)} [الإسراء : ٤٥]

قال مقاتل: "نزلت في أبي لهب وامرأته، وأبي البختري، وزمعة اسمه عمرو بن الأسود، وسهيل، وحويطب، كلهم من قريش" (٣).

٤- {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣)} [الإسراء : ٥٣]
في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال الواحدي: "نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، فأمره الله تعالى بالعفو" (٤). [بدون إسناد]
الثاني: قال الكلبي: "كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية" (٥). [ضعيف]

(١) النكت والعيون: ٢٣٨/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٥٦): ص ٢٣٢٧/٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٣/٢.

(٤) أسباب النزول: ٢٩٥.

(٥) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٥.

٥- {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِنَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِنَّا تَخَوِّفًا (٥٩)} [الإسراء : ٥٩]

قال ابن عباس: "سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم: أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينجي عنهم الجبال فيزرعون. فقل له: إن شئت أن تستأني بهم لعنا نجيتي منهم، وإن شئت أن تؤتيتهم الذي سألو فأين كفروا أهلوا كما أهلك من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم. فأنزل الله عز وجل: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِنَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} ... الآية"^(١).

وقال الزبير بن العوام: "قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وأن سليمان سخرت له الريح [والجبال] ، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنتخذها محارث فنزرع ونأكل، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيتهم. فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتكم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلمكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة [ولا يؤمن مؤمنكم] ، فاخترت باب الرحمة [وأن يؤمن مؤمنكم] وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم، أنه يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحد من العالمين. فنزلت: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها [حتى قرأ ثلاث آيات] ، ونزلت: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى الآية"^(٢). [ضعيف]

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٢٩٥-٢٩٦، وأخرجه النسائي في التفسير (٣١٠) وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٨ / ١) .

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٦٢ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن جرير (٧٤ / ١٥) ، وذكره السيوطي في لباب النقول ص ١٦٧ .

وزاد نسبه في الدر (١٩٠ / ٤) للبخاري وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضياء في المختار.

وهو عند البخاري (٢٢٢٥- كشف) والبيهقي في الدلائل (٢ / ٢٧١ ، ٢٧٢).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٢٧٩-٢٨٠، وإسناده ضعيف: عبد الجبار بن عمر الأيلي ضعيف: [تقريب ٤٦٦ / ١] و (مجروحين ١٥٨ / ٢) .

٦- {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِذَا فَتَنَّا لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)} [الإسراء : ٦٠]

قال ابن عباس: "لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن خوف به هذا الحي من قريش، فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما والله لئن أمكننا منه لنتزقمنه تزقما! فأنزل الله تبارك وتعالى: { وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ }، يقول: المذمومة، { وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا }"^(١). [ضعيف]

٧- {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإِلَيْكَ لِيُقْفَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣)} [الإسراء : ٧٣]

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال سعيد بن جبیر: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعه حتى يلم بالهتنا، فحدث نفسه، وقال: ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم أني لها كاره، فأبى الله، فأنزل الله: { وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَإِلَيْكَ لِيُقْفَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ } الآية"^(٢).

الثاني: قال عطاء عن ابن عباس: "نزلت في وفد ثقيف، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألوا شططا وقالوا: متعنا باللات سنة، وحرم وادينا كما حرمت مكة: شحرها وطيرها ووحشها. وأكثروا في المسألة، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجبههم. فأقبلوا يكررون مسألتهم، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول، وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا- فقل: الله أمرني بذلك. فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم، عنهم، وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيبون به؟ وقد هم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يعطيهم ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٣).

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥ / ٧) وقال: رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار بن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وثق وقد ضعفهما الجمهور.

(١) أخره الواحدي في اسباب النزول: ٢٩٦. في إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه..

وعزاه في الدر (١٩١ / ٤) لابن إسحاق وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وذكره في لباب النقول ص ١٦٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٦/١٧، وعزاه في الدر (١٩٤ / ٤) لابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره في لباب النقول ص

١٦٨

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٥. [بدون إسناد]

الثالث: وقال قتادة: "ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ذات ليلة إلى الصبح، يكلمونه ويفخموه ويسودونه ويقاربونه، فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا. وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله تعالى عن ذلك. فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(١).

الرابع: وقال جبير: "إن قريشا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه وإن كادوا ليفتنوك الآية"^(٢).

الخامس: وقال محمد بن كعب القرظي: "أنزل الله والنجم إذا هوى فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية أفرأيتم اللات والعزى فألقى عليه الشيطان كلمتين تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ما بقى من السورة وسجد، فأنزل الله: {وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك}، الآية، فما زال مغموما مهموما حتى أنزل الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ}، الآية"^(٣)، الآية"^(٤).

٨- {وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلّا قليلاً (٧٦)}

[الإسراء : ٧٦]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "حسدت اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام، فإن كنت نبيا فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها صدقناك وأما بك. فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٥).

قال ابن كثير: "وهذا القول ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية، وسكنى المدينة بعد ذلك"^(٦).

الثاني: وقيل: إنها نزلت بتبوك"^(٧).. قال ابن كثير: "في صحته نظر"^(١).

(١) أسباب النزول للواحدى: ٢٩٥. [مرسل]

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٣٥٣): ص ٢٣٤٠/٧.

(٣) [الحج : ٥٢].

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٣٥٤): ص ٢٣٤٠/٧.

(٥) أسباب النزول للواحدى: ٢٩٧-٢٩٨. [بدون إسناد]

(٦) تفسير ابن كثير: ١٠٠/٥.

(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٠/٥.

عن عبد الرحمن بن عَثم : "أن اليهود أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقاً أنك نبي ، فالحق بالشام ؛ فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء. فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك ، لا يريد إلا الشام. فلما بلغ تبوك ، أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة : { وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا } إلى قوله : { تَحْوِيلًا } فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تبعث" (٢).

الثالث: وقال مجاهد وقتادة والحسن: "هم أهل مكة بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة، فأمره الله تعالى بالخروج. وأنزل هذه الآية إخباراً عما هموا به" (٣).

قال ابن كثير: "وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس بصحيح ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعز تبوك عن قول اليهود ، إنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ } [التوبة : ١٢٣] ، وقوله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة : ٢٩]. وغزاها ليقصص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة ، من أصحابه ، والله أعلم" (٤).

الثالث: وقيل : نزلت في كفار قريش ، هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً. وكذلك وقع ؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم ، بعد ما اشتد أذاهم له ، إلا سنة ونصف. حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم وسبى سراتهم" (٥).

٩- {وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا

{(٨٠)} [الإسراء : ٨٠]

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٠/٥.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٥٤/٥)، وذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٩٨. [بدون إسناد].

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٨. [بدون إسناد]

(٤) تفسير ابن كثير: ١٠١/٥.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠١/٥.

قال ابن عباس: "كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه، {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}"^(١).

١٠- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)} [الإسراء : ٨٥]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه، فيستقبلكم بما تكرهون. فأتاه نفر منهم، فقالوا: يا أبا القاسم: ما تقول في الروح؟ فسكت، ونزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود^(٢). [صحيح]

والثاني: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمدا عن ثلاث، فإن أخبركم عن اثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي سلوه عن فتية فقدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح. فسألوه عنها، ففسر لهم أمر الفتية في الكهف، وفسر لهم قصة ذي القرنين، وأمسك عن قصة الروح، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس^(٣). [ضعيف]

١١- {قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيْتُونُ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} [الإسراء : ٨٨]

قال ابن عباس: "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سحان وعمر بن أضا^(٤)، وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئنا

(١) أخرجه البري: ٥٣٣/١٧.

(٢) صحيح. أخرجه البخاري ١٢٥ و ٤٧٢١ و ٧٢٩٧ و ٧٤٥٦ و ٧٤٦٢ و مسلم ٤ / ٢١٥٢ والترمذي ٣١٤١ والنسائي في «التفسير» ٣١٩ وأبو يعلى ٢٥٠١ والطبري ٢٢٦٧٥ و ٢٢٦٧٦ والواحي في «الوسيط» ٣ / ١٢٤ من حديث ابن مسعود.

(٣) ضعيف. أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مطولا، وفيه راو لم يسم. وذكره الواحي في «أسباب النزول»: «٥٩٠ نقلا عن المفسرين بنحوه. وفي «الوسيط» ٣ / ١٢٥ عن ابن عباس بدون إسناد. وهو بهذا اللفظ ضعيف. أما السؤال عن الروح فقد صح من حديث ابن مسعود الحديث المتقدم.

(٤) قد بين ابن إسحاق في السيرة أسماء الأعداء من يهود، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أضان الذي جاء في الأصل، ولعله نعمان ابن أضا، من بني قينقاع (انظر السيرة طبعة الحلبي ٢: ١٦١. أفاده المحقق.

به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإننا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله إنكم لتعرفون أنّه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به»، فقال عند ذلك، وهم جميعا: فإحاص، وعبد الله بن صوريا، وكنانة بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وسموعل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يعلمك هذا إنس ولا جان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله إنكم لتعلمون أنّه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل»، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابا تقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم وفيما قالوا: {قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} (١).

قال البغوي: "نزلت حين قال الكفار: {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال : ٣١]، فكذبهم الله تعالى" (٢).

١٢- {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)} [الإسراء : ٩٠ - ٩٣]

سبب نزول الآيات: [٩٣-٩٠]:

أخرج الطبري بسنده محمد بن إسحاق، قال: "حثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البختری أبا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيْها ومُنْبِها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظنّ أنه بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصا، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عنّتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٧/١٧.

(٢) تفسير البغوي: ١٢٧/٥.

محمد إنا قد بعثنا إليك لتُعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعُبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جنّته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جنّته بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد به مُلكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رؤيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئي، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بي ما تقولون، ما جئناكم بما جئناكم به أطلبُ أموالكم، ولا الشرفَ فيكم ولا الملكَ عليكم ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولا وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً، فبلغناكم رسالة ربّي، وتصحّت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئناكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق بلاداً، ولا أقل مالا ولا أشدّ عيشاً منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيرَ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصي بن كلاب، فإنه كان شيخاً صدوقاً، فنسألهم عما تقول، حقّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألتناك، وصدّقك صدقتناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقّ رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بهذا بُعثتُ، إنّما جئناكم من الله بما بعثني به، فقد بلغناكم ما أرسلتُ به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم" قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جناحاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسألُ ربّه هذا، وما بُعثتُ إليكم بهذا، ولكنَّ الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئناكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبرُ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك إلى الله إن شاء فعَل بكم ذلك، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألتناك عنه، ونطلب

منك ما نطلب، فيتقدم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبداً، أعذرتنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعيد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبداً، حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا لما فاتته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباحدهم إياه.. [فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾^(١) ... [الآيات]^(٢)»^(٣)].

عن سعيد بن جبير - قال: " قلت له في قوله تعالى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾، قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك" ^(٤).

(١) [الإسراء : ٩٠].

(٢) زيادة في اسباب النزول للواحي: ٣٠١-٣٠٢.

(٣) تفسير الطبري: ٥٥٨-٥٥٥/١٧. وفيه بعد قوله "مباحدهم حزينا: فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشم آباءنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإنني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر قدر ما أطيق حمّله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به". وليس فيه «فأنزل الله تعالى: وقالوا».

وانظر هذا الحديث في سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي ١: ٣١٥) وفيه اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وفي تفسير القرطبي (١٠: ٣٢٨-٣٣٠).

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٨/١٧، وعزاه في الدر (٤/ ٢٠٣) لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

سورة « الكهف »

١- {وَلْيَبُتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)} [الكهف : ٢٥]

قال الضحاك بن مزاحم: "نزلت هذه الآية: {وَلْيَبُتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ} (١)، فقالوا: أياما أو أشهراً أو سنين؟ فأنزل الله: {ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا} (٢) (٣).

٢- {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (٢٨)} [الكهف

: ٢٨]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن سلمان الفارسي، قال: "جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم- يعنون سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك! فأنزل الله تعالى: {وَأَتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...} حتى بلغ: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا} [الكهف : ٢٩]، يتهددهم بالنار، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، يلتمسهم حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: الحمد لله الذي لم يمتهني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات" (٤). [ضعيف]

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: "دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم حار وعنده سلمان عليه جبة من صوف، فثار منه ريح العرق في الصوف، فقال

(١) [الكهف : ٢٥].

(٢) [الكهف : ٢٥].

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٨/١٧، وانظر: تفسير القرطبي ٣٨٧/١٠ والدر المنثور ٢١٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٨-٧/١٨، والواحدي في أسباب النزول: ٣٠٥-٣٠٦، وإسناده ضعيف: سليمان بن عطاء: قال البخاري: منكر الحديث وقال ابن حبان: شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي

أشياء موضوعة فلسفت أدري التخليط منه أم من مسلمة بن عبد الله [المجروحين ١/ ٣٢٥].

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٩ / ٤) لابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب.

عبينة: يا محمد، إذا نحن أتيناك فأخرج هذا وضرباه من عندك لا يؤذونا فإذا خرجنا فأنت وهم أعلم. فأنزل الله: {ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية^(١).

عن الربيع قال: "حدثنا إن النبي صلى الله عليه وسلم تصدى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له، فأنزل الله: {ولا تطع من أغفلنا قلبه} الآية، فرجع إلى أصحابه وخلقى عن أمية، فوجد سلمان يذكرهم فقال: «الحمد لله الذي لم أفارق الدنيا حتى أراني أقواما من أمتي ممن أمرني إن أصبر نفسي معهم»^(٢).

وقال مقاتل: "نزلت في عبينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري وذلك أنه دخل على النبي- صلى الله عليه وسلم- وعنده الموالي وفقراء العرب منهم بلال بن رباح المؤذن، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وخباب ابن الأرت، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، - وهو أول شهيد قتل يوم بدر- رضي الله عنهم-، وأيمن بن أم أيمن. ومن العرب أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وغيرهم وكان على بعضهم شملة قد عرق فيها فقال عبينة بن حصن للنبي- صلى الله عليه وسلم: إن لنا شرفا وحسبا، فإذا دخلنا عليك فاعرف لنا ذلك، فأخرج هذا وضرباه عنا فو الله إنه ليؤذينا ريحه يعني جبته أنفا، فإذا خرجنا من عندك فأذن لهم إن بدا لك أن يدخلوا عليك، «فاجعل لنا مجلسا ولهم مجلس»، فأنزل الله- عز وجل-: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني القرآن واتبع هواه يعني وأثر هواه»^(٣).

الثاني: عن جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا} [الكهف : ٢٨]، قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه: من طرد الفقراء عنه، وتقريب صنائيد أهل مكة، فأنزل الله تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا}، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد، {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}، يعني: الشرك^(٤). [ضعيف جدا]

(١) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٥):ص٢٣٥٧/٧.

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٢٧٧٦):ص٢٣٥٧/٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٢/٢-٥٨٣.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٠٦، إسناده ضعيف جدا: جويبر بن سعيد قال الحافظ في التقریب: ضعيف جدا، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

وعزاه في الدر (٢٢٠ /٤) لابن مردويه.

٣- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧)} [الكهف : ٥٧]
قال مقاتل: "نزلت في المطعمين والمستهزئين"^(١).

٤- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣)} [الكهف : ٨٣]

قال السدي: "قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبیین أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد. قال: ومن هو؟ قالوا: ذو القرنين. قال: ما بلغني عنه شيء. فخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا باب البيت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}"^(٢).

عن عمر مولى غفرة قال: "دخل بعض أهل الكتاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقالوا: يا أبا القاسم، كيف تقول في رجل كان يسيح في الأرض؟ قال: لا علم لي به. فبينما هم على ذلك إذ سمعوا نقيضا في السقف، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غمة الوحي، ثم سري عنه فتلا: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ}، الآية. فلما ذكر «السد»، قالوا: أتاك خبره يا أبا القاسم، حسبك"^(٣).

٥- {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)} [الكهف : ١٠٩]

قال ابن عباس: "قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: وما أوتيتن من العلم إلا قليلا: كيف وقد أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا؟ فنزلت: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي} ... الآية"^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩٣٥): ص ٢٣٨١/٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٩٣٦): ص ٢٣٨١/٧.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٩٦/١٨ - ح: ٣٣٢) والترمذي (٣٠٤/٥ - ح: ٣١٤٠) والحاكم (لباب النقول: ١٤٤) وابن أبي حاتم (فتح الباري: ٤٤٥/١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

قال الحافظ ابن حجر: رجاله رجال مسلم (فتح الباري: ٤٠١/٨).

وذكره الواحد في أسباب النزول: ٣٠٧. واللفظ له.

تنبيه: هذا الحديث تكلمة لحديث ابن عباس السابق في السؤال عن الروح: [الإسراء: ٨٥].

٦- {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف : ١١٠]

أحدها: روي طاوس، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "قال رجل: يا رسول الله، إنني أفق الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزلت: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"^(١). [صحيح]

الثاني: قال مجاهد: "جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إنني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى فيذكر ذلك مني وأحمد عليه، فيسرني ذلك، وأعجب به، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل شيئاً فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}"^(٢). [مرسل]

الثالث: وقال مجاهد: "كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب إن يرى مكانه فأنزل الله فمن كان يرجوا لقاء ربه الآية"^(٣).

وروي عن كثير بن زياد قال: "قلت للحسن قول الله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، قال: في المؤمن نزلت. قلت: أشرك بالله؟ قال: لا، ولكن أشرك بذلك العمل عملاً يريد الله به والناس، فذلك يرد عليه"^(٤).

الرابع: قال ابن عباس: "كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لقالة الناس، فلا يريد به الله، فنزلت الآية"^(٥). [ضعيف]

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٥٢٧):ص١٢٢/٢. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» [التعليق - من تلخيص الذهبي] ٢٥٢٧ - "على شرط البخاري ومسلم".

وأخرجه ابن جرير ١٣٦/١٨، وابن أبي حاتم (١٣٠١٣):ص٢٣٩٤/٧، وعبدالرزاق (١٧٢٨):ص٣٤٧/٢، بنحوه، وعزاه في الدر (٢٥٥ /٤) لعبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم عن طاوس (٣٢٩ /٤).

وقال السيوطي: أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي موصولاً عن طاوس عن ابن عباس.

(٢) أسباب النزول للواحدي:٣٠٧، وعزاه في الدر (٢٥٥ /٤) لهناد في الزهد.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠١٥):ص٢٣٩٤/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٠١٨):ص٢٣٩٥/٧.

(٥) أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم في "الصحابة" وابن عساكر (فتح القدير: ٣١٨/٣) من طريق السدي الصغير عن

الخامس: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قوله: "فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، قال: الآية نزلت في المشركين الذين عبدوا مع الله إلهًا غيره، وليست هذه في المؤمنين"^(١).

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس، أبو صالح ضعيف، وراويته الكلبي، وهو متروك ممن يضع الحديث.
قال الحافظ ابن حجر في كتابه "أسباب النزول": أبو صالح ضعيف، والكلبي متهم بالكذب، والسدي الصغير كذاب".

وهذا الإسناد أطلق عليه الحافظ: "سلسلة الكذب". انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص ١٥٦.
(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٠١٣): ص ٣٣٩٤/٧.

سورة « مريم »

١- {وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)}

[مريم : ٦٤]

عن ابن عباس قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: «ما يمنعك إن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، فنزلت الآية"^(١).

عن عكرمة قال: "أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ثم نزل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما نزلت حتى اشتقت إليك»، فقال له جبريل: «أنا كنت إليك أشوق ولكني مأمور»، فأوحى الله إلى جبريل إن قل له: {وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"^(٢). [مرسل]

٢- {وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا (٦٦)} [مريم : ٦٦]

قال الكلبي: "نزلت في أبي بن خلف. حين أخذ عظاما بالية يفتها بيده، ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعت بعد ما نموت"^(٣). [ضعيف]

٣- {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)} [مريم : ٧٧]

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧، واللفظ له، وأخرجه الطبري:٢٢٢/١٨.
وأخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٨) وفي التفسير (٤٧٣١) وفي التوحيد (٧٤٥٥)، وأخرجه الترمذي في التفسير (٣١٥٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه النسائي في التفسير (٣٣٩) .
وأحمد في مسنده (١ / ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٣٥٧)، والطبراني في الكبير (١٢ / ٣٣) وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٦١١) .

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وزاد السيوطي نسبه في الدر (٤ / ٢٧٨) لمسلم وعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٦٩):ص٢٤١٤/٧.

وفي أسباب النزول للواحدي:٣٠٩: "وقال عكرمة، والضحاك، وقتادة، ومقاتل، والكلبي: احتبس جبريل عليه السلام [عن النبي صلى الله عليه وسلم] ، حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل عليه السلام بجواب [ما سأله] فأبطأ عليه، فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشقة شديدة، فلما نزل جبريل عليه السلام، قال له: أبطأت علي حتى ساء ظني. واشتقت إليك. فقال جبريل عليه السلام: إني كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور: إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست، فأنزل الله تعالى: {وما ننزل إلا بأمر ربك}".

(٣) أسباب النزول للواحدي:٣٠٩. الكلبي متهم بالكذب.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث مسروق عن خباب بن الأرت قال: كنت رجلا قينا، أي حدادا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى تموت، ثم تبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جنتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فنزلت فيه هذه الآية، إلى قوله عز وجل:

{فردا} (١).

وقال الكلبي ومقاتل: " كان خباب بن الأرت قينا وكان يعمل للعاص بن وائل السهمي وكان العاص يؤخر حقه الشيء بعد الشيء إلى الموسم، فكان حسن الطلب فصاغ له بعض الحلبي فأتاه يتقاضاه الأجرة فقال العاص: ما عندي اليوم ما أفضيك، فقال له الخباب: لست مفارك حتى تقضي، فقال له العاص: يا خباب ما لك؟ ما كنت هكذا وإن كنت حسن الطلب والمخالطة، فقال خباب: ذلك أني كنت على دينك فأما اليوم فأنا على الإسلام مفارق لدينك فلا، قال: أفلستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة وحريرا؟ قال الخباب: بلى، قال: فأخزني حتى أفضيك في الجنة- استهزاء- فوالله لئن كان ما تقول حقا فإني لأفضل فيها نصيبا منك، فأنزل الله سبحانه: {أفرأيت الذي كفر بآياتنا}، يعني: العاص" (٢).

والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروى عن الحسن (٣).

قال ابن الجوزي: " والمفسرون على الأول" (٤).

٤- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)} {مريم : ٩٦}

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-. قاله ابن عباس (١).

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢ و ٤٧٣٣ و مسلم ٢٧٩٥ ح ٣٦ والترمذي ٣١٦٢ وأحمد ١١٠ / ٥ وابن حبان ٥٠١٠ من طرق عن سفيان عن الأعمش به. وأخرجه البخاري ٢٠٩١ و ٢٤٢٥ و ٤٧٣٤ و ٤٧٣٥ و مسلم ٢٧٩٥ والنسائي في «التفسير» ٣٤٢ وأحمد ١ / ١١١ وابن حبان ٤٨٨٥ والواحدي في «أسباب النزول» ٦١٠ و ٦١١ والطبراني ٣٦٥١ و ٣٦٥٢ و ٣٦٥٤.

(٢) الكشف والبيان: ٢٢٩/٦، وأسباب النزول للواحدي: ٣١٠-٣١١، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٧/٢.

(٣) انظر: زاد المسير: ١٤٦/٣.

(٤) زاد المسير: ١٤٦/٣.

الثاني: أنها نزلت في عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- وذلك أنه: "لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}"^(٢).

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤٨/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٣/١٨.

سورة « طه »

١- في سبب نزول قوله تعالى: {طه} [طه : ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراوح بين قدميه، يقوم على رجل، حتى نزلت هذه الآية، قاله علي -رضي الله عنه-^(١).

الثاني: قال الضحاك: "لما نزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - قام هو وأصحابه فصلوا، فقال كفار قريش: ما أنزل الله تعالى هذا القرآن على محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا ليشقى به، فأنزل الله تعالى: {طه} يقول: يا رجل {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"^(٢).

وأخرج الطبري عن ابن عباس، قوله: "{طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"، فإن قومه قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره {طه}، يعني: يا رجل، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى}"^(٣).

والثالث: أن أبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فانتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم-، بل بعثت رحمة للعالمين، قالوا: بل أنت شقي، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- «طه». قاله مقاتل^(٤).

٢- {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) [طه : ١٠٥]}

(١) أخرجه البزار ٢٢٣٢ «كشف» وقال الهيثمي في «المجمع» ١١١٦٥: فيه يزيد بن بلال. قال البخاري: فيه نظر. وكيسان بن عمرو، وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقيّة رجاله رجال الصحيح اه. فالخبر غير قوي، وهو إلى الضعف أقرب. وانظر «تفسير الشوكاني» ١٥٩١.

(٢) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٤): ص ٣١٢ عن الضحاك مرسلًا، ومع إرساله مراسيل الضحاك واهية، والراوي عنه جويبر بن سعيد، وهو متروك الحديث، فالخبر لا شيء. ويشهد له:

* ما أخرجه ابن جرير (٢٦٦/١٨)-كما سيأتي- وابن مردويه (لباب النقول: ١٤٦) من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه، وإسناده ضعيف.

(٣) تفسير الطبري: ٢٦٦/١٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠/٣، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦١٣): ص ٣١٢ عن مقاتل بدون سند، ومقاتل متهم، والمتن باطل.

قال يحيى: "سأل المشركون النبي فقالوا: يا محمد كيف هذه الجبال في ذلك اليوم الذي تذكر؟ فقال الله: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا} من أصولها.."^(١).

٣- {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [١١٤ : طه : ١١٤]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدها: عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه - فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه} [القيامة: ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} [القيامة: ١٨] قال: فاستمع له وأنصت: {ثم إن علينا بيانه} [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه"^(٢).

قال السدي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه يتخوف إن يصعد جبريل ولم يحفظه فينسى ما علمه فقال الله: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، قال: لا تحرك به لسانك لتعجل به"^(٣).

الثاني: عن الحسن قال: "لطم رجل امرأته: فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب قصاصا، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص، فأنزل الله: {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} فوقف النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت: {الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} [النساء: ٣٤]"^(٤).

٤- {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [١٣١ : طه : ١٣١]

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٢٧٩/١.

(٢) صحيح البخاري(٥):ص٨/١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٣):ص٢٤٣٦/٧-٢٤٣٧.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٥٤٤):ص٢٤٣٧/٧.

عن أبي رافع قال: أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفا ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من اليهود إن بعنا أو أسلفنا دقيقا إلى هلال رجب، فقال لا إلا برهن فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني أو باعني لأدبت إليه أذهب بدرعي الحديد فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ}، كأنه يعزیه، عن الدنيا" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٥٨٧):ص١٧٧-٢٤٤-٢٤٤٢، والطبري:٤٠٣/١٨.

سورة « الأنبياء »

١- {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)} [الأنبياء :

[٧

قال مقاتل: " قالوا في الفرقان: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١]، يأكل ويشرب وترك الملائكة فلم يرسلهم، فأنزل الله- عز وجل- في قولهم: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ}..."(١).

٢- {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)} [الأنبياء : ٨]

قال مقاتل: " ونزل في قولهم: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان : ٤١] يأكل ويشرب ويترك(٢) الملائكة فلا يرسلهم، فقال- سبحانه-: {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا}، يعنى الأنبياء- عليهم السلام، و«الجسد»: الذي ليس فيه روح"(٣).

٣- {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ

كَافِرُونَ (٣٦)} [الأنبياء : ٣٦]

أولاً:- سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا} [الأنبياء : ٣٦]:

قال السدي: " مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي سفيان وأبي جهل وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف. فغضب أبو سفيان فقال: ما تتكرون إن يكون لبني عبد مناف نبي. فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه وقال:

ما أراك منتهيا حتى يصيبك ما أصاب عمك، وقال لأبي سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية، فنزلت هذه الآية : {وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا}، الآية"(٤).

ثانياً:- سبب نزول قوله تعالى: {وَهُمْ يَذَّكَّرُ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} [الأنبياء : ٣٦]:

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١/٣.

(٢) كذا في المطبوع! والاولى: وترك الملائكة فلم يرسلهم.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١/٣-٧٢.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥٥):ص٢٤٥٢/٨-٢٤٥٣.

قال الكلبي: "وذلك حين نزل ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء : ١١٠]، فقال أهل مكة: ما يعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، فنزل: ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٦]"^(١).

٤- ﴿خُلِقَ الْبَشَرُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٣٧) [الأنبياء : ٣٧]

قال ابن الجوزي: "هذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب"^(٢).

٥- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمَّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) [طه : ٣٨ - ٣٩]

سبب نزول الآيتين [٣٩-٣٨]:

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: متى هذا العذاب الذي تعدنا، إن كنت صادقا، يقولون ذلك مستهزئين تكذيبا بالعذاب فأنزل الله- عز وجل-: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم﴾..."^(٣).

٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (١٠١) [الأنبياء : ١٠١]

عن أبي يحيى، عن ابن عباس قال: "آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوا فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبيرى فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: "لا، بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبيرى: خصمت ورب هذه البنية - يعني الكعبة - ألسنت تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيزا عبد صالح، قال: "بلى"، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصراني يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيزا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الملائكة وعيسى وعزيز عليهم السلام ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾"^(٤).

(١) حكاه عنه ابو الليث السمرقندي في بحر العلوم في التفسير: ٤٢٦/٢.

(٢) زاد المسير: ١٩٠/٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠/٣.

(٤) أخرجه الواحدى في أسباب النزول: ٣٠٥-٣٠٦، والطبراني (المعجم الكبير: ١٥٣/١٢ - ح: ١٢٧٣٩).

وذكره الهيثمي في المجمع (٦٩ /٧) وقال: "فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة".

وأخرج الطبري بسنده عن ابن عباس، قال: "لما نزلت {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون}، قال المشركون: فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون، فأنزل الله: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون}، لعيسى وغيره"^(١).

(١) تفسير الطبري: ١٨/٥٤٠. من طريق عطاء بن السائب، وعطاء اختلط.

سورة « الحج »

١- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣)} [الحج : ٣]

عن أبي مالك في قوله: " {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: نزلت في النضر بن الحارث" (١).

قال مقاتل: " نزلت في النضر بن الحارث القرشي وأمه اسمها صفية بنت الحارث بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، قال: ويتبع النضر {كل شيطان مرید}، يعني: مارد.. " (٢).

قال السمعاني: " الأكترون على أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وكان ينكر البعث ويجادل فيه" (٣).

قال الزمخشري: " قيل: نزلت في النضر بن الحرث، وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، والله غير قادر على إحياء من بلى وصار تراباً. وهي عامة في كل من تعاطى الجدل فيما يجوز على الله" (٤).

٢- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) تَأْنِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)} [الحج : ٨ - ٩]

سبب نزول الآيتين: [٩-٨]:

عن مجاهد، قوله: {تأني عطفه}، قال: " أنزلت في النضر بن الحارث" (٥).

٣- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى

وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا

يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبْسَ الْمَوْلَى وَلِيُبْسَ الْعَشِيرُ

{(١٣)} [الحج : ١١ - ١٣]

سبب نزول الآيات: [١٣-١١]:

قال ابن عباس: "كان ناس من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون، فإذا رجعوا إلى بلادهم فإن وجدوا عام غيث و عام خصب و عام ولاد حسن، قالوا: إن ديننا هذا صالح

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٧٧٦): ص ٢٤٧٤/٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٥/٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٤١٨/٣.

(٤) الكشاف: ١٤٣/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٧٩٣): ص ٢٤٧٦/٨.

فتمسكوا به، وإن وجدوا عام جذب و عام ولاد سوء و عام قحط، قالوا: ما في ديننا هذا خير. فأنزل الله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} (١).

٤- {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)} [الحج : ١٧]

قال عكرمة: " قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئة: نحن نعبد الملائكة من دون الله. وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والعمر من دون الله. وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان من دون الله. فأوحى الله إلى نبيه ليكذب قولهم: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (٢)، إلى آخرها، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا} (٣)، وأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ} (٤).

٤- {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)} [الحج : ١٩ - ٢٤]

في سبب نزول الآيات: [١٩-٢٤]، قولان:

أحدهما: قال عطاء بن يسار: "نزلت هؤلاء الآيات: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. إلى قوله {وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} (٥).

قال أبو العالية: " لما التقوا يوم بدر قال لهم عتبة بن ربيعة: لا تقتلوا هذا الرجل، فإنه إن يكن صادقاً فأنتم أسعد الناس بصدقه، وإن يكن كاذباً فأنتم أحق من حقن دمه، فقال أبو جهل بن هشام: لقد امتلأت رعباً، فقال عتبة: ستعلم أينا الجبان المفسد لقومه قال: فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٧٩٨): ص ٢٤٧٦/٨.

(٢) [الإخلاص : ١].

(٣) [الإسراء : ١١١].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٨٠٩): ص ٢٤٧٨/٨.

(٥) [الحج : ٢٤].

بن ربيعة والوليد بن عتبة، فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا: «ابعث إلينا أكفأنا نقاتلهم، فوثب غلمة من الأنصار من بني الخزرج، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلسوا ... قوموا يا بني هاشم. فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم، فقال عتبة: تكلموا نعرفكم إن تكونوا أكفأنا قاتلناكم. قال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلب. أنا أسد الله وأسد رسوله. فقال عتبة: كفاء كريم! فقال علي: أنا علي بن أبي طالب، فقال: كفاء كريم! فقال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث. فقال عتبة: كفاء كريم! فأخذ حمزة شبيبة بن ربيعة وأخذ علي بن أبي طالب عتبة بن ربيعة، وأخذ عبيدة الوليد. فأما حمزة فأجاز على شبيبة، وأما علي فاختلفا ضربتين فأقام فأجاز على عتبة، وأما عبيدة فأصيبت رجله، قال: فرجع هؤلاء وقتل هؤلاء، فنادى أبو جهل وأصحابه: لنا العزى ولا عزى لكم، فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم: قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار. فأنزل الله: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} (١).

وعن قيس بن عباد قال: "سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} (٢)، نزلت في الذين برزوا يوم بدر: حمزة وعلي، وعبيدة بن الحارث، وعتبة، وشبيبة ابني أبي ربيعة، والوليد بن عتبة" (٣).

عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب، قال: "أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمزة، وعبيدة، وشبيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة" (٤).
الثاني: وقال قتادة: "اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: إن كتابنا يقضي علي الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء فنحن أولى منكم، فأفلج الله أهل الإسلام علي من ناوهم، فأنزل الله: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، إلى قوله: {عَذَابَ الْحَرِيقِ} (٥) (١). وروي عن ابن عباس (٢)، نحو ذلك.

(١) أخرجه ابن ابي حاتم (١٣٨١٧): ص ٢٤٨٠/٨.

(٢) [الحج : ١٩].

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٧، ومسلم في التفسير، باب: في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) برقم: (٣٠٣٣) ٤ / ٢٣٢٣. وأخرجه السمعي في التفسير: ٣٧٢/٥، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل: ٧ / ٢٩٦، وابن ابي حاتم (١٣٨١٦): ص ٢٤٧٩/٨-٢٤٨٠، والسمعي في التفسير: ٣٧٣/٥، واللفظ له.

(٥) [الحج : ٢٢].

٥- {وَأَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)} [الحج : ٢٧ - ٢٨]

أولاً:- سبب نزول قوله تعالى: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ} [الحج : ٢٧]:
قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: {يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ} (٣)، قال: فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر" (٤).

ثانياً:- سبب نزول قوله تعالى: {فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} [الحج : ٢٨]:
قال إبراهيم: "كان المشركون لا يأكلون من ذبائح نساكهم، فأنزل الله: فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فرخص للمسلمين، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل" (٥).

٦- {حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)} [الحج : ٣١]

قال أبو بكر الصديق-رضي الله عنه:- "كان الناس يحجون وهم مشركون فكانوا يسمونهم حنفاء الحجاج، فنزلت: {حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}" (٦).

٧- {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)} [الحج : ٣٧]

قال ابن عباس: "كان المشركون إذا ذبحوا استقبلوا الكعبة بالدماء فينضحون بها نحو الكعبة، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فأنزل الله {لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا}" (٧).
وحكي القرطبي عن ابن عباس: "كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية" (٨).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٨١٩):ص٨/٢٤٨٠-٢٤٨١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/١٨.

(٣) [الحج : ٢٧].

(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٨/١٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٨٩٥):ص٨/٢٤٨٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩١٦):ص٨/٢٤٩١.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٦/٦، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه، وحكاه عنه القرطبي في

التفسير: ٦٥/١٢. وذكره ابن قتيبة في غريب القرآن: ٢٩٣.

عن ابن جريج قال: "كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن أحق أن ننضح، فأنزل الله {لن ينال الله لحومها}(٢).

٨- {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (٣٩) {الحج : ٣٩}

عن ابن عباس قال: "لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم! فنزلت: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}، الآية. وكان ابن عباس يقرأها: «أذن»، قال أبو بكر: فعلمت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال"(٣).

قال مجاهد: "خرج ناس مؤمنون مهاجرين من مكة إلى المدينة، فاتبعهم كفار قريش فأذن لهم في قتالهم، فأنزل الله: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}، الآية. فقاتلوهم"(٤).

عن عروة بن الزبير: "إن أول آية أنزلت في القتال حين ابتلى المسلمون بمكة وسطت بهم عشائرهم ليفتنوهم، عن الإسلام، وأخرجوهم من ديارهم وتظاهروا عليهم فأنزل الله: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}، الآية. وذلك حين أذن لرسوله بالخروج، وأذن لهم بالقتال"(٥).

٩- {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من يضره إن الله لقوي عزيز} (٤٠) {الحج : ٤٠ - ٤١}

سبب نزول الآيتين: [٤٠-٤١]:

قال عثمان بن عفان-رضي الله عنه-: "فينا نزلت هذه الآية: {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق}، والآية بعدها، أخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة، وأتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا، عن المنكر، فهي لي ولأصحابي"(٦).

(١) تفسير القرطبي: ٦٥/١٢.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٦/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٦١): ص ٢٤٩٦/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٦٢): ص ٢٤٩٦/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٦٣): ص ٢٤٩٦/٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٦٧): ص ٢٤٩٦-٢٤٩٧/٨.

وروي عن ثابت بن عوسجة الخضيرى قال: "حدثني سبعة وعشرون من أصحاب علي وعبد الله، منهم: لاحق بن الأقرم، والعيزار بن جرول، وعطية القرظي: إن عليا قال: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب محمد : {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ}، قال: لولا دفع الله بأصحاب محمد، عن التابعين، {لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ}"^(١).

١٠- {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)} [الحج : ٤٦]

قال قتادة: "ذكر لنا أنها نزلت في عبد الله بن زائدة، يعني: ابن أم مكتوم"^(٢).

قال ابن عباس ومقاتل: "لما نزل {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى} [إسراء: ٧٢]، قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦]"^(٣).

١١- {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)} [الحج : ٤٧]

قال مقاتل: "نزلت في النضر بن الحارث القرشي يقول الله- تعالى:- {وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} في العذاب بأنه كائن ببدر، يعني: القتل"^(٤).

١٢- {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)} [الحج : ٥٢]

عن سعيد بن جبير قال: "لما نزلت هذه الآية: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ}، قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال المشركون: أنه لم يذكر آلهتكم قبل اليوم بخير، فسجد المشركون معه، فأنزل الله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} ... إلى قوله: {عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ}"^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٩٦٨):ص٢٤٩٧/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٨٣):ص٢٤٩٨/٨.

(٣) حكاها عنهما القرطبي في التفسير: ٧٧/١٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣١/٣.

(٥) أخرجه الطبري(٦٦٦/١٨، وابن أبي حاتم(١٣٩٩٨):ص٢٥٠٠-٢٥٠١، وهو مرسل صحيح الإسناد، ويشهد

- ١ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبيرة ٥٣/١٢ - ح: ١٢٤٥) والبخاري وابن مردويه والضياء (فتح القدير: ٣/٤٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ١١٥/٧) .
- ٢ - ما أخرجه ابن جرير (٦٦٥-٦٦٤/١٨) عن أبي العالية مرسلًا بإسناد صحيح نحوه.
- ٣ - ما أخرجه الطبراني (المعجم الكبير: ٢١/٩ - ح: ٨٣١٦) عن عروة بن الزبير مرسلًا بمعناه، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧٠/٧ - ٧٢) .
- ٤ - ما أخرجه ابن جرير (٦٦٤-٦٦٣/١٨) عن محمد بن كعب مرسلًا مطولًا بمعناه، وإسناده ضعيف.
- قال الحافظ ابن كثير: "ولم أرها مسندة من وجه صحيح" (تفسير ابن كثير: ٤٤١/٥)، وواقفه الشوكاني (فتح القدير: ٣/٤٦٢) إلا أن الحافظ ابن حجر قال: كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلًا (لباب النقول: ١٥٠) .
- قلت: وهو كذلك، إلا أنها وإن ثبتت نقلًا، فهي باطلة عقلاً وشاذة متناً، لأنها قدح في الرسالة.
- وقد تعرض القاضي عياض، رحمه الله، في كتاب "الشفاء" لهذا، وأجاب:
- "فاعلم، أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين:
- أحدهما: في توهين أصله. والثاني: على تسليمه.
- أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل.. وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.
- وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته، وانقطاع إسناده، واختلاف كلماته، فقايل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول: قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول: بل حدث نفسه فسها، وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال: "والله ما هكذا أنزلت".
- إلى غير ذلك من اختلاف الرواة.
- ومن حكيته هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة وأهية.
- والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: فيما أحسب - الشك في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بمكة وذكر القصة.
- قال أبو بكر البزار: هذا لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.
- فقد بين لك أبو بكر، رحمه الله، أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه.

أما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار ، رحمه الله .
والذي منه في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ "والنجم" وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون
والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل.

أما من جهة المعنى ، فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ، ونزاهته عن مثل هذه
الرديلة ، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينهبه جبريل -
عليه السلام - ، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم.

أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر ، أو سهواً وهو معصوم من هذا كله .
ووجه ثان : هو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً ، وذلك أن هذا الكلام لو كان روى لكان بعيد الالتئام ، متناقض
الأقسام ، ممتازج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من حضرته من
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك.

وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه!!
ووجه ثالث : أنه قد علم من عادة المنافقين ، ومعاندي المشركين ، وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين ، نفورهم
لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعيرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد
الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة...ولم يحك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه
الرواية الضعيفة.

ووجه رابع : ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت : {وإن كادوا ليفتنونك..}، الآيتين.
وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رواه ؛ لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه ، حتى يفترى وأنه لولا أن ثبته لكاد
يركن إليهم.

فمضمون هذا ومفهومه : أن الله تعالى عصمه من أن يفترى ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً فكيف كثيراً وهم
يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم : اقتربت على
الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له ، وهذا مثل قوله تعالى
في الآية الأخرى : " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما
يضرونك من شيء " .

وأما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح. وقد أعادنا الله من صحته ، ولكن على كل حال فقد أجاب
عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين.

ثم ذكر الأجوبة على ذلك (١١١/٢ - ١١٤) وممن أنكرها الإمام ابن خزيمة وقال : " هذا من وضع الزنادقة " وهذا
هو الصواب.

وللاستزادة : انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص - ٣١٤ لمحمد أبي شهبة ، ونصب المجانيق
لإبطال قصة الغرائيق لمحمد ناصر الدين الألباني.

قال ابن الجوزي-بعد ان ذكر الخبر:- " قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى: أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله عز وجل: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت : ٢٦]"^(١).

١٣- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾ [الحج : ٥٨ - ٥٩]
سبب نزول الآيتين: [٥٨-٥٩]:

قال مقاتل: " وذلك أن نفرا من المسلمين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- نحن نقاتل المشركين فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله- عز وجل- جميعا في الجنة، فنزلت فيهم آيتان، فقال: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج : ٥٩].." ^(٢).

١٤- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصِرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٦٠)﴾ [الحج : ٦٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل: " وذلك أن مشركي مكة لقوا المسلمين: الليلة بقيت من المحرم، فقال بعضهم لبعض: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال. فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وحملوا عليهم وثبت المسلمون فنصر الله- عز وجل- المسلمين عليهم، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله- عز وجل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾.." ^(٣).

الثاني: أنها نزلت في قوم من المشركين، مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله. حكاه القرطبي^(٤).

١٥- ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ (٦٧)﴾ [الحج : ٦٧]

(١) زاد المسير: ٢٤٥/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٤/٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٥/٣.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٩٠/١٢.

قال مقاتل: "نزلت في بديل بن ورقاء الخزاعي وبشر بن سفيان الخزاعي ويزيد ابن الحليس من بني الحارث بن عبد مناف لقولهم للمسلمين، في الأنعام، ما قتلتم أنتم بأيديكم فهو حلال وما قتل الله فهو حرام، يعنون الميتة"^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٦/٣-١٣٧.

سورة « المؤمنون »

١- {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)} [المؤمنون : ١]

عن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: "كان إذا أنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه قال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، إلى عشر آيات" (١).

٢- {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} [المؤمنون : ٢]

عن أبي هريرة،: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}" (٢).
وقال محمد بن سيرين: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء، حتى نزلت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فقالوا: بعد ذلك برءوسهم هكذا" (٣).

٣- {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)} [المؤمنون : ٦٧]

(١) إسناده ضعيف: يونس بن سليم: قال أبو حاتم: قال أحمد بن حنبل: سألت عبد الرزاق عنه فقال: أظنه لا شيء، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين: ما أعرفه يروي عنه غير عبد الرزاق، وقال النسائي: لا أعرفه وذكره ابن حبان في الثقات [تهذيب الكمال ج ٣ / ١٥٦٧ مخطوط] والحديث أخرجه الترمذي في التفسير (٣١٧٣) .
والنسائي في الصلاة في (الكبرى) ونقل عنه المزي في تحفة الأشراف قوله: هذا منكر (انظر تحفة الأشراف رقم ١٠٥٩٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١ / ٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه في موضع آخر (٢ / ٣٩٢) وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخه فقال: لا أظنه شيء، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥ / ٥٥) مختصراً.
وأخرجه أحمد في مسنده (١ / ٣٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند وفي تصحيحه نظر والله أعلم، وزاد السيوطي نسبته (٥ / ٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلي والضياء في المختارة.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢ / ٣٩٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسل ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: الصحيح مرسل. أ. هـ.

وعزاه السيوطي في الدر (٥ / ٣) لابن مردويه والحاكم.

(٣) أخرجه الطبري: ٨/١٩.

قال مقاتل: "نزلت في الملاء من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب"^(١).

٤- {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَأُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)} [المؤمنون : ٧٦]

عن ابن عباس: "أن ابن أثال الحنفي، لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق بمكة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال: "بلى! " فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فأنزل الله: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... }، الآية"^(٢).

وأصل هذا الحديث في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فقال : «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»^(٣).

٥- {قَالُوا إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)} [المؤمنون : ٨٢]

قال مقاتل: "نزلت في آل طلحة بن عبد العزى منهم شيبه وطلحة وعثمان وأبو سعيد ومشافع وأرطاة وابن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبو الحارث بن علقمة"^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦١/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠/١٩.

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٦٩٣) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٣/٣.

سورة « النور »

١- {الزَّانِي لَآ يَنْكِحُ إِنَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَآ يَنْكِحُهَا إِنَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذَٰلِكَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ (٣)} [النور : ٣]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: : أنها نزلت مخصوصة في رجل من المسلمين استأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في امرأة يقال لها أم مهزول كانت من بغايا الجاهلية من ذوات الرايات وشرطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية فيه وفيها. قاله عبد الله بن عمرو^(١)، ومجاهد^(٢).

قال الزهري وقتادة، قالوا: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن، فأنزل الله: {الزَّانِي لَآ يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَآ يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} ... الآية^(٣).

قال سعيد بن جبير: " أن نساء في الجاهلية كنّ يؤاجرن أنفسهنّ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضًا، فنهوا عن ذلك، ونزل: {الزَّانِي لَآ يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةٌ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَآ يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}، ومنهنّ امرأة يقال لها: أم مهزول^(٤)."

وقال عكرمة: "إنه كان يسمّى تسعا بعد صواحب الرايات، وكنّ أكثر من ذلك، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم غليظ جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل، ومربية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤيّ، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر^(٥)."

الثاني : أنها نزلت في مرثد، إذ كان له صديقة في الجاهلية يقال لها عناق، وكان رجلا شديدا، وكان يقال له دلدل، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقى صديقه، فدعته إلى نفسها، فقال: إن الله قد حرّم الزنا، فقالت: أتى تبرز، فخشي أن تشيع عليه،

(١) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/١٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٩٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٩٩/١٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٩٩-٩٨/١٩.

فرجع إلى المدينة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كانت لي صديقة في الجاهلية، فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} قال: كنّ نساء معلومات يدعون: القيلقيات. وهذا قول عمرو بن سعيد^(١). الثالث: انه لما قدم المهاجرون المدينة، قدموها وهم بجهد، إلا قليل منهم، والمدينة غالية السعر، شديدة الجهد، الخير بها قليل. وفي السوق زوان متعاملات من أهل الكتاب، وإماء الأنصار منهن أمية وليدة عبد الله بن أبي، ومسيكية بنت أمية لرجل من الأنصار. في بغايا من ولائد الأنصار، وقد رفعت كل امرأة منهن على بابها علامة كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية مؤجرة، وكن من أخصب أهل المدينة وأكثره خيرا، فرغب أناس من المهاجرين المسلمين فيما يكتسبن، للذي هم فيه من الجهد، فأشار بعضهم على بعض، لو تزوجنا بعض هؤلاء الزواني، فنصيب من فضول أطعماتهن، فقال بعضهم: نستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوه فقالوا: يا رسول الله قد شق علينا الجهد، ولا نجد ما نأكل، وفي السوق بغايا نساء أهل الكتاب، وولائدهن وولائد الأنصار، يكتسبن لأنفسهن، فيصلح لنا أن نتزوج منهن، فنصيب من فضول ما يكتسبن، فإذا وجدنا عنه غنى تركناهن، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك حرام على المؤمنين، أن يتزوجوا الزواني المسافحات المعالانات زناهن، فقال: الزاني من أهل القبلة لا ينكح إلا زانية من بغايا ولائد الأنصار، أو زانية مجلودة في الزنا من أهل القبلة، أو مشركة من أهل الكتاب يهودية أو نصرانية، من بغايا ولائد الأنصار. وهذا قول مقاتل بن حيان^(٢).

٢- {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَذْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)} [النور : ٦ - ٩]

في سبب نزول الآيات: [٦-٩] قولان:

أحدهما: عن عكرمة عن ابن عباس: "أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(١) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/١٩.

(٢) انظر: ابن ابي حاتم(١٤١٢٨):ص٢٥٢٢/٨-٢٥٢٣.

«البينة وإلا حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فليزلن الله ما يبئري ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: {والذين يرمون أزواجهم} [النور: ٦]، فقرأ حتى بلغ: {إن كان من الصادقين} [النور: ٩]، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت^(١) ونكصت^(٢)، حتى ظننا أنها ترجع^(٣)، ثم قالت: لا أفصح قومي سائر اليوم^(٤)، فمضت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين^(٥)، سابغ الأليتين^(٦)، خدلج الساقين^(٧)، فهو لشريك ابن سحماء^(٨)»، فجاءت به كذلك^(٩)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»^(١٠). [صحيح]

- (١) "فتلكأت" أي: توقفت، يقال: تلكأ في الأمر تلكؤ، إذا تباطأ عند، وتوقف فيه.
- (٢) ونكصت "أي: رجعت، وتأخرت، وفي القرآن: {نكص على عقبيه} [الأنفال: ٤٨].
- (٣) أي: عن مقالها في تكذيب الزوج، ودعوى البراءة عما رماها به.
- (٤) أي: جميع الأيام، وأبد الدهر، أو في ما بقي من الأيام = بالإعراض عن اللعان، والرجوع إلى تصديق الزوج. وأريد باليوم: الجنس، ولذلك أجراه مجرى العام، و (السائر) كما يطلق للباقي يطلق للجميع.
- (٥) أي: الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال، ويقال: عين كحيل، وامرأة كحلاء.
- (٦) أي: كبيرهما، يقال للشيء إذا كان تاماً وافياً وافراً: إنه سابغ.
- (٧) أي: سمينهما.
- (٨) أي: في باطن الأمر لظهور الشبه.
- (٩) أي: ولدت ولداً يشبه شريكاً في الصفات المذكورة.
- قال الطبري - رحمه الله -: وفي إتيان الولد على الوصف الذي ذكره - صلوات الله عليه - هنا وفي قصة عويمر بأحد الوصفين المذكورين، مع جواز أن يكون على خلاف ذلك - معجزة وإخبار بالغيب. [مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٢١٦٢/٥]
- (١٠) أخرجه البخاري (فتح الباري: ٤٤٩/٨ - ح: ٤٧٤٧) وأبو داود (٦٨٦/٢ - ح: ٢٢٥٤) والترمذي (٣٣١/٥ - ح: ٣١٧٩) وابن ماجه (٦٦٨/١ - ح: ٢٠٦٧) والدارقطني (٢٧٧/٣ - ح: ١٢٢). وأخرجه مسلم (١١٣٤/٢ - ح: ١٤٩٦) عن أنس مختصراً بمعناه.
- وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٥/١٧ - ح: ٥٠)، والبيهقي في السنن (٣٩٤ /٧)، والطبري (١١٢/١٩)، وأبو داود (٦٨٨/٢ - ح: ٢٢٥٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤ /٧)، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه: (الدر المنثور: ١٩/٥، وفتح القدير: ١١/٤) من طريق عباد بن منصور عن عكرمة به، وفيه عن عنة عباد وهو مدلس (تقريب التهذيب: ٣٩٣/١ - رقم: ١٠٧).

الثاني: عن ابن شهاب: " أن سهل بن سعد الساعدي، أخبره: أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له: يا عاصم، أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقته فقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عاصم عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رجع عاصم إلى أهله، جاء عويمر فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس، فقال: يا رسول الله أرايت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقته فقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، فاذهب فأت بها» قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ، قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا، قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب: «فكانت تلك سنة المتلاعنين»^(١). [صحيح]

وقال مقاتل: "قرأ النبي- صلى الله عليه وسلم- هاتين الآيتين^(٢) في خطبة يوم الجمعة، فقال عاصم بن عدي الأنصاري للنبي- صلى الله عليه وسلم-: جعلني الله فداك، لو أن رجلا منا وجد على بطن امرأته رجلا فتكلم جلد ثمانين جلد ولا تقبل له شهادة في المسلمين أبدا ويسميه المسلمون فاسقا، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهداء إلى أن تلتمس أحدنا أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته، فأنزل الله- عز وجل- في قوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٦]، إلى ثلاث آيات..."^(٣).

(١) أخرجه احمد(٢٢٨٥١)، والبخاري (٥٢٥٩) و (٥٣٠٨)، ومسلم (١٤٩٢) (١)، وأبو داود (٢٢٤٥)، والنسائي ١٤٣/٦-١٤٤، وابن الجارود (٧٣٧)، وابن حبان (٤٢٨٤)، والطبراني في "الكبير" (٥٦٧٥) و (٥٦٧٦)، والبيهقي ٣٩٨/٧-٣٩٩ و ٣٩٩، والبعوي في "شرح السنة" (٢٣٦٦)، وفي "التفسير" ٣٢٤/٣.

وهو في "الموطأ" ٥٦٦/٢-٥٦٧، ومن طريقه أخرجه الشافعي ٤٤/٢، والدارمي (٢٢٢٩).

(٢) يقصد: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) [النور : ٤ - ٥].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨٧-١٨٤/٣. ثم قال: "...، فابتلى الله- عز وجل- عاصما بذلك في يوم الجمعة الأخرى، فأتاه ابن عمه عويمر الأنصاري من بني العجلان بن عمرو بن عوف وتحت ابنة عمه أخی، فرماها بابن عمه شريك بن السحماء، والخليل والزوج والمرأة كلهم من بني عمرو بن عوف وكلهم بنو عم عاصم فقال: يا

قال النووي: "اختلفوا في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال، والأكثر على أنها نزلت في هلال، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً"^(١).

٣- {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا

عاصم، لقد رأيت شريكا على بطن امرأتي فاسترجع عاصم فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: رأيت سؤالي عن هذه والذين يرمون أزواجهم فقد ابتليت بها في أهل بيتي، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- وما ذاك يا عاصم، فقال: أتاني ابن عمي فأخبرني أنه وجد ابن عم لنا على بطن امرأته فأرسل النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى الزوج والخليل والمرأة فأتوه، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لزوجها عويمر: ويحك اتق الله- عز وجل- في خليلتك وابنة عمك أن تقذفها بالزنا. فقال الزوج: أقسم لك بالله- عز وجل- إني رأيته معها على بطنها وإنما لحبلى منه، وما قربتها منذ أربعة أشهر. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- للمرأة: خولة بنت قيس الأنصارية ويحك ما يقول زوجك، قالت: أحلف بالله إنه لكاذب، ولكنه غار، ولقد رءاني معه نطيل السمر بالليل والجلوس بالنهار، فما رأيت ذلك في وجهه، وما نهاني عنه قط، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لل خليل: ويحك ما يقول ابن عمك فحدثه مثل قولها، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- للزوج والمرأة: قوما فاحلفا بالله- عز وجل. فقام الزوج عند المنبر دبر صلاة العصر يوم الجمعة وهو عويمر بن أمية، فقال: أشهد بالله أن فلانة زانية يعني امرأته خولة، وإني لمن الصادقين، ثم قال الثانية: أشهد بالله أن فلانة زانية ولقد رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال الثالثة: أشهد بالله أن فلانة زانية وإنما لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين. ثم قال في الرابعة: أشهد بالله أن فلانة زانية وما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين. ثم قال الخامسة: لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين عليها في قوله. {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٧]. ثم قامت خولة بنت قيس الأنصاري مقام زوجها، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين، ثم قالت الثانية: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى شريكا على بطني وإن زوجي لمن الكاذبين. ثم قالت الثالثة: أشهد بالله ما أنا بزانية وإني لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين. ثم قالت الرابعة: أشهد بالله ما أنا بزانية وما رأى علي من ريبة ولا فاحشة وإن زوجي لمن الكاذبين. ثم قالت الخامسة: غضب الله على خولة إن كان عويمرا من الصادقين في قوله. ففرق النبي- صلى الله عليه وسلم- بينهما، فذلك قوله- عز وجل-: {ويدروا عنها العذاب} يقول يدفع عنها الحد: {لشهادتها} بعد {أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٨]، {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ} [النور : ٩] زوجها {مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٩]، في قوله، وكان الخليل رجلا أسود ابن حبشية، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- إذا ولدت فلا ترضع ولدها حتى تأتونني به فأتوه بولدها فإذا هو أشبه الناس بالخليل، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «لولا الأيمان لكان لي فيهما أمر».

وأخرج ابن أبي حاتم(١٤١٨٥):ص٢٥٣٥/٨- ٢٥٣٦ عن مقاتل بن حيان نحوه.

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: ٦٣/٥.

بِالشُّهْدَاءِ قَوْلِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْ لَأَفْضَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْ لَأِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْ لَأَفْضَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) [النور : ١١ - ٢٠]

سبب نزول الآيات: [٢٠-١١]:

عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، قال الزهري: "وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم أوعى من بعض، وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضها زعموا أن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يخرج سفرا أفرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فأفرع بيننا في غزاة غزاهما، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتلموا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يتقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج، فاحتلموه وكنتم جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأمت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عياني، فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان

الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم»، لا أشعر بشيء من ذلك حتى نفقت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلم فقال: «كيف تيكم»، فقلت: انذن لي إلى أبي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت أبي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة، فقال: «يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟»، فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرک منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا، ففعلنا فيه أمرک، فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر،

فنزل، فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: «يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسبيرك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أنني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا، إلا أبا يوسف إذ قال: {قَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف : ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله»، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} (١) الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: {وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ

(١)[النور : ١١].

أن يُؤثوا} إلى قوله: {عَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه^(١).

عن عطاء الخراساني، عن الزهري، عن عروة: "أن عائشة رضي الله عنها حدثت بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته فقالت: يا أبا أيوب، ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. قالت: فأنزل الله عز وجل: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور : ١٦]"^(٢).

قال ابن كثير: " هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام فقال : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ }"^(٣).

٤- {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

{(٢٣) [النور : ٢٣]}

في سبب نزول الآية أربعة أقوال:

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري: ٢٦٩/٥ - ح: ٢٦٦١) ومسلم (٢١٢٩/٤ - ح: ٢٧٧٠) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١١٦/٢٢ - ح: ٩٣٩) والترمذي (٣٣٢/٥ - ح: ٣١٨٠) وابن جرير (٧١/١٨) والطبراني (المعجم الكبير: ٥٠/٢٣ - ٥٥ - ح: ١٣٣) والبيهقي في الدلائل (٦٤/٤ - ٧١) كلهم من طريق الزهري به. وللمزيد من تفاصيل القصة راجع:

١ - تفسير ابن جرير (٧١/١٨ - ٧٦) .

٢ - تفسير ابن كثير (٢٧١/٣ - ٢٧٢) .

٣ - فتح الباري (٤٥٥ /٨ - ٤٨١) .

معجم الطبراني الكبير (٥٠/٢٣ - ١٣٣) .

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٣٣٣. إسناده ضعيف: عطاء الخراساني: قال الحافظ في التقریب: صدوق يهيم كثيرا ويرسل ويدلس.

وأخرجه الطبري (١٢٩ /١٩) من طريق محمد بن إسحاق. وعزاه السيوطي في الدر (٣٣ /٥) لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٠/٦.

أحدها: أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة خاصة. قاله سعيد بن جبير^(١)، ومقاتل بن حيان^(٢).
الثاني: أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيرهن من النساء، قاله
الضحاك^(٣)، وأبو الجوزاء^(٤).

الثالث: أنها نزلت في المهاجرات^(٥).

قال أبو حمزة الثمالي: "بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة إذ كان بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد، فكانت المرأة إذا خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة
مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا: إنما خرجت تفجر"^(٦).

الرابع: أنها عامة في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن، قاله ابن عباس^(٧)، وبه قال قتادة،
وابن زيد^(٨).

قال ابن زيد: "هذا في عائشة، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات، فله ما قال الله، ولكن
عائشة كانت إمام ذلك"^(٩).

عن العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسد، عن ابن عباس، قال: "فسر سورة النور، فلما
أتى على هذه الآية {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات} ... الآية، قال: هذا في شأن
عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مبهمة، وليست لهم توبة، ثم قرأ {والذين يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء} ... إلى قوله: {إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا} ...
الآية، قال: فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة، قال: فهم بعض القوم أن يقوم إليه
فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور"^(١٠).

(١) انظر: زاد المسير: ٢٨٦/٣، وتفسير ابن كثير: ٣٢٢/٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٦.

(٣) انظر: زاد المسير: ٢٨٦/٣، وتفسير ابن كثير: ٣٢٢/٦.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٦.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ٨٢/٧، وزاد المسير: ٢٨٦/٣.

(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٢/٧.

(٧) رواه عنه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/١٩.

(٩) أخرجه الطبري: ١٣٩/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٩/١٩.

قال ابن كثير: " قوله : «وهي مبهمة»، أي : عامة في تحريم قذف كل محصنة ، ولغنته في الدنيا والآخرة"^(١).

قال الطبري: " نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها، لأنَّ الله عمَّ بقوله {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخص بذلك بعضاً دون بعض"^(٢).

واختار ابن كثير هذا القول^(٣)، وعضده بما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «اجتنبوا السبع الموبقات .. الحديث. وفيه: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»^(٤).

٥- {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} {النور : ٢٦}

قال ابن زيد: " نزلت في عائشة حين رماها المنافقون بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أبي خبيثا، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها"^(٥).

٦- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {النور : ٢٧}

عن عدي بن ثابت: "أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال؟ قال: فنزلت: {ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها} ... الآية"^(٦).

٧- {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} {النور : ٢٩}

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣/٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٤٠/١٩.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣/٦.

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٧٦٦) وصحيح مسلم برقم (٨٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٣١٤): ص ٢٥٦٢/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ١٤٧/١٩.

عن مقاتل بن حيان قال: "فلما نزلت آية التسليم والإيدان في البيوت، قال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يا رسول الله: فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة، والشام وبيت المقدس ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان، فرخص الله في ذلك، فقال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} بغير إذن"^(١).

٨- {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)} [النور : ٣١]

عن المعتمر، عن أبيه، قال: "زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برتين^(٢) من فضة، واتخذت جزعا، فمرت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلال على الجزع، فصوت، فأنزل الله {ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}^(٣).

٩- {وَلَيْسَتَغْفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)} [النور : ٣٣]

أولا: قوله تعالى: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور : ٣٣].
قال الكلبي: "وسبب نزول قوله تعالى: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}، الآية ؛ أن عبداً اسمه صبح لحويطب بن عبد العزى سأله أن يكاثبه فامتنع حويطب، فأنزل الله ذلك فيه"^(٤).
ثانياً:- قوله: {وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٣٣].

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٣٦٧)؛(١٤٣٦٧/٨)؛ ٢٥٧٠.

(٢) مثني برة، بتخفيف الراء، وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها. قال: * وقعقن الخلال والبرينا

*

(٣) أخرجه الطبري: ١٦٤/١٩.

(٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٠٠/٤.

أ- عن جابر، " أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيلَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾"^(١).

ب- عن الزهري، " أن رجلا من قريش أسر يوم بدر، وكان عبد الله بن أبي أسره، وكان لعبد الله جارية يقال: لها معاذة، فكان القرشي الأسير يريد لها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي، فيطلب فداء ولده، فقال الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيلَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾، قال الزهري: ﴿وَمَنْ يُكْرَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: غفور لهن ما أكرهن عليه"^(٢).

وقال السدي: " أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، كانت له جارية تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليوافقها إرادة الثوب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلى أبي بكر، فشككت ذلك إليه، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي: من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكينا فأنزل الله فيهم هذا"^(٣).

وقال مقاتل بن حيان: " بلغنا والله أعلم: أنها نزلت في رجلين يكرهان أمتين لهما على الزنا، تسمى إحداهن مسيكة وكانت للأنصار، وكانت أميمة أم مسكة لعبد الله بن أبي، وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة، فأنت مسيكة وأما النبي صلى الله عليه وسلم فذكرتا ذلك له، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيلَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾، يعني: الزنا"^(٤).

١٠- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ

(١) أخرجه مسلم ٣٠٢٩ وأبو داود ٢٣١١ والنسائي في «التفسير» ٣٨٥ والطبري: ١٧٤/١٩. والواحد في «أسباب النزول» ٦٤٠ والحاكم، ٢/٣٩٧.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٥/١٩. ومراسيل الزهري واهية لأنه حافظ ثبت لا يرسل إلا لعله، والصحيح في هذا الباب ما ورد عن جابر. والله اعلم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٥٢٨): ص ٨/٢٥٩٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٥٢٩): ص ٨/٢٥٩٠.

تَمَسَّهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) { [النور : ٣٥]

عن ابن عباس: " أن اليهود قالوا لمحمد: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره، فقال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْقَاةٍ}، قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى طاعته نورا، ثم سماها أنوارا شتى"^(١).

١١- {رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) { [النور : ٣٧]

قال القرطبي: " قيل: إن رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما بياعا فإذا سمع النداء بالصلاة فإن كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعا، وإن كان بالأرض لم يرفعه. وكان الآخر قينا يعمل السيوف للتجارة، فكان إذا كانت مطرقة على السندان أبقاها موضوعة، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان، فأنزل الله تعالى هذا ثناء عليهما وعلى كل من افتدى بهما"^(٢).

١٢- {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) { [النور : ٤٧]

قال مقاتل: " نزلت في بشر المنافق"^(٣).

١٣- {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرَضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) { [النور : ٤٨ - ٥٠]

في سبب نزول الآيات: [٤٨-٥٠]، قولان:

أحدها: قال الحسن: "كان الرجل إذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أعرض وقال: انطلق إلى فلان فأنزل الله: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} إلى قوله: {هُمُ الظَّالِمُونَ}"^(٤)^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٨٠/١٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٧٩/١٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٤/٣-٢٠٥.

(٤) [النور : ٥٠].

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٣٧): ص ٢٦٢٢/٨.

الثاني: وقال الضحاك: "نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فوقع إلى علي منها ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة، فقال المغيرة: بمعني أرضك، فباعها إياه وتقابضا، فقيل للمغيرة: أخذت سبخة لا ينالها الماء. فقال لعلي: اقبض أرضك فإنما اشتريتها إن رضيتها ولم أرضها، فلا ينالها الماء. فقال علي: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك، ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة: أما محمد فليست آتية ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي. فنزلت هذه الآية"^(١).

الثالث: وقال مقاتل: "نزلت في بشر المنافق، وذلك أن رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بشرا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- ودعاه بشر إلى كعب فقال بشر: إن محمدا يحيف علينا"^(٢).

قال الثعلبي: "نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا"^(٣).

قال الواحدي: "قال المفسرون: هذه الآية"^(٤) والتي بعدها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي، حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا. وقد مضت هذه القصة عند قوله: يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت في سورة النساء"^(٥).

١٤- {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)} [النور : ٥٥]

عن أبي العالية، قوله: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات} ... الآية، قال: فمكث النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا يدعو إلى الله سرا وعلانية، قال: ثم أمر بالهجرة إلى المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يصبحون في السلاح، ويمسكون فيه، فقال رجل: ما

(١) ذكره الرازي في مفاتيح الغيب: ٤١٠/٢٤. بدون سند.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٢٠٤-٢٠٥.

(٣) الكشف والبيان: ١١٣/٧.

(٤) الآيتان: [٤٨، ٤٩].

(٥) اسباب النزول: ٣٢٧.

يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلاح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبياً فيه، ليس فيه حديدة". فأنزل الله هذه الآية {وعد الله الذين آمنوا منكم} ... إلى قوله: {فمن كفر بعد ذلك}، "قال: يقول: من كفر بهذه النعمة {فأولئك هم الفاسقون} وليس يعني: الكفر بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فأمنوا، ثم تجبروا، فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم، قال القاسم: قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه"^(١).

وقال مقاتل بن حيان: "قال بعض المؤمنين: متى يفتح الله على نبيه صلى الله عليه وسلم مكة ونأمن في الأرض. ويذهب عنا الجهد، سمع الله قوله فأنزل الله عند ذلك: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"^(٢).
وقال البراء: "فيما نزلت ونحن في خوف شديد"^(٣).

وقال محمد بن كعب: "نزلت في الولاية"^(٤).

١٥- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) [النور : ٥٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقت الظهر ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٩/١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٦١): ص ٢٦٢٧/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٦٧): ص ٢٦٢٨/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٦٨): ص ٢٦٢٨/٨.

(٥) أسباب النزول للواحدي: ٣٢٩، أسنده ابن منده (الإصابة: ٣٩٥/٣) من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهو حديث باطل إسناداً مظلماً.

الثاني: قال مقاتل بن حيان: "بلغنا والله أعلم أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرشدة صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن، فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا! إنه ليدخل على المرأة وزوجها في ثوب واحد غلامهما بغير إذن. فأنزل الله في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}، في العبيد والإماء"^(١).

وقال مقاتل: "نزلت في أسماء بنت أبي مرشد، قالت: إنه ليدخل على الرجل والمرأة ولعلمهما أن يكونا في لحاف واحد لا علم لهما، فنزلت هذه"^(٢).

١٦- {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)} [النور : ٦١]

أ- سبب نزول قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ...} [النور : ٦١]:

اختلف في سبب نزوله على أقوال:

أحدها: أنها أنزلت ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}. وهذا قول ابن عباس^(٣)، والضحاك^(٤).

قال ابن عباس: "لما أنزل الله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}، فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فأنزل الله بعد ذلك: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ} ... إلى قوله: {أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ}"^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٩٥): ص ٢٦٣٣/٨.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٠٧/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/١٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١٩/١٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١٩/١٩، وعزاه في الدر (٥٨ / ٥) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

قال الضحاك: " كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقدر والتقرّر. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام، كما يستوفي الصحيح والأعرج المنحبس، لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والأعمى لا يبصر طيب الطعام، فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} حرج في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج، فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه، ولا في الأعرج حرج، ولا في المريض حرج، ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم" (١).

الثاني: أنها نزلت ترخيصة لأهل الزمانة في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم، أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام، لأنه أطعمهم غير ملكه. وهذا قول مجاهد (٢).

قال مجاهد: " كان رجال زمني- قال ابن عمرو في حديثه: عميان وعرجان. وقال الحارث: عمي عرج- أولوا حاجة، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم، فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم، ومن عدّد منهم من البيوت، فكره ذلك المستتبعون، فأنزل الله في ذلك {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}، وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه" (٣).

وفي رواية أخرى عن مجاهد: " كان الرجل يذهب بالأعمى أو الأعرج أو المريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكان الزمني يتخرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم" (٤).

إسناده صحيح، ويشهد له:

ما أخرجه البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن النجار (فتح القدير: ٥٦/٤) عن عائشة رضي الله عنها بمعناه، وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٨٣/٧) والسيوطي (لباب النقول: ١٦١). وهناك مراسيل كثيرة تشهد لهذا.

(١) أخرجه الطبري: ٢١٩/١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/١٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٠/١٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٦٩): ص ٢٦٤٥/٨.

الثالث: أنها نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خَلَفهم في بيوته من الغزاة. وهذا قول عائشة-رضي الله عنها، وعبيدالله بن عبدالله^(١)، وابن المسيب^(٢).

قالت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها:- "كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمنائهم ويقولون قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أذنوا عن غير طيب أنفسهم وإنما نحن أمناء، فأنزل الله عز وجل ليس عليكم جناح {أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ}، إلى قوله: {أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ}"^(٣).

قال سعيد بن المسيب: "نزلت في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرتهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٤).

عن معمر، قال: "قلت للزهري، في قوله: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} ما بال الأعمى ذكر هاهنا، والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمانهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، يقولون: قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرّجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهم غُيِّب، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم"^(٥).

الخامس: وقال مقاتل بن حيان: "بلغنا والله أعلم أنه كان حي من الأنصار لا يأكل بعضهم عند بعض، ولا مع المريض من أجل قوله، ولا مع الضرير البصر ولا مع الأعرج، فانطلق رجل غازيا يدعى الحارث بن عمرو، واستخلف مالك بن زيد في أهله وخزائنه، فلما رجع الحارث من غزاته رأى مالكا مجهودا قد أصابه الضر فقال: ما أصابك؟ قال

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٠/١٩.

(٢) انظر: أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٠، من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلا، ومراسيل سعيد جواد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٧٥): ص ٢٦٤٦/٨.

(٤) مرسل، أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٣٤٠، وعزاه في الدر (٥٨ / ٥) لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٠/١٩.

مالك: لم يكن عندي سعة، قال الحارث: أما تركتك في أهلي ومالي؟ قال: بلى ولكن لم يحل لي مالك ولم أكن لأكل مالا لا يحل لي، فأنزل الله عز وجل: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ}، الآية إلى قوله: {أَوْ صَدِيقِكُمْ}، يعنى الحارث بن عمرو حين خلف مالكا في أهله وماله ورحله، فجاءت الرخصة من الله والإذن لهم جميعا"^(١).

الرابع: أنها نزلت ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك. وهذا قول سعيد بن جبير^(٢)، ومقسم^(٣)، و سليمان بن موسى^(٤)، والضحاك^(٥). قال سعيد بن جبير: "قالت الأنصار: ما بالمدينة مال أعز من الطعام. وكانوا يتخرجون الأكل مع الأعرج، يقولون: الصحيح يسبقه إلى المكان ولا يستطيع أن يزاحم، فنزلت: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ }، يعنى: وليس على من أكل مع الأعرج حرج"^(٦).

قال الضحاك: "كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقدر والتقرز، وقال بعضهم: قالوا المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والأعمى لا يبصر الطعام"^(٧).

الخامس: أنها نزلت في الجهاد، أي: أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد؛ لضعفهم وعجزهم. وهذا قول عطاء^(٨)، وابن زيد^(٩).

قال عطاء: "وأما: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ}، فيقال هذا في الجهاد"^(١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٨٥):ص٢٦٤٨/٨.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٤٨٦٥)، (١٤٨٦٨):ص٢٦٤٤/٨-٢٦٤٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/١٩.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٤٨٦٢):ص٢٦٤٤/٨.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٤٨٦٠):ص٢٦٤٣/٨-٢٦٤٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٦٥):ص٢٦٤٤/٨-٢٦٤٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٦٠):ص٢٦٤٣/٨-٢٦٤٤.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٤٨٦٤)، (١٤٨٦٧):ص٢٦٤٤/٨، ٢٦٤٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/١٩.

روي عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} قال: هذا في الجهاد في سبيل الله، وفي قوله: {وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} ... إلى قوله: {أَوْ صَدِيقِكُمْ} قال: هذا شيء قد انقطع، إنما كان هذا في الأول، لم يكن لهم أبواب، وكانت الستور مرخاة، وربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد، وربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا خرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك" (٢).

ب- سبب نزول قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} [النور : ٦١]:

اختلف في سبب نزوله على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في قوم، كانوا لا يأكل أحدهم وحده، ولا يأكل إلا مع غيره، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده، ومن شاء منهم مع غيره. وهذا قول ابن عباس (٣)، وقتادة (٤)، والضحاك (٥)، وابن جريج (٦).

قال ابن عباس: "كانوا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، حتى يكون معه غيره، فرخص الله لهم، فقال: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا)" (٧).

قال قتادة: "نزلت {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} في حيّ من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة" (٨).

قال ابن جريج: "كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده، حتى نزلت هذه الآية" (٩).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٦٤): ص ٢٦٤/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢١/١٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/١٩-٢٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٣/١٩-٢٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢٤/١٩.

قال الضحاك: " كانوا لا يأكلون إلا جميعا، ولا يأكلون متفرقين، وكان ذلك فيهم ديناء، فأنزل الله: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا"^(١).

قال السمعاني: " من المعروف في التفسير: أن الآية نزلت في بني بكر من كنانة، وكان لا يأكل أحد منهم وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه، وإذا لم يجد وأجهده الجوع نصب خشبة ولف عليها ثوبا وأكل عندها؛ ليظن الناس أنه إنسان يأكل معه، وروي أن واحدا منهم نزل بلقاهه واديا، فجاء فحلب لقحة منها، ونادى في الوادي: من كان ها هنا فليحضر ليأكل، وكان في الوادي رجل فاخترقى ولم يجب، وأجهده الجوع، فجلس يأكل وحده، فخرج الرجل، وقال له: يا رضيع، أتأكل وحدك، فأخذ الرجل سيفه وعدى عليه وقتله مخافة أن ينشر في الناس ذلك الفعل منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأباح للقوم أن يأكلوا منفردين وجماعة"^(٢).

الثاني: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه، فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه، فيقول: والله إنني لأجرح أن أكل معك، والجرح وأنا غني وأنت فقير، فأمرؤا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا. وهذا قول ابن عباس^(٣).

الثالث : أنها نزلت في قوم من العرب كان الرجل منهم إذا نزل به ضيف تخرج أن يتركه يأكل وحده حتى يأكل معه، فنزل ذلك فيهم ، قال أبو صالح^(٤)، وعكرمة^(٥).

وقال السدي: " كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخته أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل رب البيت ليس ثم، فقال الله: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا"^(٦).

الرابع: أنها نزلت في قوم كانوا يتخرجون أن يأكلوا جميعاً ويعتقدون أنه ذنب ويأكل كل واحد منهم منفرداً ، فنزل ذلك فيهم ، حكاها النقاش^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٢) تفسير السمعاني: ٥٥٢/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/١٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٨٧٢): ص ٢٦٤٦/٨.

الخامس : أنها نزلت في قوم مسافرين اشتركوا في أزوادهم فكان إذا تأخر أحدهم أمسك الباقيون عن الأكل حتى يحضر، فنزل ذلك فيهم ترخيصاً للأكل جماعة وفرادى. حكاها الماوردي^(٢).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعاً معاً إذا شاءوا، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداناً، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب التسليم لما دلّ عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل"^(٣).

١٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِينُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾ [النور : ٥٨ - ٥٩]

قال مقاتل: "وذلك أن نفرا من المسلمين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- نحن نقاتل المشركين فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله- عز وجل- جميعاً في الجنة، فنزلت فيهم آيتان، فقال: ﴿لِيُدْخِلَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج : ٥٩].."^(٤).

١٨- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَوَاتِنَا مِنْهُمْ مَائِدَةً وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢)﴾ [النور : ٦٢]

في سبب نزول الآية، قولان:

(١) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢٤/١٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٤/٣.

أحدها: أنها نزلت في حفر الخندق؛ وكان قوم يتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اذن.

عن عروة ومحمد بن كعب القرظي قالوا: "لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من بئر رومة بالمدينة قائدها أبو سفيان وأقبلت غطفان حتى نزلوا بتغمين إلى جانب أحد وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه وابطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعيف من العمل فيتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [النور: ٦٢]، إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤]"^(١).

الثاني: -وهو قول مقاتل- أنها: "نزلت في عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه- في غزاة تبوك وذلك أنه استأذن النبي- صلى الله عليه وسلم- في الرجعة أن يسمع المنافقين، إلى أهله فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- «انطلق فو الله ما أنت بمنافق». يريد أن يسمع المنافقين فلما سمعوا ذلك، قالوا: ما بال محمد إذا استأذنه أصحابه أذن لهم فإذا استأذناه لم يأذن لنا، فواللات ما نراه يعدل، وإنما زعم أنه جاء ليعدل"^(٢).

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٢٩/٦، وعزاه إلى ابن إسحق وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

وانظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٤٠٨/٣-٤٠٩. [باختلاف في الالفاظ]

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٠/٣-٢١١.

سورة « الفرقان »

١- {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)} [الفرقان : ٥]

قال ابن عباس: "كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش، وكان يؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا، فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه. فلهما فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثماني آيات من القرآن، قوله: {إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (١)، وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن" (٢).

٢- {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)} [الفرقان : ٦]

قل مقاتل: "وذلك أنهم قالوا بمكة سرا {هل هذا إلا بشر مثلكم}، لأنه إنسى مثلكم، بل هو ساحر، {أفتأتون السحر وأنتم تبصرون}، إلى آيتين (٣)، فأنزل الله- عز وجل: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا} في تأخير العذاب عنهم، {رَحِيمًا} حين لا يعجل عليهم بالعقوبة" (٤).

٣- {وَقَالُوا مَالٌ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا

(٧) أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَافِرًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا

{(٨)} [الفرقان : ٧ - ٨]

سبب نزول الآيتين: [٧-٨]:

(١) [القلم : ١٥ / المطففين : ١٣].

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٨/١٩.

(٣) يشير الى الآيات ٣، ٤، ٥ من سورة الأنبياء وتامها: {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ

مِثْلَكُمُ أَفْتَاتُونَ السَّحَرُ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا

أَضْعَافُ أَلْحَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)} [الأنبياء : ٣ - ٥].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٧/٣.

عن ابن عباس، "أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا- يعني ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبيلًا وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل، فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا، وكنوزا من ذهب وفضة، تغنيك عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا بفاعل، فأنزل الله في قولهم: أن خذ لنفسك ما سألوه، أن يأخذ لها، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، أو يبعث معه ملكا يصدقك بما يقول، ويرد عنه من خاصمه: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}"^(١).

قال محمد بن إسحاق: " وأنزل الله جل وعز عليه في قولهم أن خذ لنفسك ما قالوا أن تأخذ لها أن تجعل لهم جنات وقصورا وكنوزا، وأن تبعث معه ملكا يصدق ما يقول ويرد عنك من خاصمك: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}"^(٢).

٤- {انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلما يستطيعون سبيًا (٩)} {الفرقان : ٩}

قال مقاتل: " ونزل في قولهم إن محمدا مسحور، قوله- تعالى -: {انظر كيف ضربوا لك الأمثال}"^(٣).

٥- {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا (١٠)} {الفرقان : ١٠}

قال مقاتل: " ونزل في قولهم: {لولا أنزل}، يعني: هلا ألقى، {إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها}، فقال- تبارك وتعالى-: {تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك}"^(٤).

٦- {وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فينة أتصبرون وكان ربك بصيرا (٢٠)} {الفرقان : ٢٠}

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٠/١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٩٨٦): ص ٢٦٦٥/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٨/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٢٨/٣.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: " وأنزل عليه في ذلك من قولهم: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي الْأَسْوَاقِ} (١) ... الآية: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} (٢) .

الثاني: أنها نزلت حين أسلم أبو ذر الغفاري وعمار وصهيب وبلال وعمار بن فهيرة وسلام مولى أبي حذيفة وأمثالهم من الفقراء الموالى فقال المستهزئون من قريش: انظروا إلى أتباع محمد من فقرائنا وموالينا فنزلت فيهم الآية , حكاها النقاش (٣) .

٧- {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) }
[الفرقان : ٢٧ - ٢٩]

سبب نزول الآيتين: [٢٧-٢٨]

قال ابن عباس: " كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} ... إلى قوله {خَذُولًا} قال: «الظالم»: عقبة، و«فلانا خليلًا»: أبي بن خلف" (٤) .

قال سعيد بن المسيب: " نزلت في أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا}، قال: هذا عقبة: { يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا } يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا}، قال: أمية، وكان عقبة خدنا لأمية، فبلغ أمية أن عقبة يريد الإسلام فقال: وجهي من وجهك حرام إن أسلمت أن أكلمك أبدا" (٥) .

قال مقسم: " اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف، وكانا خليلين، فقال أحدهما لصاحبه: بلغني أنك أتيت محمدا فاستمعت منه، والله لا أرى عنك حتى تتقل في وجهه وتكذب، فلم يسلطه الله على ذلك، فقتل عقبة يوم بدر صبرا (٦)، وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده

(١)[الفرقان : ٧].

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥٣/١٩.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٣٨، .

(٤) أخرجه الطبري: ٢٦٢/١٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥١٠٦): ص ٢٦٨٦/٨.

(٦) يقال: قتل فلان صبراً: قدم فقتل، وهو يرى وينظر، وهو غير من يقتل في حرب أو حادث.

يوم أحد في القتال، وهما اللذان أنزل الله فيهما: {وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا} (١).

٨- {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)} [الفرقان : ٣١]
قال مقاتل: "نزلت في أبي جهل وحده" (٢).

٩- {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)}
[الفرقان : ٦٠]

عن محمد بن إسحاق، قال: " وأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في قولهم: إنه قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الذي تأتي به رجل من أهل اليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لن نؤمن به أبداً، وأنزل عليه فيما قالوا من ذلك: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا} [الفرقان: ٦٠] " (٣).

١٠- {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاتًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)} [الفرقان : ٦٨ - ٧١]

في سبب نزول الآيات: [٦٨-٧١]، وجوه:

أحدها: عن ابن عباس: " أن ناسا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثرُوا وزنوا فأكثرُوا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقوله وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون}، ونزلت: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} " (٤).

وقال السدي: " ونزلت في المشركين قالوا: كيف تأمرنا يا محمد أن نتبعك وأنت تقول إنه من أشرك أو قتل أو زنا فهو في النار، فأنزل الله: {إلا من تاب وعمل عملا صالحا} " (٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٢/١٩-٢٦٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٣/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٣٠٧): ص ٢٧١٥/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٣٩٨): ص ٢٧٢٨/٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤١٩): ص ٢٧٣٢/٨.

قال أبو مالك: "لما نزلت هذه الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر}، الآية. قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد كنا أشركنا في الجاهلية وقتلنا. فنزلت: {إلا من تاب وأمن وعمل عملاً صالحاً}"^(١).

الثاني: قال سعيد بن جبير: "نزلت هذه الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر} الآية، في كفار مكة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب وحش غلام المطعم بن عدي ابن نوفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: إني قد أشركت وزنيت وقتلت- وكان قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد- قال: هل لي من توبة؟ فنزلت فيه فاستثنى: {إلا من تاب} يعنى، من الشرك"^(٢).

ونقل يحيى بن سلام عن الكلبي: "أن وحشياً بعدما قتل حمزة كتب إلى النبي يسأله هل له توبة وكتب إليه فيما كتب: إن الله أنزل آيتين بمكة أيسراني من كل خير: {والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً} {٦٨} يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً} {٦٩} {الفرقان: ٦٨-٦٩} وإن وحشياً قد فعل هذا كله، قد زنى، وأشرك، وقتل النفس التي حرم الله، فأنزل الله: {إلا من تاب} {الفرقان: ٧٠} أي من الزنا {وأمن} {الفرقان: ٧٠} بعد الشرك {وعمل عملاً صالحاً} {الفرقان: ٧٠} بعد السيئات {وأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات} {الفرقان: ٧٠} بالشرك الإيمان، وبالفجور العفاف {وكان الله غفوراً رحيماً} {الفرقان: ٧٠}. فكتب بها رسول الله إليه، فقال وحشي: هذا شرط شديد فلعلي ألا أبقى بعد التوبة حتى أعمل صالحاً. فكتب إلى رسول الله: هل من شيء أوسع من هذا؟ فأنزل الله: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨]. فكتب بها رسول الله إلى وحشي، فأرسل وحشي إلى رسول الله: إني أخاف ألا أكون من مشيئة الله. فأنزل الله في وحشي وأصحابه: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم} [الزمر: ٥٣] فكتب بها رسول الله إلى وحشي فأقبل وحشي، إلى رسول الله وأسلم"^(٣).

الثالث: عن عبد الله بن مسعود قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: الذنب أكبر؟ قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك". قال: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك". قال: ثم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤٢٠):ص٢٧٣٢/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤١٧):ص٢٧٣١/٨.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٤٩١/١.

أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك". قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا }^(١).

(١) المسند (٣٨٠/١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٦٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٥٣٩٧): ص ٢٧٢٨/٨.

سورة « الشعراء »

١- {وَأَنَّهُ لَنَتَّزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢)} [الشعراء: ١٩٢]

قال مقاتل: " وذلك أنه لما قال كفار مكة: إن محمدا- صلى الله عليه وسلم- يتعلم القرآن من أبي فكيهة ويجيء به الري، وهو شيطان، فيلقيه على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم- فأكذبهم الله- تعالى- فقال- عز وجل-: {وإنه لتنزيل رب العالمين}، يعنى: القرآن" (١).

٢- {أَفْبَعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)} [الشعراء: ٢٠٤]

قال مقاتل: " فلما أوعدهم النبي- صلى الله عليه وسلم- العذاب، قالوا فمتى هذا العذاب تكذيبا به، يقول الله- عز وجل-: {أفبعذابنا يستعجلون}" (٢).

٣- {وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)} [الشعراء: ٢١٥]

قال ابن جريج: " لما نزلت هذه الآية {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] بدأ بأهل بيته وفصيلته؛ قال: وشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين}" (٣).

٤- {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)} [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦]

سبب نزول الآيات: [٢٢٤-٢٢٦]:

عن ابن عباس، قوله: "والشعراء يتبعهم الغاؤون" ... إلى آخر الآية، قال: كان رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وأنهما تهاجيا، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فقال الله: {والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون}" (٤).

٥- {إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)} [الشعراء: ٢٢٧]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤١١/١٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١٦/١٩.

قال عطاء بن يسار: "نزلت {والشعراء يتبعهم الغاؤون} إلى آخر السورة في حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك"^(١).

عن أبي الحسن البراد قال: "لما أنزلت هذه الآية: {والشعراء يتبعهم الغاؤون}، قال: جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت قالوا: يا رسول الله: والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكننا، قال: فأنزل الله: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلى عليهم: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}: أنتم {وذكروا الله كثيرا}: أنتم ، {وانتصروا من بعد ما ظلموا}: أنتم"^(٢).

قال ابن كثير: "هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، والله أعلم ، ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتى يدخل فيه مَنْ كان متلبساً من شعراء الجاهلية بدم الإسلام وأهله ، ثم تاب وأناب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحاً ، وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيئ ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بدمه ، كما قال عبد الله بن الزبَعْرَى حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ ، إِنَّ لِسَانِي... رَاتِقٌ مَا فَتَّقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ

إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْعَيْ... ي وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورٌ

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما كان يهجو ، ويتولاه بعدما كان قد عاداه. وهكذا روى مسلم في صحيحه"^(٣).

عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطينهن قال : "نعم". قال : معاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال : "نعم". قال : وتؤمرني حتى أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين. قال : "نعم". وذكر الثلاثة"^(٤).

(١) أخرجه الطبري: ٤١٨/١٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٠٧٧): ص ٢٨٣٥/٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٧٦/٦.

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٥٠١).

سورة «النمل»

١- {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧)} [النمل: ٦٧]

قال مقاتل: "نزلت في أبي طلحة وشيبة ومشافع وشرحبيل والحارث وأبوه وأرطاة بن شرحبيل"^(١).

٢- {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)} [النمل: ٩٣]

قال مقاتل: "وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أخبرهم بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه، فنزلت: {سيريكم آياته}، يعني: القتل ببدر إذا نزل بكم فلا تستعجلون"^(٢).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣١٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٣١٩.

سورة «القصص»

١- {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [القصص : ٥٢]

قال علي بن رفاعة: "خرج عشرة رهط من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعة، يعني: أباه، إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأمنوا، فأوذوا، فنزلت: {الذين آتيناهم الكتاب من قبله}، قبل القرآن" (١).
قال قتادة: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، وينتهون إليها، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم: سلمان، وعبد الله بن سلام" (٢).

قال الطبري: "يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون. فيقولون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب" (٣).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، كما قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة : ١٢١] ، وقال: {وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ} [آل عمران : ١٩٩] ، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٧ ، ١٠٨] ، وقال: {وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمُ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة : ٨٢ ، ٨٣] (٤).

قال ابن عباس: "يعني: من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب" (٥).

عن مجاهد: "الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به} ... إلى قوله: {لا نبتغي الجاهلين} في مسلمة أهل الكتاب" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

(٣) تفسير الطبري: ٥٩٤/١٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤٤/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

عن الضحاك، في قوله: "الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون" ... إلى قوله: {من قبله مسلمين} ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فأمنوا به. فاتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا: بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث، وبتابعهم إياه حين بعث، فذلك قوله: {إنا كنا من قبله مسلمين}"^(٢).

٢- {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص : ٥٤]

في سبب النزول الآية، أقوال:

أحدها:- عن مجاهد، قال: "إن قوما كانوا مشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فنزلت: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص : ٥٤]"^(٣).

الثاني: عن قتادة في قول الله: " {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [القصص : ٥٤]: عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي إن هذه الآيات أنزلت فيهم، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد أوتوا أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته} فقال أهل الكتاب: قد أعطوا كما أعطينا. فأنزل الله: {لئلا يعلم أهل الكتاب} حتى ختم الآية"^(٤).

الثالث: - وروي عن سعيد بن جبير، قال: "لما أتى جعفر وأصحابه النجاشي، أنزلهم وأحسن إليهم، فلما أرادوا أن يرجعوا قال من آمن من أهل مملكته: ائذن لنا فلنحذف هؤلاء في البحر ونأتي هذا النبي فنحدث به عهدا، قال: فانطلقوا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدوا معه أحدا، وحينئذ، وخبير، قال: ولم يصب أحد منهم، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ائذن لنا فلنأت أرضنا، فإن لنا أموالا فنجيء بها فننقها على المهاجرين فإننا نرى بهم جهدا، قال: فأذن لهم فانطلقوا، فجاءوا بأموالهم فانفقوها على المهاجرين، فأنزل الله فيهم الآية: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [القصص : ٥٤]"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩٥/١٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٩٦/١٩.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٨٢): ص ٢٩٨٩/٩ - ٢٩٩٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٩٢): ص ٢٩٩٢/٩.

٣- {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)} [القصص : ٥٦]

عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: "أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله " فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه [ص: ١١٣]، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} [القصص: ٥٦]"^(١).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه: "قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة"، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦]"^(٢).

٤- {وَقَالُوا إِن نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُحْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)} [القصص : ٥٧]

قال قتادة: "ذكر لنا أن ناسا من أهل مكة قالوا: إنا نعلم أنك رسول الله، وأن الذي تقول حق، ولكننا لا نستطيع ترك أوطاننا، فأنزل الله هذه الآية"^(٣).

٥- {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)} [القصص : ٦٨]

قال مقاتل: "وذلك أن الوليد قال في «حم» الزخرف: {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْبِيِّنَ عَظِيمٍ} [الزخرف : ٣١]، يعني: نفسه وأبا مسعود الثقفي، فذلك قوله- سبحانه-: {ويختار}،

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري: ٥٠٦/٨ - ح: ٤٧٧٢) ومسلم (٥٤/١ - ح: ٢٤) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٦٥/١٨ - ح: ٣٠٠) وابن جرير (٥٩/٢٠) والطبراني (المعجم الكبير: ٣٤٩/٢٠ - ح: ٨٢٠) والبيهقي في "الدلائل" (٣٤٣، ٣٤٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥/١ - ح: ٢٥) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٢٧/١٨ - ح: ٣٧٠) والترمذي (٣٤١/٥ - ح: ٣١٨٨) وابن جرير (٥٨/٢٠) والبيهقي في "الدلائل" (٣٤٤/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٠٩): ص ٢٩٩٥/٩.

أي: للرسالة والنبوة من يشاء، فشاء- جل جلاله- أن يجعلها في النبي- صلى الله عليه وسلم- وليست النبوة والرسالة بأيديهم ولكنها بيد الله- عز وجل-، ثم نزه نفسه- تبارك وتعالى- عن قول الوليد حين قال: { أَجْعَلْ } محمد- صلى الله عليه وسلم- {الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} [ص : ٥] ، فكفر بتوحيد الله- عز وجل- فأنزل الله- سبحانه- ينزه نفسه- عز وجل- عن شركهم فقال: {سُبْحَانَ اللَّهِ...} (١).

قال ابن الجوزي: " قال أهل التفسير: نزلت جوابا للوليد بن المغيرة، حين قال فيما أخبر الله تعالى عنه: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ} [الزخرف : ٣١]، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم" (٢).

٦- {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨٥)} [القصص : ٨٥]

قال الضحاك: " لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه القرآن: {لرأدك إلى معاد}، إلى مكة" (٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان : ٣٥٣/٣-٣٥٤.

(٢) أسباب النزول: ٣٤٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٠٥):ص٣٠٢٦/٩.

سورة «العنكبوت»

١- {الم (١) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} [العنكبوت : ١ - ٣]

وفي سبب نزول الآيات [١- ٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أنها نزلت من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة، وتخلفوا عن الهجرة. قاله الشعبي^(١).

قال الشعبي: "إنها نزلت، يعني {الم أحسب الناس أن يتركوا}، الآيتين في أناس كانوا بمكة أقروا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة: إنه لا يقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فاتبعهم المشركون، فردوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم: إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج، فإن اتبعنا أحد قاتلناه، قال: فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم ثم، فمنهم من قتل، ومنهم من نجا، فأنزله الله فيهم {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم}"^(٢).

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فعرض لهم المشركون فرجعوا فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم من القرآن، فخرجوا فقتل من قتل وخلص من خلس فنزل القرآن: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}"^(٣).

الثاني: أنها "نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذب في الله". وهذا قول عبد الله بن عبيد بن عمير^(٤).

الثالث: -وهو قول مقاتل-: أنها "نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر وهو أول من يدعى إلى الجنة من شهداء أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- فجزع عليه أبواه. وكان الله- تبارك وتعالى- بين للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله- عز وجل- وقال النبي- صلى الله عليه وسلم- يومئذ: سيد الشهداء

(١) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٠، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧١٣١): ص ٣٠٣١/٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٩/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧١٣١): ص ٣٠٣١/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٣٢): ص ٣٠٣١/٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٠-٨، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧١٣٦): ص ٣٠٣٢/٩.

مهجع^(١)، وكان رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله، فأُنزل الله- عز وجل- في أبويه عبد الله وامرأته: {الم (١) أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا..} [العنكبوت : ١ - ٢]"^(٢).

ولا تعارض بين هذه الأسباب فكلها أمثلة لمن حصل لهم البلاء بسبب إيمانهم، وحكمها باق. قال ابن عطية: وهذه الآية وإن كانت نزلت بهذا السبب وفي هذه الجماعة فهي بمعناها باقية في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، موجود حكمها بقية الدهر، وذلك أن الفتنة من الله تعالى والاختبار باق في ثغور المسلمين بالأسر ونكاية العدو وغير ذلك، وإذا اعتبر أيضا كل موضع ففيه ذلك بالأمراض وأنواع المحن ولكن التي تشبه نازلة المؤمنين مع قريش هي ما ذكرناه من أمر العدو في كل ثغر"^(٣).

٢- {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)} [العنكبوت : ٨]

عن سماك بن حرب، قال: "سمعت مصعب بن سعد، يحدث، عن أبيه سعد، قال: «أنزلت في أربع آيات» - فذكر قصة - فقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر، والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر، قال: «فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهًا» فنزلت هذه الآية {ووصينا الإنسان بوالديه حسنا} [العنكبوت: ٨] الآية"^(٤).

قال قتادة: "نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر، قالت أمه: والله لا يظلني بيت حتى يرجع، فأُنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما، ولا يطيعهما في الشرك"^(٥).

قال مقاتل: "نزلت في سعد بن أبي وقاص الزهري- رضي الله عنه- وأمهم حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.. وذلك أنه حين أسلم حلفت أمه لا تأكل طعاما، ولا تشرب

(١) قال سعيد بن المسيب: "قتل يوم بدر خمسة رجال من المهاجرين من قريش مهجع مولى عمر يحمل يقول: أبا مهجع وإلى ربي أرجع، وقتل ذو الشمالين وابن بيضاء وعبيدة بن الحارث وعامر بن أبي وقاص". أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٠/٧، رقم ٣٦٦٩٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٣٧٢. وذكره عنه الثعلبي: ٧/ ٢٧٠. والواحد في "أسباب النزول" ٣٤٠. وقال عنه الزيلعي: غريب. "تخريج أحاديث الكشاف" ٣/ ٣٩، وساق ما روي في شأن مهجع -رضي الله عنه- (٣) المحرر الوجيز: ٤/ ٣٠٥.

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٨٩):ص٣٤١/٥، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

وأنظر: المسند (١٨١/١) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٨) وسنن أبي داود برقم (٢٧٤٠)

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٢.

شرابا، ولا تدخل كنا حتى يرجع سعد عن الإسلام، فجعل سعد يترضاها فأبت عليه، وكان بها بارا فأتى سعد- رضي الله عنه- النبي- صلى الله عليه وسلم- فشكى إليه فنزلت في سعد- رضي الله عنه- هذه الآية^(١).

٣- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)} [العنكبوت : ١٠]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها "نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون، فإذا أُوذوا وأصابهم بلاء من المشركين، رجعوا إلى الكفر مخافة من يؤذيهم، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله". قاله الضحاك^(٢).

الثاني: أنها نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة، فخرجوا مهاجرين، فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ما أرادوا منهم. وهذا قول ابن عباس^(٣)، وقتادة^(٤)، والسدي^(٥).

قال ابن عباس: "كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بإسلامهم، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم وقتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ...} إلى آخر الآية، قال: فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية أن لا عذر لهم، فخرجوا. فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت فيهم هذه الآية {ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ...} إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجا، فخرجوا، فأدركهم المشركون، فقاتلوهم، حتى نجا من نجا، وقتل من قتل"^(٦).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٣٧٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣ / ٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣ / ٢٠-١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤ / ٢٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧١٧٢): ص ٣٠٣٧/٩.

(٦) أخرجه الطبري: ١٤ / ٢٠.

عن قتادة، قوله: "ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله ... {، إلى قوله: {وليعلمن المنافقين}، قال: هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة، وهذه الآيات العشر مدنية إلى ههنا وسائرهما مكي" (١).

قال السدي: "كان ناس من المؤمنين آمنوا وهاجروا فلحقهم أبو سفيان فرد بعضهم إلى مكة فعذبهم فافتتنوا فأنزل فيهم هذا" (٢).

٤- {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)} [العنكبوت : ٤٨]

قال قتادة: "كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا لا يخط بيمينه ولا يقرأ كتابا، فنزلت هذه الآية" (٣).

٥- {أُولَئِكَ يَكْفُهُمْ أَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)} [العنكبوت : ٥١]

عن يحيى بن جعدة: "أن ناسا من المسلمين أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بكتب، قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: «كفى بها حماقة قوم -أو ضلالة قوم- أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم، إلى قوم غيرهم»، فنزلت: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون} (٤).

٦- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨)} [العنكبوت : ٦٨]

قال عكرمة: "النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} (٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٤ / ٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٧٢): ص ٣٠٣٧/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٣٧٠): ص ٣٠٧١/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٣ / ٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٤٤٦): ص ٣٠٨٣ / ٩.

سورة «الروم»

١- {الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)} [الروم : ١ - ٥]
سبب نزول الآيات: [٥-١]:

عن عكرمة: "أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذ أدراعات، بها التقوا، فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتموا، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله: {الم غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرَ اللَّهِ ...} الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم، فقام إليه أبي بن خلف، فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "مَا هَكَذَا ذَكَرْتُ، إِنَّمَا الْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الثَّسْعِ، فَرَايْدُهُ فِي الْخَطَرِ، وَمَادَّةُ فِي الْأَجْلِ". فخرج أبو بكر فلقى أبيًا، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا فقال: أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل، فاجعلها مئة قلووس لمئة قلووس إلى تسع سنين، قال: قد فعلت" (١).

عن يحيى بن يعمر: "أن قيصر بعث رجلا يدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأدراعات وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلقبت فارس الروم، فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأنزل الله: {الم غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ...} ثم ذكر مثل حديث عكرمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطوهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج، ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم

(١) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٦٩-٧٠.

قال: وقال عكرمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأنني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلي شهربراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان. فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرخان، إن له نكاية وضربا في العدو، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارس خلفا منه، فعجل إليّ برأسه، فراجعه، فغضب كسرى، فلم يجبه، وبعث بريدا إلى أهل فارس، إني قد نزعت عنكم شهربراز، واستعملت عليكم فرخان، ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا ولي فرخان الملك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه؛ فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا وطاعة، ونزل عن سريره وجلس فرخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: انتوني بشهربراز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسّفط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردّ الملك، وكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلغها الصحف، فالقني، ولا تلقني إلا في خمسين روميا، فإني ألك في خمسين فارسيا، فأقبل قيصر في خمس مئة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أنته عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد منهما سكين، فدعا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعا، فنحن نقاتله معك. فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعا بسكينيهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحُدَيْبية، ففرح ومن معه^(١).

عن أبي سعيد، قال: " لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين؛ لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ (٣)} [الروم: ١ - ٣]، قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ: {وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرَ اللَّهِ (٥)} [الروم: ٤ - ٥] " (٢).

(١) أخرجه الطبري: ٧٠-٧١.

(٢) أخرجه الطبري: ٧٣ / ٢٠، والواحد في أسباب النزول: ٣٥٤-٣٥٥، باختلاف يسير في الألفاظ، وأخرجه الترمذي في التفسير (٣١٩٢) وقال: " هذا حديث حسن غريب." وفي إسناده عطية بن سعد بن جنادة العوفي: وهو ضعيف.

قال الثعلبي: " قال المفسرون: كانت في فارس امرأة لا تلد إلا الملوك والأبطال بسم الله الرحمن الرحيم! فدعاها كسرى فقال: إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشا وأستعمل عليهم رجلا من بنيك فأشير علي أيهم أستعمل؟ فقالت: هذا فلان، أروغ من ثعلب، وأحذر من صقر^(١)، وهذا فرخان أنفذ من سنان^(٢)، وهذا شهريراز^(٣) هو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت. قال: فإني استعملت الحلیم، فاستعمل شهريراز، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زيتونهم، وكان قيصر بعث رجلا يدعى يحنس^(٤) وبعث كسرى شهريراز فالتقيا بأذرعاء وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وأصحابه بمكة فشق عليهم، وكان النبي صلى الله عليه يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح كفار مكة وشمتوا ولقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم. فإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم.

فأنزل الله عز وجل: {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)} [الروم : ١ - ٢]... إلى آخر الآيات.

فخرج الصديق رضي الله عنه إلى الكفار فقال: فرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل بيننا أجلا أناحك عليه، والمناحبة: المراهنة على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت، ففعل ذلك وجعلوا الأجل ثلاث سنين.

فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وذلك قبل تحريم القمار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين ثلاث إلى التسع فزيده في الخطر وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال: لعلك ندمت قال: لا، قال: فتعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت فلما خشي أبي

(١) انظر: كتاب الأمثال: ١٠٧.

(٢) في تفسير القرطبي (٤ / ٣) : فرخان أحد من سنان وأنفذ من نبل.

(٣) في التفاسير: شهر بنان، وفي تفسير الطبري ٧٠/٢٠: شهر براز، وفي تفسير مقاتل: ٤٠٣/٣: «شهر بران»

(٤) في تفسير الطبري ٧/٢٠: يدعى: قطعة بجيش من الروم.

بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه فقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلا، فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر.

فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه قال: والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه حين بارزه. وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناحبتهم.

قال الثعلبي: هذا قول أكثر المفسرين^(١).

قال ابن كثير: "نزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقاصي بلاد الروم، واضطر هرقل ملك الروم حتى ألجأه إلى القسطنطينية، وحاصره فيها مدة طويلة، ثم عادت الدولة لهرقل"^(٢).

٢- {وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {الروم : ٢٧}

قال عكرمة: "تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، قال: فنزلت هذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}، إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق"^(٣).

٣- {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} {الروم : ٢٨}

عن ابن عباس قال: "كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فأنزل الله: { هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَآ رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ }"^(٤).

٤- {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} {الروم : ٦٠}

قال مقاتل: "فلما أخبرهم الله- عز وجل- بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا كذبوه فأنزل الله- تبارك وتعالى-: {فاصبر} يا محمد على تكذيبهم إياك بالعذاب، يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم-

(١) الكشف والبيان: ٧ / ٢٩١-٢٩٢. وانظر: أسباب النزول للواحيدي: ٣٥٤، ذكره مختصرا.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦ / ٢٩٨.

(٣) .

(٤) أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير (٢٠/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) : "وفيه حماد بن شعيب

وهو ضعيف".

ليصبر فقال: {فاصبر إن وعد الله حق}، يعني: صدق بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم:- عجل لنا العذاب في الدنيا إن كنت صادقاً. هذا قول النضر بن الحارث القرشي من بني عبد الدار بن قصي، فأنزل الله- تعالى:- {ولا يستخفنك}، يعني: ولا يستفزرك في تعجيل العذاب بهم الذين لا يوقنون بنزول العذاب عليهم في الدنيا، فعذبهم الله- عز وجل- ببدر حين قتلهم وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار فهم يعرضون عليها كل يوم طرفي النهار ما دامت الدنيا، فقتل الله النضر بن الحارث ببدر وضرب عنقه علي بن أبي طالب- رضي الله عنه^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٣.

سورة «لقمان»

١- {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ مُهِينٌ} [لقمان : ٦]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيروبها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية. قاله الكلبي^(١)، ومقاتل^(٢).

الثاني: عن أبي أمامة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمانهن حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} إلى آخر الآية"^(٣).

وقال مجاهد: "نزلت في شراء القيان والمغنيات"^(٤).

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في أسباب النزول: ٣٥٦، والكلبي متهم بالكذب.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٤.

(٣) أخرجه الترمذي في البيوع (١٢٨٢) وقال: "حديث أبي أمامة إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه، وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي". وأخرجه في التفسير (٣١٩٥) وقال: "هذا حديث غريب إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة والقاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، قال: سمعت محمدا يقول: القاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف".

وأخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات (٢١٦٨)، ولم يذكر في الإسناد علي بن يزيد ولا القاسم.

وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٢ / ٥)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢١٢، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤) والبيهقي في السنن (٦ / ١٥)، والطبري في التفسير: ١٢٦/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٥٢٣): ص ٣٠٩٦/٩.

وذكره الهيثمي في المجمع (٨ / ١٢١) وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢ / ١٩٨) وأخرجه ابن جرير (٢١ / ٣٩).

وزاد السيوطي نسبه في الدر (٥ / ١٥٩) لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في أسباب النزول: ٣٥٦، [مرسل].

وروي ع مجاهد، قال: "هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير، والاستماع إليهم، وإلى مثله من الباطل". بدون كلمة «نزلت». [تفسير مجاهد: ٥٤١].

وقال الحسن: "نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث في الغناء والمزامير"^(١).
 وقال ابن عباس: "نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً"^(٢).
 ٢- {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
 إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)} [لقمان : ١٤]

قال مصعب بن سعد: "حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب، حتى يتحول سعد عن دينه،
 قال: فأبى عليها، فلم تزل كذلك حتى غشي عليها، قال: فأتاها بنوها فسقوها، قال: فلما أفاقت دعت
 الله عليه، فنزلت هذه الآية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ}، إلى قوله: {فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان : ١٥]
 " (٣).

قال أبو هبيرة: "نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}"^(٤).

٣- {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
 وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)} [لقمان : ١٥]

أ- سبب نزول قوله تعالى: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا}
 [لقمان : ١٥]

عن أبي عثمان النهدي : "أن سعد بن مالك قال : أنزلت في هذه الآية : {وَإِنْ
 جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} الآية ، وقال : كنت رجلاً برّاً
 بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لئدعَنَ دينك هذا أو لا
 آكل ولا أشرب حتى أموت ، فُتَعَيَّرَ بي ، فيقال : "يا قاتل أمه". فقلت : لا تفعلني يا أمه ،
 فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً
 آخر وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ، تعلمين

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٦):ص٣٠٩٦/٩.

(٢)

في سنده ثوير بن أبي فاخنة: وهو ضعيف. [تقريب ١/ ١٢١].

وقال سفيان الثوري: كان ثوير بن أبي فاخنة من أركان الكذب [المجروحين ١/ ٢٠٥].

(٣) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٠.

والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي. فأكلت"^(١).

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} [لقمان : ١٥]:

قال عطاء عن ابن عباس: "يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: أمنت وصدقت محمداً؟ فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى- يقول لسعد-: واتبع سبيل من أناب إلي يعني أبا بكر رضي الله عنه"^(٢).

٤- {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} [لقمان : ٢٠]

في سبب نزول قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} [لقمان : ٢٠]، قولان:

أحدهما: عن أبي مالك، قوله: "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم، قال: نزلت في النضر بن الحارث"^(٣).

الثاني: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، أخبرني عن ربك، من أي شيء هو؟ فجاءت صاعقة فأخذته. وهذا قول مجاهد^(٤).

٥- {وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (٢٣) [لقمان : ٢٣]

(١) رواه الطبراني في كتاب العشرة، نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢١٦/٢) عن داود بن أبي هند.

(٢) اسباب النزول للواحدى: ٣٥٨. بدون سند.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٧٧٦): ص٢٤٧٤/٨.

(٤) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٧٤/١٤.

والخبر رواه الطبري بسنده عن مجاهد، قال: "جاء يهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}." [انظر: تفسير الطبري (٢٠٢٦٧): ص٣٩١/١٦]

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة قالوا في: {حم عسق}، {افترى على الله كذباً} (١)، يعنون: النبي- صلى الله عليه وسلم- حين يزعم أن القرآن جاء من الله- عز وجل- فشق على النبي- صلى الله عليه وسلم- قولهم وأحزنه فأنزل الله- عز وجل- {ومن كفر} بالقرآن {فلا يحزنك كفره..} (٢).
٦- {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)} [لقمان : ٢٧]

عن ابن عباس: أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة: يا محمد، رأيت قوله: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا"، فقالوا: ألسنت تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ»، فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}، أي: أن التوراة في هذا من علم الله قليل (٣).

عن عطاء بن يسار، قال: "لما نزلت بمكة: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}، يعني: اليهود، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد، ألم يبلغنا أنك تقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} أفتعنينا أم قومك؟ قال: "كلا قد عنيت"، قالوا: فإنك تتلو أنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كل شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هي في علم الله قليل، وقد أتاكم الله ما إن عملتم به أننفعنكم"، فأنزل الله: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ...} إلى قوله: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٤).

٧- {مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)} [لقمان : ٢٨]

قال مقاتل: "نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأشددين واسمه أسيد بن كلدة ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق بن حذيفة السهمي، كلهم من قريش وذلك أنهم قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إن الله خلقنا أطوارا، نطفة، علقة، مضغة، عظاما، لحما، ثم تزعم أنا نبعت خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة، فقال الله- عز وجل-: {ما خلقكم}- أيها الناس- جميعا على الله- سبحانه- في القدرة إلا

(١) [سورة الشورى: ٢٤]، ومنها: {أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك} [الشورى : ٢٤].

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٠.

كخلق نفس واحدة، {ولا بعثكم} جميعا على الله- تعالى- إلا كبعث نفس واحدة {إن الله سميع بصير} لما قالوا من الخلق والبعث"^(١).

٨- {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} {٣٤} [لقمان : ٣٤]

عن مجاهد: " {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}، قال: جاء رجل - قال أبو جعفر: أحسبه أنا، قال: - إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محل جدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت، فأنزل الله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ...}، إلى آخر السورة، قال: فكان مجاهد يقول: هنّ مفاتيح الغيب التي قال الله: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}"^(٢).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠، وابن أبي حاتم(١٧٥٦٥):ص٣١٠١/٩

سورة «السجدة»

١- {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

{(١٥)} [السجدة : ١٥]

قال الفراء: "كان المنافقون إذا نودي بالصلاة فإن خفوا عن أعين المسلمين تركوها، فأنزل الله: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا}، إذا نودوا إلى الصلاة أتوها فركعوا وسجدوا غير مستكبرين"^(١).

٢- {تَنَجَّأَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)}

[السجدة : ١٦]

عن أنس بن مالك، "أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء: {تَنَجَّأَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"^(٢).

عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: "قال بلال لما نزلت هذه الآية: { تَنَجَّأَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } الآية، كنا نجلس في المجلس، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب إلى العشاء، فنزلت هذه الآية: { تَنَجَّأَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"^(٣). وقال مقاتل: "نزلت في الأنصار"^(٤).

٣- {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨)} [السجدة : ١٨]

قال عطاء بن يسار: "نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحدّ منك سنانا، وأردّ منك للكتيبة، فقال علي: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ} إلى قوله: {بِهِ يُكذَّبُونَ}"^(٥).

(١) معاني القرآن: ٣٣١/٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٠.

(٣) مسند البزار برقم (٢٢٥٠) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٧): "فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف".

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٠-١٨٨.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلي: "نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة"^(١).

قال مقاتل: " وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط من بني أمية أخو عثمان بن عفان- رضي الله عنه- من أمه قال لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اسكت فإنك صبي، وأنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأكثر حشوا في الكتبية منك. قال له علي- عليه السلام-: اسكت فأنت فاسق. فأنزل الله- جل ذكره-: {أَقْمَنُ كَانَ مُؤْمِنًا}، يعني: عليا -عليه السلام- {كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا}، يعني: الوليد"^(٢).

٤- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)} [السجدة : ٢٢]

قال مقاتل: " نزلت في المطعمين والمستهزئين من قريش انتقم الله- عز وجل- منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار"^(٣).

٥- {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرُوا إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (٣٠)} [السجدة : ٢٨ - ٣٠]

قال مقاتل: " وذلك أن المؤمنين قالوا إن لنا يوما نتنعم فيه ونستريح فقال كفار مكة: {مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}؟ يعنون النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، تكذيبا بالبعث بأنه «ليس بكائن فإن كان البعث حقا صدقنا يومئذ فأنزل الله- تبارك وتعالى- {قُلْ يَا مُحَمَّدُ، {يَوْمَ الْفَتْحِ}، يعني: القضاء، {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ} بالبعث، لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم-: «إن كان البعث الذي تقول حقا صدقنا يومئذ»، فذلك قوله - عز وجل- {يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالبعث، لقولهم: «إن كان ذلك اليوم حقا صدقنا»، {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ}، يقول: لا يناظر بهم العذاب حتى يقولوا، فلما نزلت هذه الآية أراد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يرسل إليهم فيجزئهم وينبؤهم فأنزل الله- تبارك وتعالى- يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- إلى مدة: {فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْتَظِرُوا} بهم العذاب، يعني: القتل ببدر {إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ} العذاب، يعني: القتل ببدر"^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٥١):ص٣١٠٩/٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٣/٣-٤٥٤.

وروي عن قتادة، قال: " قال الصحابة: إن لنا يوم يوشك أن نستريح فيه وننتعم فيه. فقال المشركون: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». فنزلت" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٦):ص٣١١١/٩.

سورة «الأحزاب»

١- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)}

[الأحزاب : ١ - ٣]

سبب نزول الآيات: [٣-١]:

قال مقاتل: " وذلك أن عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، وهم المنافقون كتبوا مع غلام لطعمة إلى مشركي مكة من قريش إلى أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور رأس الأحزاب أن أقدموا علينا فسنكون لكم أعوانا فيما تريدون، وإن شئتم مكرنا بمحمد- صلى الله عليه وسلم- حتى يتبع دينكم الذي أنتم عليه فكتبوا إليهم: إنا لن نأتيكم حتى تأخذوا العهد والميثاق من محمد فإننا نخشى أن يغدر بنا، ثم نأتيكم فنقول وتقولون لعله يتبع ديننا فلما جاءهم الكتاب، انطلق هؤلاء المنافقون حتى أتوا النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا أتيناك في أمر أبي سفيان بن حرب، وأبي الأعور، وعكرمة بن أبي جهل أن تعطيهما العهد والميثاق على دمايتهن وأموالهن فيأتون وتكلمهم لعل إلهك يهدي قلوبهم فلما رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك وكان حريصا على أن يؤمنوا أعطاهم الأمان من نفسه فكتب المنافقون إلى الكافرين من قريش أنا قد استمكننا من محمد- صلى الله عليه وسلم- ولقد أعطانا وإياكم الذي تريدون فأقبلوا على اسم اللات والعزى لعلنا نزيله إلى ما نهواه، ففرحوا بذلك ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة فلما دخلوا على عبد الله بن أبي أنزلهم وأكرمهم ورحب بهم وقال أنا عند الذي يسركم محمد أذن ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره فأبشروا واستعينوا ألتهكم عليه فإنها نعم العون لنا ولكم فلما رأوا ذلك منه قالوا أرسل إلى إخواننا فأرسل عبد الله بن أبي إلى طعمة وسعد أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا فلما أتاهم الرسول جاءوا فرحبوا بهم ولزم بعضهم بعضا من الفرع وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- عن دينه. فقال عبد الله بن أبي: أما أنا فأقول له ما تسمعون لا أعدوا ذلك ولا أزيد. أقول إنا- معشر الأنصار- لم نزل وإلهنا محمود بخير ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه في مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد كل خير ولكن لو شاء محمد قبل أمرا كان يكون ما عاش لنا وله ذكر في الأولين الذين مضوا ويذهب ذكره في الآخرين على أن يقول إن اللات والعزى لهما شفاعاة يوم القيامة ولهما ذكر ومنفعة على طاعتها. هذا قلتي له ... قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدا

زعموا أنه لن يبقى بها أحدا منا من شدة بغضه إيانا وإنا نخشى أن يكون يضمنا في نفسه ما كان لقي أصحابه يوم أحد. قال عبد الله بن أبي: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك وأو في بالعهد منا فلما أصبحوا أتوه فسلموا عليه فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: مرحبا بأبي سفيان اللهم اهد قلبه. فقال أبو سفيان: اللهم يسر الذي هو خير فجلسوا فتكلموا وعبد الله بن أبي، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ارفض ذكر اللات والعزة ومناة حجر يعبد بأرض هذيل وقل: إن لهما شفاعاة ومنفعة في الآخرة لمن عبدهما فنظر إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- وشق عليه قولهم فقال عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه - ائذن لي يا رسول الله في قتلهم. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إني قد أعطيتهم العهد والميثاق. وقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان. فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قوما استأنسوا إليك يا محمد ورجوا منك أمرا فأما إذا قطعت رجاءهم فإنه لا ينبغي لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك وأصحابك. فإن هذا من قوم أكرموك ونصروك وأعانوك ولولاهم لكنت مطلوبا مقتولا وكنت في الأرض خائفا لا يقبلك أحد. فزجرهم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال: اخرجوا في لعنة الله وغضبه فعليكم رجس الله وغضبه وعذابه ما أكثر شرككم وأقل خيركم وأبعدكم من الخير وأقربكم من الشر فخرجوا من عنده، فأمر النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يخرجهم من المدينة، فقال بعضهم لبعض لا نخرج حتى يعطينا العهد إلى أن نرجع إلى بلادنا فأعطاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك فنزلت فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب : ١]، يعني- تبارك وتعالى- أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور اسمه عمرو بن سفيان، ثم قال: ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب : ١]، يعني: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب : ١].

فلما خرجوا من عنده قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ما لهؤلاء؟ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأحزاب : ٢]، يعني: ما في القرآن، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٢]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأحزاب : ٣]، وثق بالله فيما تسمع من الأذى، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب : ٣]، ناصرنا ووليا ومانعا فلا أحد أمنع من الله- تعالى-.

وإنما نزلت فيها: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ} [الأحزاب : ١] من أهل مكة، {وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١] من أهل المدينة، يعنى: هؤلاء النفر الستة المسلمين {وَدَعَّ أَدَاهُمْ} [الأحزاب : ٤٨] إياك، لقولهم للنبي- صلى الله عليه وسلم-: قل للآلهة شفاعة ومنفعة لمن عبدها^(١).
 ٢- {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ لِلنَّائِي تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)} [الأحزاب : ٤]

أولاً:- في سبب نزول قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب : ٤]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رجل من قريش يسمى من دهيه^(٢) ذا القلبين، فأنزل الله هذا في شأنه"^(٣). [ضعيف]

وقال قتادة: "كان رجل على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسمى ذا القلبين، فأنزل الله فيه ما تسمعون"^(٤).

قال مجاهد: "إن رجلا من بني فهر، قال: إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكذب"^(٥).

وقال الحسن: "كان رجل يقول لي: نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون"^(٦).

وقال عكرمة: "كان رجل يسمى ذا القلبين، فنزلت: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}^(٧)."

قال الواحدي : "نزلت في جميل بن معمر الفهري، وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٨/٣-٤٧١.

(٢) الدهو والدهى والدهاء: العقل.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠-٢٠٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

عقل محمد. فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: قد انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، وعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده"^(١).

الثاني: أنها نزلت في قوم من أهل النفاق، وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين، فنفي الله ذلك عن نبيه وكذبهم. وهذا القول مروى عن ابن عباس^(٢).

عن قابوس - يعني ابن أبي ظبيان - : "أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ }، ما عني بذلك؟ قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فصلى، فخطر خطرة^(٣)، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأنزل الله: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ }"^(٤).

الثالث: أنها نزلت في زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبناه، فضرب الله بذلك مثلاً. قاله الزهري^(٥).

قال الزهري: "بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب له مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك"^(٦).

ثانياً:- سبب نزول قوله تعالى: { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ } [الأحزاب : ٤]:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن»، {ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله} [الأحزاب: ٥]"^(٧).

(١) أسباب النزول: ٣٥١-٣٥٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٣) خطر خطرة: سها سهوة.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٧) أخرجه البخاري في التفسير (٤٧٨٢): ص ١١٦/٦، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٥ / ٦٢) ص ١٨٨٤ والترمذي في التفسير (٣٢٠٩) وفي المناقب (٣٨١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٤١٦).

وقال مجاهد: "نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه"^(١).

قال الواحدي: "نزلت في زيد بن حارثة، كان عبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعتقه وتبناه قبل الوحي فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها! فأنزل الله تعالى هذه الآيات"^(٢).

٣- {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)}
[الأحزاب : ١٢]

قال قتادة: "قال المنافقون يوم الأحزاب حين رأوا الأحزاب قد اكتنفوهم من كل جانب فكانوا في شك وريبة من أمر الله قالوا: إن محمدا كان يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا هاهنا حتى ما يستطيع بيرز أحدنا لحاجته، فأنزل الله: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}"^(٣).

٤- {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)} [الأحزاب : ٢٣]

عن أنس، "أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إنني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت فيه هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ}"^(٤).

عن حميد، قال: "زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إنني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقبه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إنني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس

وزاد السيوطي نسبه في الدر (٥/ ١٨١) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن.

(١) أورده البيهقي في الدر المنثور: ٥٦٢/٦، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) أسباب النزول: ٣٦٥. [بدون سند]

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦١٢): ص ٣١٢٠/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٠-٢٣٩/٢٠.

بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع ثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ}، نزلت فيه، وفي أصحابه^(١).

٥- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعْنَّ وَأَسْرَحْنَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)} [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩]

سبب نزول الآيتين: [٢٨-٢٩]:

عن أبي الزبير، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمن لكم شأنه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك، أو كلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلك حبسني عنكم. قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلي، ثم تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيعرك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك؟ لنتتهين، أو لينزلن فيك القرآن، قال: فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب، أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها؟ قال: ونزل القرآن {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ...} إلى قوله {أجرا عظيما} قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نساءك قبلي؟ قال: "لا". قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهن بذلك. قال: ثم تتبعهن. فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك"^(٢).

وعن جابر، قال : "أقبل أبو بكر ، رضي الله عنه ، يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ببابه جلوس ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس : فلم يؤذن له . ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له . ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نسائه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة أنفا ، فوجأت عنقها . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٠-٢٥٢.

حتى بدا ناجذه، وقال : "هن حولي يسألنني النفقة". فقام أبو بكر ، رضي الله عنه ، إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر ، رضي الله عنه ، إلى حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه : والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال : وأنزل الله ، عز وجل ، الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : "إني أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك". قالت : وما هو ؟ قال : فتلا عليها : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكِ } الآية ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله ، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال : "إن الله تعالى لم يبعثني معنفًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها"^(١).

وقال ابن زيد: "كان أزواجه قد تغيرن على النبي صلى الله عليه وسلم، فهجرهن شهرا، نزل التخيير من الله له فيهن: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها}، فقرأ حتى بلغ {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}، فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبدا، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن، لمن وهبت نفسه له؛ حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل، فلا جناح عليه، {ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين} إذا علمن أنه من قضائي عليهن، إيثار بعضهن على بعض، {أدنى أن يرضين} قال: {ومن ابتغيت ممن عزلت} من ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه، فخيرهن، بين أن يرضين بهذا، أو يفارقهن، فاخترن الله ورسوله، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط، ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله"^(٢).

٦- {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)} [الأحزاب : ٣٣]
عن ابن عباس، قوله : "{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}"، قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة"^(٣).

وقال عكرمة: "من شاء باهلتها أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم"^(١).

(١)المسند (٣٢٨/٣) وصحيح مسلم برقم (١٤٧٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٢٠٨).

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٥٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.

٧- {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٣٥) [الأحزاب : ٣٥]

في سبب نزول الآية أقوال:

احدها: عن أبي سلمة، عن أم سلمة، أنها قالت: للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن؟» ، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (٢).

عن مجاهد، عن أم سلمة، أنها قالت: "يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث. فأنزل الله {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض} قال مجاهد: وأنزل فيها {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} وكانت أم سلمة أول طعيبة قدمت المدينة مهاجرة" (٣).

وقال مقاتل: " وذلك أن أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين ونسيبة بنت كعب الأنصاري قلن ما شأن ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ألا يكون فيهن خير، ولا الله فيهن حاجة، وقد تخلى عنهن فأنزل الله- تعالى- في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} (٤).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.

(٢) السنن الكبرى للنسائي(١١٣٤٠):ص٢١٩/١٠. وأخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٣٨/١٨ - ح: ٣٨٤) والحاكم (المستدرک: ٤١٦/٢) وابن جرير ٢٧٠/٢٠، والطبراني (المعجم الكبير: ٢٩٤/٢٣ - ح: ٦٥٥) وابن المنذر وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) من طريق عبد الرحمن بن شيبه عن أم سلمة رضي الله عنها ذلك، وصححه الحاكم، وهو كما قال، وحسنه الحافظ ابن حجر في "الأمالى" (حاشية معجم الطبراني الكبير: ٢٩٣/٢٣).

(٣) سنن الترمذي(٣٠٢٢):ص٢٣٧/٥. وقال: " هذا حديث مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مرسلا، أن أم سلمة، قالت: كذا وكذا " .

وأخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠.

[حكم الألباني]: صحيح الإسناد

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.

الثاني: عن عكرمة، عن أم عمارة الأنصارية، "أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} الآية"^(١).

الثالث: قال مقاتل بن حيان: "بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} إلى آخرها"^(٢).

وروي عن ابن عباس قال: "قلن النساء: يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين، ولا يذكر المؤمنات؟" فنزلت {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب: ٣٥]"^(٣).

وقال قتادة: "دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقلن: قد ذكركن الله في القرآن، ولم نذكر بشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ}"^(٤).

٨- {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} [الأحزاب: ٣٦]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت في زينب بنت جحش خطبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله بن جحش وأنها ولدا عمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمهما

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤/٥ - ح: ٣٢١١) والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) والطبراني (المعجم الكبير: ٣١/٢٥، ٣٢ - ح: ٥١ - ٥٣) من طريق عكرمة عن أم عمارة ذلك، وحسنه الترمذي، والحافظ ابن حجر في "الأمالي" (حاشية المعجم الكبير للطبراني: ٣١/٢٥) وهو كما قالوا: (انظر حاشية جامع الأصول: ٣٥٧/٢).

(٢) أسباب النزول للواحد: ٣٧٠. [مرسل]

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٢٦١٥): ص ١٠٨/١٢، و برقم (٥٥٤): ص ٢٦٣/٢٣، وأخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠، وانظر: أسباب النزول للواحد: ٣٧٠-٣٧١.

أميمة بنت عبد المطلب وأن زيدا كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت : أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به ، قاله ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، وقتادة^(٣).

قال مقاتل: " وساق إليهم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر أعطاه النبي- صلى الله عليه وسلم- ذلك كله"^(٤).
عن أنس بن مالك قال : "إن هذه الآية : { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة ، رضي الله عنهما"^(٥).

قال ابن عباس: " وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أوامر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحتك نفسي"^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠-٢٧٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٣. ثم قال مقاتل: " فدخل النبي- صلى الله عليه وسلم- فوعظها فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها".

هذا كلام مرفوض لا يقبله العقل ولا يوافق النقل:

إن إعجاب النبي- صلى الله عليه وسلم- بجمالها وظرفها كان يتأتى لو لم يكن رآها قبل ذلك. أما والحال أنها كانت بنت عمته وقد ربيت قريبا منه وراها صغيرة وناشئة. ولو شاء لتزوجها بكرا لم تمس، ولكنه خطبها لزيد مولاه. ثم أعلم الله نبيه أنها ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد- رضي الله عنه- ليشكوها إليه قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فقال له الله:

قد أخبرتك أني مزوجكها « ... وتخفي في نفسك ما الله مبديه ... » سورة الأحزاب: ٣٧.

هذا ما روى عن ابن أبي حاتم وروى مثله عن السدي.

(٥) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٧).

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

وعن ابن عباس، قال: "خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...﴾، الآية كلها"^(١).

قال قتادة: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت"^(٢).

عن زينب بنت جحش؛ قالت: "خطبني عدة من قريش، فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أستشيره، فقال لها رسول الله: "أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟"، قالت: "ومن هو يا رسول الله؟! قال: "زيد بن حارثة"، قال: فغضبت حمنة غضباً شديداً، وقالت: يا رسول الله! أتزوج بنت عمك لمولاك؟ قالت: وجاءتني، فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها، وقلت أشد من قولها؛ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، قالت: فأرسلت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقلت: إني أستغفرُ الله، وأطيعُ الله ورسوله، أفعل ما رأيت، فزوجني زيدا، وكنت أرثي عليه؛ فشكاني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعاتبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم عدت فأخذته بلساني؛ فشكاني إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، فقال: يا رسول الله! أنا أطلقها، قالت: فطَلَّقْتِي، فلما انقضت عدتي؛ لم أعلم إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد دخل عليّ بيتي وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: إنه أمر من السماء، فقلت: يا رسول الله! بلا خطبة ولا إلهاد؟! فقال: "الله المزوج، وجبريل الشاهد"^(٣).

[ضعيف جداً]

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١-٢٧٢/٢٠، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١١٧ / ٢)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤ / ٣٦، ٣٧ رقم ١٢٣، ١٢٤) من طرق عن قتادة. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٢ / ٧): "رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح".

(٣) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤ / ٣٢ رقم ١٠٩)، والدارقطني في "سننه" (٣ / ٣٠١)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٧ / ١٣٦، ١٣٧)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢١ / ٢٥١) من طريق الحسين بن أبي السري

قال ابن كثير: "ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم هاهنا آثاراً عن بعض السلف ، رضي الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها"^(١).

الثاني: وقال ابن زيد: "نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أول من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالوا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده. قال: فنزل القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾، إلى آخر الآية. قال: وجاء أمر أجمع من هذا: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، قال: فذاك خاص، وهذا إجماع"^(٢). [ضعيف جداً]

٩- ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾ [الأحزاب : ٣٧]

عن السدي، قوله: "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ"، قال: بلغنا أن هذه الآية أنزلت في زينب بنت جحش رضي الله، عنها وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يزوجه زيد بن حارثة رضي الله، عنه فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزوجها إياه ثم أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر زيد بن حارثة بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب بعض

العسقلاني ثني الحسن بن محمد بن أعين الحراني ثنا حفص بن سليمان عن الكميت بن زيد الأسدي حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش عن زينب بنت جحش به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٤٧ / ٩): "فيه حفص بن سليمان وهو متروك، وفيه توثيق لين".

وقال الزيلعي في "تخريج الكشاف" (١١٠ / ٣): "والحسين بن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي؛ قال البخاري: تركوه". اهـ.

وقال الحافظ في "الكاف الشاف": "إسناده ضعيف".

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ كما نقل الزيلعي آنفاً عن حال حفص والحسين.

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "الباب النقول" (ص ١٧٤)، و"الدر المنثور"

(٦ / ٦١٠)، وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم متروك الحديث.

ما يكون بين الناس فيأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يمسك عليه زوجته، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه أن يقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبني زيدا^(١).

عن أبي حمزة قال: "نزلت هذه الآية: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} في زينب بنت جحش"^(٢).

١٠- {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب : ٤٠]

قال علي بن الحسين: "نزلت في زيد بن حارثة"^(٣).

قال قتادة: "نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر"^(٤).

١١- {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب : ٤٣]

قال مقاتل: "نزلت في الأنصار"^(٥).

١٢- {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} [الأحزاب : ٤٧]

عن عكرمة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا} [الفتح : ١]، الآية قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: هنيئا لك ما أعطاك ربك، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: {لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} إلى آخر الآية"^(٦).

١٣- {تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} [الأحزاب : ٥١]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٦): ص ٣١٣٧/٩، وانظر: الدر المنثور: ٦/٦١٦.

(٢)

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٦٩٧): ص ٣١٣٧/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٧٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٩٩.

(٦) الدر المنثور: ٧/٥١٥، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

عن عروة بن الزبير، عن عائشة: "أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق، فنزلت، أو فأنزل الله: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ}، فقلت: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك"^(١).

١٤- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)} [الأحزاب : ٥٤]

أ- سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...} الآية، وفيه وجوه:

أحدها: قال أنس بن مالك: "لما تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش؛ دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام؛ فلم يقوموا، فلما رأى ذلك؛ قام، فلما قام؛ قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ليدخل؛ فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا، فانطلقت؛ فجنبت فأخبرت النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} الآية"^(٢).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٧٩١)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ١٤٢٨، ٩٢) وغيرهما من طريق أبي مجلز عن أنس به.

وفي رواية للبخاري (رقم ٦٢٣٨)، ومسلم (رقم ٩٣ / ١٤٢٨) وغيرهما من طريق الزهري عن أنس؛ قال: كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، فخدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرًا حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وقد كان أبي بن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزل في مُبْتَنِي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزینب ابنة جحش: أصبح النبي - صلى الله عليه وسلم - بها عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأطالوا المكث، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج وخرجت معه؛ كي يخرجوا فمشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم خرجوا؛ فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجعت معه، حتى دخل على زينب؛ فإذا هم جلوس لم يتفرقوا؛ فرجع النبي - صلى الله عليه وسلم -

وسلم - ورجعت معه، حتى بلغ عتبة حجرة عائشة، فظن أن قد خرجوا، فرجع ورجعت معه؛ فإذا هم قد خرجوا؛ فأنزل آية الحجاب، فضرب بيني وبينه سترًا.

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٢)، ومسلم (رقم ١٤٢٨ / ٩٢) من طريق أبي قلابة؛ قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدها يتحدثون، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون؛ فأنزل الله - تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} إلى قوله: {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} فضرب الحجاب، وقام القوم.

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٣) من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس؛ قال: بُنيَ على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزینب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أَدْعُو، فقلت: يا نبي الله! ما أجد أحداً أَدْعُو، فقال: "فارفعوا طعامكم"، وبقي ثلاثة وهي يتحدثون في البيت، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله"، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلَك، بارك الله لك؛ فنقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقال له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - شديد الحياء - فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر: أن القوم خرجوا؛ فرجع، حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله وأخرى خارجة؛ أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت الآية.

وفي أخرى (رقم ٤٧٩٤) من طريق حميد عن أنس؛ قال: أو لم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بني بزینب بنت جحش، فأشبع الناس خبزاً ولحمًا، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه؛ فيسلم عليهن ويدعو لهن، ويسلمن عليه ويدعون له، فلما رجع إلى بيته؛ رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رأهما؛ رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - رجع عن بيته؛ وثبا مسرعين، فما أدري: أنا أخبرته بخروجهما، أم أخبر؟ فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

وفي رواية لمسلم (رقم ١٤٢٨ / ٩٤، ٩٥) من طريق الجعد أبي عثمان عن أنس؛ قال: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل بأهله، قال: فصنعت أُمِّي أم سليم حَيْسًا؛ فجعلته في تور، فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقل: بعثت بهذا إليك أُمِّي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقلت: إن أُمِّي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! فقال: "ضعه"، ثم قال: "اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيت" -وسمى رجلاً-، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عَدَدَ كَم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا أنس! هات التود"، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ليتخلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه"، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: "يا أنس! ارفع"، قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟

وقال: "أنا أعلم الناس بهذه الآية؛ آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما، ودعا القوم، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود، قال: فنزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} إلى: {فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، قال: فقام القوم وضرب الحجاب"^(١).

وقال أنس: "وكننت مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق ففضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا، قال: فدخل فأرخي بيني وبينه سترا، قال: فحدثت أبا طلحة فقال: لئن كان كما تقول، لينزلن في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب"^(٢).

الثاني: عن أنس بن مالك؛ قال: "قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبن؛ فإنه يكلمهن البر والفاجر؛ فنزلت آية الحجاب،

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط؛ فتقلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رجع؛ ظنوا أنهم قد تقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجر، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأهن على الناس: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} إلّا أن يُؤذَنَ لَكُمْ إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤذِي النَّبِيَّ} إلى آخر الآية.

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحُجِبْنَ نساء النبي - صلى الله عليه وسلم -. وفي رواية للنسائي في "تفسيره" (رقم ٤٣٧)، والترمذي (رقم ٣٢١٩)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢ / ٢٧، ٢٨) من طريق بيان بن بشر عن أنس؛ قال: بني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بامرأة من نسائه، فأرسلني فدعوت قوماً إلى الطعام، فلما أكلوا وخرجوا؛ قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منطلقاً قبل بيت عائشة، فرأى رجلين جالسين؛ فانصرف راجعاً؛ فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} إلّا أن يُؤذَنَ لَكُمْ}. فلنا: وسنده حسن.

وقال الترمذي: "هذا حدث حسن غريب"، وهو في البخاري (رقم ٥١٧٠) مختصر جداً

(١) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠-٣١٣.

واجتمع نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - في المغيرة عليه فقلت لهن: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ} [التحریم: ٥]؛ فنزلت هذه الآية^(١).

عن ابن عباس رضي الله، عنهما قال: "دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فأطال الجلوس فقام النبي صلى الله عليه وسلم مرارا كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر رضي الله، عنه فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الرجل المقعد فقال: لعلك آذيت النبي صلى الله عليه وسلم ففطن الرجل فقام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قمت مرارا كي يتبعني فلم يفعل، فقال عمر رضي الله، عنه: لو اتخذت حجابا، فإن نساءك لسن كسائر النساء، وهو أظهر لقلوبهن. فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...}، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره بذلك^(٢).

وعن عائشة - رضي الله عنها-؛ قالت: "كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: احجب نساءك، قالت: فلم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل، وكان أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يخرجن ليلاً إذا تبرزن إلى المناصع -وهو صعيد أفيح-، فخرجت سودة بنت زمعة -زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -- ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فرأها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: ألا قد عرفناك يا سودة! -حرصاً على أن ينزل الحجاب-، قالت عائشة: فأنزل الله -عزّ وجلّ- آية الحجاب"^(٣).

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٥٥): ص ٣١٤٨/١٠.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ١٤٦)، ومسلم "في صحيحه" (رقم ٢١٧٠، ١٨).

وفي رواية: خرجت سودة بعدما ضرب عليها الحجاب؛ لتقضي حاجتها، وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسماً لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر بن الخطاب؛ فقال: يا سودة! أما والله لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق، فدخلت؛ فقالت: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن".

أخرجه البخاري (رقم ٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (رقم ٢١٧٠/١٧).

وروي عن أبي وائل عن عبد الله، قال: "أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}"^(١).

الثالث: عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت: "كنت أكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - حيساً في قعب، فمرَّ عمر -رضي الله عنه- فدعاه فأكل، فأصابته أصبعه أصبعي، فقال: حَسٌّ -أو أوّه- لو أطاع فيكن؛ ما رأتنك عين؛ فنزل الحجاب"^(٢).

قال ابن عباس: "نزل حجاب نساء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عمر؛ أكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - طعاماً فأصابته يده بعض أيدي نساء النبي؛ فأمر بالحجاب"^(٣).

(١) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٢) أخرجه النسائي في "تفسيره" (٢/ ١٨٨ - ١٨٩ رقم ٤٣٩)، وابن أبي حاتم (١٧٧٥٦): ص ٣١٤٨/١٠، والطبراني في "المعجم الصغير" (١/ ٨٣، ٨٤)، و"الأوسط" (٣/ ٢١٢ رقم ٢٩٤٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (رقم ١٠٥٣)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج الكشاف" (٣/ ١٢٦) كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عنها به. قلنا: وسنده صحيح.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٩٣): "رواه الطبراني في "الأوسط"؛ ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة، وسكت عنه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٥٣١).

وصححه السيوطي في "اللباب النقول" (ص ١٧٨)، و"الدر المنثور" (٦/ ٦٤٠).

وصححه شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني -رحمه الله- في "صحيح الأدب المفرد" (رقم ٨٠٤).

وخالف ابن عيينة محمد بن بشر؛ فرواه عن مسعر به مرسلًا.

أخرجه ابن أبي شيبه (١٢/ ٣٧ رقم ١٢٠٦٦): ثنا محمد بن بشر به.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" ٣١٤/٢٠، ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص: ٣٦٠) - بسند مرسل ضعيف، وليس فيه ذكر لعمر، وروايته: "عن مجاهد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابته يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنزلت آية الحجاب".

قال الدارقطني في "العلل" (٥/ ٨٢ أ): "هذا حديث يرويه مسعر، واختلف عنه؛ فرواه ابن عيينة عنه عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد، عن عائشة، وغيره يرويه عن مسعر عن موسى عن مجاهد مرسلًا، والصواب المرسل". اهـ.

وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" في الجمع بين روايات الحديث.

(٣) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٧٥). وسنده ضعيف جداً؛ فيه الواقدي -محمد بن عمر-؛ متروك الحديث، لكن يشهد له حديث عائشة -رضي الله عنها- المتقدم.

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} الآية:

قال ابن عباس: "نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة رضي الله عنها"^(١).

قال ابن زيد: "بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا يقول: إن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ}"^(٢).

قال السدي: "بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيجبنا محمد، عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده. فنزلت هذه الآية"^(٣).

١٥- {لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)} [الأحزاب : ٥٥]

حكى الماوردي عن الكلبي: "أنه لما نزل في آية الحجاب: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، قام الآباء والأبناء وقالوا يا رسول الله نحن لا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب ، فنزلت هذه الآية"^(٤).

١٦- {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)} [الأحزاب : ٥٦]

عن ابن عباس: "أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه: يا موسى، سألوكم «هل يصلي ربك؟ فقل: نعم، إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}"^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٣)، (١٧٧٦٦):ص ٣١٥٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٤):ص ٣١٥٠/١٠، والطبري: ٣١٦/٢٠، بزيادة كلمة «ربما» في صدر الخبر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٦٥):ص ٣١٥٠/١٠.

(٤) النكت والعيون: ٤٢١/٤. وذكره القرطبي في التفسير: ٢٣١/١٤، دون نسبة.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٧١):ص ٣١٥١/١٠.

١٧- {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)}
[الأحزاب : ٥٧]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن عباس: "نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب"^(١).

الثاني: قال مقاتل: "نزلت في اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله- عز وجل- أن زعموا أن الله ولدا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله- عز وجل- يعني التماثيل والتصاوير. وأما أذاهم للنبي- صلى الله عليه وسلم- فإنهم زعموا أن محمدا ساحر مجنون شاعر كذاب، {لعنهم الله في الدنيا والآخرة}"^(٢).

١٨- {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)}
[الأحزاب : ٥٨]

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإن سكتت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة، إنما يخرجن في درع وخمار. فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. الدليل على صحة هذا قوله تعالى: {قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} [الأحزاب : ٥٩]، والجلاب: الرداء. وهذا قول الضحاك^(٣)، والسدي^(٤)، والكلبي^(٥)، والفراء^(٦).

الثاني: أنها نزلت في علي ابن أبي طالب- رضي الله عنه- وذلك أن نفرا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه. وهذا قول مقاتل^(٧).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٠-٣٢٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣.

(٣) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٤) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٥) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.

(٦) معاني القرآن: ٣٤٩/٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣-٥٠٧.

الثالث: وقال عطاء عن ابن عباس: "رأى عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر فخرجوا إليه فأذوه فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(١).

الرابع: أنها نزلت في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها. حكاها الزمخشري^(٢).

١٩- {يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)} [الأحزاب : ٥٩]

عن أبي صالح، قال: "قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن. وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل. فأنزل الله: {يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ}، يقتنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة"^(٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة رضي الله عنها بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرأها عمر رضي الله عنه قال: يا سودة، إنك والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين فانكفأت راجعة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت وقالت: يا رسول الله، إنني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر رضي الله عنه: كذا... وكذا فأوحي إليه ثم رفع، عنه وإن العرق في يده، فقال: انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن"^(٤).

قال أبو مالك: "كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فقل ذلك للمنافقين، فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: {يَأْيُهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ}، فأمر بذلك حتى عرفوا من الإماء"^(٥).

٢٠- {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)}

[الأحزاب : ٦٣]

(١) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٦. بدون إسناد.

(٢) انظر: الكشف: ٥٥٩/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠-٣٢٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨١): ص ٣١٥٣/١٠-٣١٥٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٨٢): ص ٣١٥٤/١٠.

قال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة فأوحى الله- عز وجل- إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-: { قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ }، يعنى: القيامة، {تَكُونُ قَرِيبًا}"^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

سورة «يس»

١- {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ (٩)} [يس: ٩]

عن عكرمة قال: "قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا} .. إلى قوله: {فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو، أين هو؟ لا يبصره"^(١).

٢- {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)} [يس

: ١٢]

عن أبي سعيد الخدري، قال: "شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلت: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقال: «عَلَيْكُمْ مَنَازِلُكُمْ تُكْتَبُ آثَارُكُمْ»"^(٢). قال ابن عباس: "كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقالوا: نثبت في مكاننا"^(٣).

٣- {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)} [يس: ٤٧]

عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}، قال: نزلت في الزنادقة، كانوا لا يطعمون فقيرا، فعاب الله ذلك عليهم وعيرهم"^(٤).

٤- {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)} [يس: ٦٩]

قال مقاتل: "نزلت في عقبة بن أبي معيط وأصحابه، قالوا إن القرآن شعر"^(٥).

٥- {وَأَوَّلُ مِرِّ الْإِنْسَانِ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ

قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)} [يس: ٧٧ - ٧٨]

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في «أبي بن خلف الجمحي» أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- يجادله في بعث الموتى، قاله عروة بن الزبير^(١)، مجاهد^(٢)، وعكرمة^(٣)، وقتادة^(٤)، والسدي^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٩٥-٤٩٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٩٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٩٧-٤٩٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٩): ص ٣١٩٧/١٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٨٤.

قال ابن الجوزي: وهذا قول: "الجمهور، وعليه المفسرون"^(٦).
قال مجاهد: "أبي بن خلف جاء بعظم، فقال: يا محمد، أتعدنا إنا إذا متنا فكنا مثل هذا العظم البالي في يده ففته، وقال: من يحيينا إذا كنا مثل هذا؟"^(٧).
قال قتادة: "ذكر لنا أن أبي بن خلف، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «والله يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار»؛ قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد"^(٨).
قال السدي: "نزلت في أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عظم قد دثر، فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد، أنت الذي تحدث أن هذا سيحيا بعد ما قد بلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، ليميتن الآخر، ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار»"^(٩).
الثاني: أنها نزلت في «العاص بن وائل» أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعدما أرمم؟ فقال رسول الله^(١): «نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»، فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس-في رواية-^(٢)، وسعيد بن جبير^(٣).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٢٤):ص٣٢٠٣/١٠.
قال عروة: "لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إن الناس يحاسبون بأعمالهم، ومبعوثون يوم القيامة، أنكروا ذلك إنكاراً شديداً فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته، ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد، إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من استقبله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجداً شديداً، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}."

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣-٥٥٤/٢٠.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٢٣):ص٣٢٠٢/١٠.

قال عكرمة: "جاء أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أتى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله: {وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقها قبل أن أعجب من إحيائها وقد كانت»."

(٤) انظر: تفسير الطبري ٥٥٤ / ٢٠.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٢٢):ص٣٢٠٢/١٠.

(٦) زاد المسير: ٥٣٣/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٢١):ص٣٢٠٢/١٠.

(٨) أخرجه الطبري ٥٥٤ / ٢٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٢٢):ص٣٢٠٢/١٠.

الثالث: أنها نزلت في «عبد الله بن أبي»، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يبعث الله هذا، ويميتك ثم يدخلك جهنم، فقال الله: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}. قاله ابن عباس-في رواية أخرى عنه-(٤).

والظاهر-والله أعلم- أن الخبر ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما.

(١) .

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٠):ص٣٢٠٢/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠. أخرجه بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واه عن ابن عباس، وهذا

باطل لأن السورة مكية بإجماع، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني.

وقال ابن كثير ٥٩٤/٦: "وهذا منكر ؛ لأن السورة مكية ، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة".

سورة «الصفات»

١- {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)} [الصفات : ١١]

قال مقاتل: "نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. وإنما كنى أبا الأشدين لشدة بطشه وفي ركانة بن عبد يزيد بن هشام ابن عبد مناف.. ونزلت في أبي الأشدين أيضا {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} [النازعات : ٢٧]، بعثا بعد الموت {أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]"^(١).

قال الماوردي: "نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد بن هاشم بن عبد مناف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي"^(٢).

٢- {أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصفات : ٦٢ - ٦٣]

سبب النزول الآيتان [٦٢-٦٣]:

قال السدي: "قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا أتاكم بها، فدعا جارية، فقال: انتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصفات : ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه"^(٣).

٣- {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَكَالُونَ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصفات : ٦٤ - ٦٨]

سبب نزول الآيات: [٦٤-٦٨]:

قال قتادة: "لما نزلت هذه الآية {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصفات: ٦٤] إلى قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصفات: ٦٧-٦٨]"^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٣-٦٠٣.

(٢) النكت والعيون: ٤١/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

وفي رواية قال قتادة: "لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: {لَهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٤]، غذيت بالنار ومنها خلقت" (١).

قال يحيى بن سلام: "أخبرني صاحب لي عن السدي قال: لما نزلت: {أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ} [الصافات: ٦٢]، قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبير: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية، فلما نزل: {لَهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} {٦٤} طلعها كأنة رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ {٦٥}} [الصافات: ٦٤-٦٥]، قالوا ما يشبه هذه التي يصف محمد ما قال ابن الزبير" (٢).

٤- {وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ} [الصافات : ١٦٥]

عن زيد بن مالك، قال: "كان الناس يصلون متبدين فأنزل الله: {وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ}، فأمرهم أن يصفوا" (٣).

٥- {أَفْبَعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ (١٧٧)} [الصافات : ١٧٦-١٧٧]

سبب نزول لأيتين: [١٧٦-١٧٧]:

قال مقاتل: "قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: متى هذا الوعد؟ تكذيبا به فأنزل الله- عز وجل- {أَفْبَعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ...} (٤).

سورة «ص»

١- {ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذُّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَكَلَّمَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى

(١) أخرجه الطبري: ٥٢/٢١.

(٢) تفسير يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٣١١): ص ٣٢٣٢/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٣-٦٢٤.

أَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهِدَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) {ص : ١ - [٧]

سبب نزول الآيات: [٧-١]:

قال ابن عباس: "مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه قال: وشكوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية. قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة قال: يا عم يقولوا: لا إله إلا الله فقالوا: إلها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق. قال: فنزل فيهم القرآن: {ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢)} {ص : ١ - ٢}، إلى قوله: {مَا سَمِعْنَا بِهِدَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} {ص : ٧}"^(١).

٢- {وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهِدَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) {ص : ٦-٧}

ذكر أهل التفسير في نزول هاتين الآيتين، قولان:

أحدهما: أنه لما جاء وجوه قريش إلى أبي طالب، وهم أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة وطعيمة بن عدي، وعقبة بن أبي معيط، وأبي وأميه ابنا خلف، وزمعة بن الأسود، وغيرهم، وشكوا إليه محمدا، وقالوا: إنه يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا، ويذكر أن آباءنا في النار؛ فدعا أبو طالب النبي وقال: يا بن أخ، هؤلاء قومك جاءوا يشكونك، ويذكرون كذا وكذا، فماذا تطلب منهم؟ قال: أطلب منهم كلمة واحدة إن قالوها دانت لهم العرب، وأدت إليهم العجم الجزية، فقال القوم: نحن نقول عشر كلمات، فماذا تريد؟ فقال: قولوا لا إله إلا الله، فنفروا وقاموا، وقالوا: لا نقولها أبدا، وجعل بعضهم

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (٣٢٣٢): ص ٢١٩/٥، وقال حديث حسن صحيح، وتحقيق الألباني:

ضعيف الإسناد، وأخرجه النسائي في التفسير (٤٥٦) .

والطبري في تفسيره (٤٩/٢١-١٥٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٢٧/١) .

وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤٣٢ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، قلت: في تصحيحه نظر حيث إن في إسناده عند

الحاكم يحيى بن عمارة قال الحافظ في التقریب: مقبول، وقال في التهذيب: ذكره ابن حبان في الثقات أ. هـ.

وزاد السيوطي نسبه في الدر (٢٩٥ / ٥) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه.

يقول لبعض: {أَنْ اْمْتُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ}، أي: الزموها، وأقيموا على عبادتها. وهذا قول ابن عباس^(١)، والسدي^(٢).

روي عن السدي: "أن أناسا من فريش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فيأمره فليكتف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه الذي يعبد، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا شيء، فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، قال: فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكتف عن شتم آلهتنا، وندعه وإلهه؛ قال: فبعث إليه أبو طالب؛ فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم، وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك؛ قال: فقال: "أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟" : وإلام تدعوهم؟ قال: "أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم"؛ قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال: "تقولون لا إله إلا الله". قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، قال: "لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها"؛ قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا {وَأَنْتُمْ الْمَلَأْتُمْ بِهِمْ أَنْ اْمْتُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} .. إلى قوله {إِلَّا اِخْتِلَاقٌ} وأقبل على عمه، فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم، فأقبل على عمه فدعاه، فقال: "قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة، تقول: لا إله إلا الله"، فقال: لولا أن تعيبيكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها، ولكن على ملة الأشياخ؛ قال: فنزلت هذه الآية: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}"^(٣).

(١) الخبر رواه الترمذي في التفسير (٣٢٣٢): ص ٢١٩/٥، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: تفاصيل التخریج في سبب نزول الآيات: [٧-١].

(٢) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١-١٥٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢١-١٥٤.

الثاني: أنها نزلت في إسلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وما حصل للمسلمين من القوة بمكانه. قاله مقاتل^(١).

قال السمعاني: فقال الكفار لما أسلم عمر: إن هذا لشيء يراد، أي: إن أمر محمد لشيء يراد، حيث قوي بإسلام عمر^(٢).

قال مقاتل: " وذلك حين أسلم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فشق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون وانطلق الملاء منهم وهم سبعة وعشرون رجلا، والملاء في كلام العرب الأشراف منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية وأبي ابنا خلف، ... وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: {أن امشوا} إلى أبي طالب {واصبروا} واثبتوا {على} عبادة {آلهتكم}، نظيرها في الفرقان: {لولا أن صبرنا عليها} [الفرقان : ٤٢]، يعني: ثبتنا، فقال الله- عز وجل- في الجواب: {فإن يصبروا فالنار مثوى لهم} [فصلت : ٢٤]"^(٣).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٤٢٥/٤-٤٢٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٥/٣-٦٣٦.

سورة «الزمر»

١- {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر : ١٧-١٨]

سبب نزول الآيتين: [١٧-١٨]:

عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ...} الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، نزل فيهم: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا} في جاهليتهم {وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} لا إله إلا الله، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي {وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} (١).
قال ابن كثير: "نزلت في زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي. والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ، ممن اجتنب عبادة الأوثان ، وأناب إلى عبادة الرحمن. فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة" (٢).

٢- {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩)} [الزمر : ١٩]

قال القرطبي: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية" (٣).

٣- {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)} [الزمر : ٢٣]

عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} (٤).

٤- {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)} [الزمر : ٣٦]

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢١، وابن أبي حاتم (١٨٣٨٠): ص ٣٢٤٩/١٠، [باختلاف يسير في الألفاظ].

(٢) تفسير ابن كثير: ٩٠/٧.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٤٤/١٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢١.

قال الفراء: "وذلك أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: أما تخاف أن تخبلك آلهتنا لعبيك إياها! فأنزل الله: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} محمدا صلى الله عليه وسلم، فكيف يخوفونك بمن دونه"^(١).

٥- {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} {الزمر : ٥٣}

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: "أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَتْ {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٣]. وهذا قول ابن عباس^(٢).

وقال مقاتل: "نزلت في مشركي مكة وذلك أن الله- عز وجل- أنزل في الفرقان {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [الفرقان : ٦٨]، الآية. فقال وحشي مولى المطعم بن عدي بن نوفل: إني قد فعلت هذه الخصال فكيف لي بالتوبة فنزلت فيه: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} [الفرقان : ٧٠]، فأسلم وحشي فقال مشركو مكة: قد قبل من وحشي توبته، وقد نزل فيه ولم ينزل فينا. فنزلت في مشركي مكة {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ} [الزمر : ٥٣]، يعني بالإسراف: الشرك والقتل والزنا فلا ذنب أعظم إسرافا من الشرك لا تقنطوا يقول لا تياسوا من رحمة الله، لأنهم ظنوا ألا توبة لهم. {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر : ٥٣]، يعني: الشرك والقتل والزنا الذي ذكر في سورة الفرقان، {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر : ٥٣]، لمن تاب منها ثم دعاهم إلى التوبة"^(٣).

الثاني: أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان، ودعا مع الله إليها آخر، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم، وقد عبدنا الآلهة، وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل

(١) معاني القرآن: ٤١٩/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير الزمر «باب قوله «يا عبادي» ...» ج ٦ ص ٣٣.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان «باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج» ج ١ ص ١١٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٣/٣.

الشرك؟ فأنزل الله: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}. وهذا مروى عن ابن عباس أيضا^(١).

قال السدي: " هؤلاء المشركون من أهل مكة، قالوا: كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى، أو قتل، أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار؟ فكلّ هذه الأعمال قد عملناها، فأنزلت فيهم هذه الآية: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}"^(٢).

الثالث: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعدّبوا، فافتنوا، كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُدّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتبها، قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا. وهذا قول ابن عمر^(٣).

قال ابن عمر: " كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة، وكانوا يقولون: ما الله بقابل منا شيئا، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} ... الآية، قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما جاءتني جعلت أقرؤها ولا أفهمها، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول، فجلست على بعيري، ثم لحقت بالمدينة"^(٤).

الرابع: -وهو قول ابن زيد- أنه: " كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية، فلما بعث الله نبيه قالوا: لو أتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأمننا به واتبعناه، فقال بعضهم لبعض: كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه؟ فقالوا: ألا نبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا؟ فلما بعثوا، نزل القرآن: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ} فقرأ حتى بلغ: (فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)"^(٥).
الخامس: أنها نزلت في وحشي. قاله عطاء بن يسار^(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٦/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٩/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٩-٢٠٨/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٠٨-٧-٣/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٧/٢١.

عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي وأصحابه: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِن قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثْنَا وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

٥- ﴿قُلْ أَفَعِيرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾

[الزمر : ٦٤ - ٦٦]

عن ابن عباس: "أن قريشا وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطنوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإننا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح. قال: "ما هي؟" قالوا: تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزي، ونعبد إلهك سنة، قال: "حتى أنظر ما يأتي من عند ربي"، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَعِيرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ... إلى قوله: ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

٦- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ [الزمر : ٦٧]

عن سعيد، قال: "أتى رهط من اليهود نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سأله عنه، قال: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: صف لنا ربك، كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول، ثم ساورهم، فأتاه جبريل فقال مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سأله عنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣).

وقال سعيد: "عن سعيد، قال: تكلمت اليهود في صفة الرب، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ثم بين للناس عظمته فقال:

(١) أخرجه الطبري: ٣٠٧/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١.

{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}،
فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركا"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢١-٣٢٩.

سورة «غافر»

١- {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)} [غافر : ٤]

عن أبي مالك رضي الله عنه في قوله: " {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا}، ونزلت في الحراث بن قيس السلمي" (١).

٢- {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)} [غافر : ٥٦]

عن أبي العالية، قال: "إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا ... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، قال: لا يبلغ الذي يقول، {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [غافر : ٥٦]، فأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال، {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، الدجال" (٢).

عن كعب الأحبار رضي الله عنه في قوله: " {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ}، قال: هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال" (٣).

قال مقاتل: "وذلك أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- إن صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان يعنون الدجال ماء البحر إلى ركبته والسحاب فوق رأسه فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ}، يعني: يمارون في آيات الله، لأن الدجال آية من آيات الله- عز وجل" (٤).

٣- {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦)} [غافر : ٦٦]

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة من قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ما يملكك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة فتأخذ به فما يملكك على ذلك إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٢١):ص٣٢٦٤/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٤١):ص٣٢٦٨/١٠.

(٤) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧١٧/٣.

فأمره بترك عبادة الله- تعالى- فأنزل الله {قل} يا محمد لكفار مكة: {إني نهيت أن أعبد الذين
تَدْعُونَ} (١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٩/٣.

سورة «فصلت»

١- {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)} [فصلت : ١٩ - ٢٠]

سبب نزول الآيات: [١٩-٢٤]:

قال عبدالله بن مسعود: " كنت مستترا بستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفى وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعهم، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟!، فقال الآخر: أرانا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعها بم يسمع!!، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله!!، قال: فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - ؟، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢]، إلى قوله {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣]"^(١).

وفي رواية: "فنزلت هذه الآية: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت : ٢٢] ... حتى بلغ: {وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت : ٢٤]"^(٢).

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت : ١٩]، إلى قوله: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ} [فصلت : ٢٢]"^(٣).

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت : ٢٢]... إلى قوله: {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت : ٢٣]،-، والثقفى عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية"^(٤).

(١) أخرجه احمد(٣٦١٤):ص٥١٢/٣، وأخرجه الحميدي "٨٧"، ومن طريقه البخاري "٤٨١٧" في التفسير: باب {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ، و"٧٥٢١" في التوحيد: باب قول الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ١٧٧ ، والترمذي(٣٢٤٩):ص٣٧٥/٥، وقال: «هذا حديث حسن».

الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦، وابن وهب في التفسير الجامع(١٦٥):ص٨٧/٢، والثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨.

[باختلاف في الالفاظ].

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦.

(٣) من تفسير القرآن الجامع لابن هب(١٦٥):ص٨٧/٢.

(٤) من رواية الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨.

وقال مقاتل: "نزلت في صفوان بن أمية الجمحي، وفي ربيعة، وعبد بالليل ابني عمرو الثقفيين... إلى خمس آيات، ويقال إن الثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وفرقد بن ثمامة، وأبو فاطمة... وذلك أن هؤلاء نفر الثلاثة كانوا في ظل الكعبة يتكلمون، فقال أحدهم: هل يعلم الله ما نقول؟ فقال الثاني: إن خفضنا لم يعلم، وإن رفعنا علمه. فقال الثالث: إن كان الله يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا. فسمع قولهم عبد الله بن مسعود، فأخبر بقولهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله في قولهم: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ..}""^(١).

٢- {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)} [فصلت : ٣٠]

روى عطاء عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، وذلك أن المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بنائمه، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربُّنا الله، وعزيرُ ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبي، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربنا الله وحده، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام"^(٢).

والصحيح عموم الآية، وذكر اليهود والنصارى في هذا الخبر منكر جدا. والله أعلم.

٣- {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)} [فصلت : ٣٤-٣٥]

قال مقاتل: "وذلك أن أبا جهل كان يؤذي النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان النبي مبغضا له يكره رؤيته فأمر بالعمو والصفح"^(٣).

٤- {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَمِنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)} [فصلت : ٤٠]

قال مقاتل: "نزل في ابي جهل بن هشام وابي بن خلف: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ..} الآية"^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣، ٧٤٠.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥١/٤، وذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٧٣٤، ولم أره مسندا، فهو لا شيء، لخلوه عن الإسناد.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٣/٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.

٥- {مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ وَدُوٌّ عِقَابٍ أَلِيمٌ (٤٣)} [فصلت : ٤٣]

قال الفراء: " جزع -صلى الله عليه- من تكذيبهم إياه، فأنزل الله جل وعز عليه: {مَا يُقَالُ لَكَ} من التكذيب، إلا كما كذب الرسل من قبلك" (١).

٦- {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْعَجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)} [فصلت : ٤٤]

عن سعيد بن جبیر: " قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا، فأنزل الله {لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْعَجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً}، فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه، {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} قال: فارسية أعربت: سنك وكل" (٢).

٧- {لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسْ قُنُوطٌ (٤٩)} [فصلت : ٤٩]

قال ابن عطية: " نزلت في كفار قريش، قيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة، وجلّ الآية يعطي أنها نزلت في كفار وإن كان أولها يتضمن خلقا ربما شارك فيه بعض المؤمنين" (٣).

٨- {سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)} [فصلت : ٥٣]

حكى أبو الليث السمرقندي عن الضحاك، " أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة، فانشق القمر نصفين. فقال: أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كان القمر قد انشق، فهي آية. ثم قال: يا معشر قريش، إن محمداً قد سحر القمر، فوجهوا رسلكم إلى الآفاق. هل عابنوا القمر؟ إن كان كذلك، فهي آية وإلا فذلك سحر، فوجهوا. فإذا أهل الآفاق، يتحدثون بانشقاقه. فقال أبو جهل عليه اللعنة: هذا سحر مستمر. يعني: ذاهبا في الدنيا. فنزل: سُئِرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (٤).

(١) معاني القرآن: ١٩/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.

(٤) بحر العلوم: ٢٣٣/٣.

سورة «الشورى»

١- {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَنَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)} [الشورى: ٢٣]

عن ابن عباس، قال: "قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخرُوا، قال ابن عباس، أو العباس، شكَّ عبد السلام: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتاهم في مجالسهم، فقال: "يا معشرَ الأنصار ألم تَكُونُوا أذَلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللهُ بي؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألم تَكُونُوا ضَلَّالًا فَهَدَّاكُمْ اللهُ بي؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "أفلا تُحِبُّونِي؟" قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: "ألا تقولون: ألم يُخْرِجَكَ قَوْمُكَ فَأَوَيْنَاكَ، أَوْلَمْ يُكذِّبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ، أَوْلَمْ يَخْدُلُوكَ فَصَرَّناكَ؟" قال: "فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ}"^(١).

٢- {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ

{(٢٧)} [الشورى: ٢٧]

قال أبو هانئ: "سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}، ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا"^(٢).

عن حيوة بن شريح قال: حدثنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع عمرو بن حريث وغيره يقولان: "إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى: ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"^(٣).

٣- {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)} [الشورى: ٣٧]

قال مقاتل: "وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، يعني: يتجاوزون عن ظلمهم فيكظمون الغيظ ويعفون، نزلت في عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رازح بن عدي بن لؤي

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٣٦-٥٣٥/٢١.

(٣) الزهد والرفائق لابن المبارك (٥٥٤)ص: ١٩٤/١. وقال: "قال ابن صاعد: عمرو بن حريث هذا رجل من مصر، ليست له صحبة، وليس هو عمرو بن حريث المخزومي، الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه".

حين شتم بمكة، فذلك قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا} [الجاثية : ١٤]، يعني: يتجاوزوا عن الذين {لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} [الجاثية : ١٤]..."^(١).

٤- {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)}
[الشورى : ٣٨]

قال مقاتل: "نزلت في الأنصار"^(٢).

٥- {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)} [الشورى : ٣٩]

قال الفراء: "نزلت خاصة في أبي بكر الصديق -رحمه الله-، وذلك: أن رجلا من الأنصار وقع به عند رسول الله فسبه، فلم يردد عليه أبو بكر ولم ينه رسول الله صلى الله عليه الأنصاري فأقبل عليه أبو بكر فرد عليه، فقام النبي- صلى الله عليه- كالمغضب واتبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله، ما صنعت بي أشد علي مما صنع بي: سبني فلم تنهه، ورددت عليه فقامت كالمغضب، فقال النبي- صلى الله عليه-: كان الملك يرد عليه إذا سكت، فلما رددت عليه رجع الملك، فوثبت معه فنزلت هذه الآية"^(٣).

٦- {وَلَمَنِ اتَّخَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١)} [الشورى : ٤١]

قال الفراء: "نزلت أيضا في أبي بكر"^(٤).

والحديث رواه البيهقي في "شعب الإيمان"، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٣) معاني القرآن: ٢٥/٣. والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٧١٦): ص ١٠١٢/١٠، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت، فلما انتصرت قمت؟ فقال: "يا أبا بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة".

(٤) معاني القرآن: ٢٥/٣.

فلما انتصرت قمت؟ فقال: " يا أبا بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهم حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة" (١).

٧- {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١)} [الشورى: ٥١]

ذكر مقاتل، والثعلبي، والواحدي، والبخاري، والبغوي: " أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- ألا تكلم الله، وتتنظر إليه إن كنت صادقا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى يعمل الله ذلك بك، فقال الله لهم: «لم ينظر موسى إلى الله»، فأنزل الله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا} (٢).

قال ابن عطية: " نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك، ذهب قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو، فبين الله أنه لا يكون لأحد من الأنبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أن يكلمه الله إلا بأن يوحى إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام" (٣).

عن مسروق قال: «بيننا أنا عند عائشة أم المؤمنين فقالت: يا أبا عائشة! من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وتلت: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام: ١٠٣]، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١]" (٤).

(١) شعب الإيمان (٧٧١٦): ص ١٠/٤١٢.
 (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٧٥، والكشف والبيان: ٨/٣٢٥-٣٢٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٣٩، وتفسير البخاري: ٧/٢٠٠. [بدون إسناد ومن غير عزو لأحد، فهو ساقط].
 قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعي ص (١٤٦): لم أجده.
 (٣) المحرر الوجيز: ٥/٤٣.
 (٤) صحيح، رجاله ثقات، غير أن هشيم بن بشير على جلالته كان مدلسا، لكن تابعه عليه الثقة الحافظ إسماعيل بن علية؛ أخرجه مسلم (١٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/٥٤٨)، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٣٢)، وتابعه أيضا الثقة الحافظ عبد ربه بن سعيد، كما عند ابن حبان (٦٠)، والثقة المتقن يزيد بن هارون، كما عند ابن منده في الإيمان (٧٦٣)، وإسحاق بن يوسف بن مرداس، كما

سورة «الزخرف»

١- {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)} [الزخرف: ٢٢]

قال مقاتل: "نزلت في الوليد بن المغيرة، وصخر بن حرب، وأبي جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، كلهم من قريش"^(١).

٢- {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)} [الزخرف: ٣٠]

قال مقاتل: "نزلت في: سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وعتبة وشيبة"^(٢).

٣- {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)} [الزخرف: ٣٦]

عن محمد بن عثمان المخرمي: "أن قريشا قالت: قيسوا لكل رجل رجلا من أصحاب محمد يأخذه، فقيضوا لأبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر رضي الله عنه، إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى! قال أبو بكر رضي الله عنه: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أهمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه. فقال طلحة لأصحابه: أجيئوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فأنزل الله: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا}، الآية"^(٣).

٤- {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠)} [الزخرف: ٤٠]

قال مقاتل: "نزلت في رجل من كفار مكة"^(٤).

قال المارتريدي: "جائز أن يكون قوله - تعالى - : {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي}، إنما ذكر لإيلاس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن إيمان قوم علم الله - تعالى - أنهم لا يؤمنون، والله أعلم"^(٥).

٥- {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧)} [الزخرف: ٥٧]

في سبب نزول الآية أقوال:

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٢/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٣/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٠٥): ص ٣٢٨٣/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٥) تاويلات أهل السنة: ١٦٧/٩.

أحدها : ما رواه ابن عباس قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: "يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير"، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أأنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا، فلئن كنت صادقا، فإن آلهتهم لكما تقولون. قال: فأنزل الله عز وجل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧] قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، {وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»^(١).

وقال مقاتل: "وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دخل المسجد وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وفي المسجد العاص بن وائل السهمي، والحارث وعدي ابنا قيس، كلهم من قريش من بني سهم فقال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم- : {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء : ٩٨] إلى آيتين. ثم خرج إلى باب الصفا فخاض المشركون في ذلك، فدخل عبد الله ابن الزبيري السهمي، فقال: تخوضون في ذكر الآلهة، فذكروا له ما قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لهم ولآلهتهم، فقال عبد الله بن الزبيري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بل هي لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم، فقال عبد الله خصمتك ورب الكعبة أأنت تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونها، وعزير يعبد والملائكة تعبد فإن كان هؤلاء في النار فقد رضيينا أن نكون معهم فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لا. فقال عبد الله أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة. فضجوا من ذلك فأنزل الله- تعالى- « {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، يعنى: الملائكة وعزير وعيسى ومريم، {أُولَئِكَ عَنْهَا

(١) أخرجه احمد في المسند(٢٩١٨):ص٨٥/٥-٨٦، والطبراني في المعجم الكبير(١٢٧٤٠):ص١٢/١٥٤، وابن أبي حاتم(١٨٥١٤):ص٣٢٨٤/١٠، وأخرجه مختصرا ابن حبان (٦٨١٧)، وأخرجه بنحوه الطبري في التفسير: ٦٢٥/٢١. وأخرجه كذلك الحاكم ٤٤٨/٢، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي!

والحديث رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم- وهو ابن أبي النجود- فقد روى له أصحاب السنن، وحديثه في الصحيحين مقرون، وهو صدوق حسن الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣٣١):ص٧/ ١٠٤: "رواه أحمد والطبراني ... وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقيه رجاله رجال الصحيح.

مُبْعَدُونَ} {الأنبياء : ١٠١}، وأنزل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ} [الزخرف : ٥٧]"^(١).

الثاني : أن قريشاً قالت: إن محمداً يريد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى، فنزلت، قاله مجاهد^(٢)، وقتادة^(٣).

قال قتادة: "لما ذكر عيسى ابن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: يا محمد ما ذكرت عيسى ابن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نضع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم، فقال الله عز وجل: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا}"^(٤).

وقال قتادة: "لما ذكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى"^(٥).

الثالث : أنه لما ذكر الله خلق عيسى من غير ذكر كآدم أكبرته قريش فنزلت هذه الآية. حكاها الماوردي عن ابن عيسى^(٦).

قال ابن الجوزي: "أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...} الآية... والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مثلاً لآلهتهم وشبههوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت ذكر الأصنام، لأنها عُبدت من دون الله، فألزموه عيسى، وضربوه مثلاً لأصنامهم، لأنه معبود النصارى، والمراد بقومه: المشركون"^(٧).

٦- {الْأَخْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)} [الزخرف : ٦٧]

قال مقاتل: "نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وعقبة ابن أبي معيط قتلا جميعا وذلك أن عقبة كان يجالس النبي- صلى الله عليه وسلم- ويستمع إلى حديثه، فقالت قريش: قد صبا عقبة وفارقنا. فقال له أمية بن خلف: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تنقل في وجهه، حتى

(١) التفسير الميسر: ٧٩٩/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٣٣/٥.

(٧) زاد المسير: ٨١/٤.

يعلم قومك أنك غير مفارقهم، ففعل عقبة ذلك فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: أما أنا الله علي لئن أخذتك خارجاً من الحرم لأهريقن دمك. فقال له: يا بن أبي كبشة، ومن أين تقدر علي خارجاً من الحرم، فتكون لك مني سوء. فلما كان يوم بدر أسر، فلما عاينه النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر نذره فأمر علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فضرب عنقه فقال عقبة: يا معشر قريش، ما بالي أقتل من بينكم؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بتكذيبك الله ورسوله. فقال: من لأولادي. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لهم النار^(١).

٧- {أَمْ أُبْرِمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرَمُونَ (٧٩)} [الزخرف: ٧٩]

قال مقاتل: " وذلك أن نفرا من قريش منهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البخترى بن هشام، وأمّية بن أبي معيط، وعيينة بن حصن الفزاري، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، - بعد موت أبي طالب- اجتمعوا في دار الندوة بمكة ليمكروا بالنبي- صلى الله عليه وسلم- سرا عند انقضاء المدة فاتاهم إبليس في صورة شيخ كبير فجلس إليهم، فقالوا له: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ قال عدو الله: أنا رجل من أهل نجد، وقدمت مكة فرايتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، فأردت أن أسمع حديثكم، وأشير عليكم، فإن كرهتم مجلسي خرجت من بينكم. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل مكة فلا بأس عليكم منه. فتكلموا بالمكر بالنبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أبو البخترى بن هشام- من بني أسد بن عبد العزى-: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- فتجعله في بيت وتسدوا عليه بابه، وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم تعدون إلى رجل له فيكم صغو، قد سمع به من حولكم، تحبسونه في بيت، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذي له فيكم أن يقاتلكم عنه ويفسد جماعتكم ويسفك دماءكم. قالوا: صدق والله الشيخ. فقال هشام بن عمرو- من بني عامر بن لوى-: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء ويليه غيركم. فقال إبليس: بئس الرأي، رأيتم تعدون إلى رجل قد أفسد عليكم جماعتكم، وتبعه طائفة منكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك بالله أن يميل بهم عليكم. فقال أبو جهل: صدق والله الشيخ. فقال أبو جهل بن هشام: أما أنا فأرى أن تعدوا إلى كل بطن من قريش فتأخذون من كل بطن منهم رجلا، فتعطون كل رجل منهم سيفا فيضربونه جميعا فلا يدري قومه من يأخذون به، وتؤدي قريش ديتته، فقال إبليس: صدق والله الشاب. إن الأمر لكما. قال:

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٣-٨٠٢.

فتفرقوا عن قول أبي جهل فنزل جبريل- عليه السلام- فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بما ائتمروا به وأمره بالخروج فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم- من ليلته إلى الغار. وأنزل الله- تعالى- في شرمهم الذي أجمعوا عليه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾^(١).

٨-﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف : ٨٠]

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "بيننا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾"^(٢).

٩-﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف : ٨١-٨٢]

قال مقاتل: "وذلك أن النضر بن الحارث- من بني عبد الدار بن قصي- قال: إن الملائكة بنات الله. فأنزل الله- عز وجل-: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ يقول: ما كان للرحمن ولد.."^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٣-٨٠٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

سورة «الدخان»

{خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)} [الدخان : ٤٧ - ٤٩]

سبب نزول الآيات: [٤٧-٤٩]:

عن عكرمة قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله - فقال : "إن الله تعالى أمرني أن أقول لك : {أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ. ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ} [القيامة : ٣٤ ، ٣٥] قال : فنزع ثوبه من يده، وقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء. ولقد علمت أنني أمتع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم. قال : فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل : {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} ^(١).

قال قتادة: "نزلت في أبي جهل: {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ}، قال قتادة، قال أبو جهل: ما بين جبلية رجل أعزّ ولا أكرم مني، فقال الله عزّ وجلّ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} ^(٢).

قال ابن زيد، قوله: {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، قال: هذا لأبي جهل ^(٣).

عن قتادة: " {ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} [الدخان : ٤٨]، نزلت في عدوّ الله أبي جهل لقي النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخذه فهزه، ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذق إنك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه قال: أيوعدني محمد، والله لأننا أعزّ من مشى بين جبلية. وفيه نزلت: {وَلَا تُطِغْ مِنْهُمْ أَيْمَانًا أَوْ كُفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وفيه نزلت: {كَلَّا لَا تُطِغُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]، وقال قتادة: نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم : ٢٨] ^(٤).

(١) ذكره ابن كثير: ٢٦٠/٧، عن الأموي في مغازيه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤١٨/٧) وهو مرسل.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٢.

سورة «الجاثية»

١- {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)}

[الجاثية : ٧ - ١٠]

سبب نزول الآيات: [١٠-٧]:

روي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت في النضر بن كعدة"^(١).

قال مقاتل: " {أَفَّاكٍ}، يعني: كذاب، {أَثِيمٍ}، يقول: آثم بربه، وكذبه أنه قال إن القرآن أساطير الأولين يعنى حديث رستم واسفندباز، يعني: النضر بن الحارث القرشي من بني عبد الدار"^(٢).

٢- {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)}

[الجاثية : ١٤]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس في رواية عطاء: "يريد عمر بن الخطاب خاصة، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله: عبد الله بن أبي وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه. فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر رضي الله عنه فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٣).

الثاني: عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآية {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة : ٢٤٥ / الحديد: ١١]، قال يهودي بالمدينة يقال له: فنحاص:- احتاج رب محمد، قال: فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول لك: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي. فبعث رسول الله صلى الله عليه

(١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٩٤/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٥/٣-٨٣٦.

(٣) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٩٣ بدون إسناد، ولم أهد إليه مسندا.

وسلم في طلبه، فلما جاء قال: يا عمر ضع سيفك، قال: صدقت يا رسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق، قال: فإن ربك عز وجل يقول: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} [الجاثية: ١٤]، قال: لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي" (١).

الثالث: وقال القرظي والسدي: "نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسخها آية القتال" (٢).

٣- {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)} [الجاثية ١٨]:

قال مقاتل: "وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ارجع إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وسادة قومك، فأنزل الله: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ}.. (٣).

٤- {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)} [الجاثية: ٢٣]

قال سعيد: "كانت قريش تعبد العزى، وهو حجر أبيض، حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر، فأنزل الله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} (٤).

(١) رواه اثعبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨، والواحد في اسباب النزول: ٣٩٣-٣٩٤، إسناده ضعيف: محمد بن زياد البشكري ضعيف، وقد كذبه بعض الأئمة منهم الإمام أحمد وعمرو بن علي، وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات [تهذيب التهذيب ١٥١ / ٩] و [المجروحين ٢ / ٢٥٠].

(٢) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨. بدون سند.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

سورة «الجاثية»

١- {قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩)} [الأحقاف : ٩]

قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: "لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ}، يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيت في منامي أو لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيت في منامي ما أتبع إلا ما يوحي إلي»^(١). [ضعيف]

٢- {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)} [الأحقاف : ١٠]

عن عوف بن مالك قال: "انطلق النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة، يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر اليهود أروني اثني^(٢) عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب، الذي غضب عليه " قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: " أبيتكم فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم ". ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفضه منك، ولا من أبيض قبلك، ولا من جدك قبل أبيضك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله، الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كذبتم لن يقبل قولكم، أما أنفا فتنتون عليه من الخير ما أثنتيم، ولما آمن أكذبتموه، وقتلتم فيه ما قتلتم، فلن يقبل قولكم ". قال:

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٨٠، والإسناد واه بمره، بغض النظر عن أخرجه، فالكلبي لم يسمع أبا صالح وأبا صالح لم يسمع ابن عباس.

(٢) قال المحقق: "قوله: "أروني اثني" تحرف في (م) و (ظ) و (ق) إلى: انبانا اثنا، والتصويب من "جامع المسانيد" و"مجمع الزوائد" ١٠٥/٧ ومصادر التخریج".

فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

قال الحسن: "بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال: يا رسول الله، قد علمت اليهود أنني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان، ومن سماه من اليهود، وأخبئني في بيتك، وسلهم عني، وعن أبي، فإنهم سيحدثونك أنني أعلمهم، وأن أبي من أعلمهم، وإنني سأخرج إليهم، فأشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، وأنتك بُعِثت بالهدى ودين الحق، قال: ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود، فدخلوا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما عبد الله بن سلام فيكم؟" قالوا: أعلمنا نفساً وأعلمنا أباً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتُمْ إِنْ أَسْلَمَ تُسَلِّمُونَ؟" قالوا: لا يسلم، ثلاث مرار، فدعاه فخرج، ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، وأنتك بُعِثت بالهدى ودين الحق، فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام، قال: فخرجوا كفاراً، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾^(٢).

عن عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: "أنزل في: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ... إلى قوله: ﴿فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾"^(٣).

وروي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: "ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام؛ قال: وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾"^(٤).

٣- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٩٨٤): ص ٤٠٩/٣٩، والطبري في "التفسير" ١٠٧/٢٢، وابن حبان (٧١٦٢)، والطبراني في "الكبير" ١٨ / (٨٣)، وفي "الشاميين" (٩٤٨)، والحاكم ٤١٥/٣-٤١٦.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)
 أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقُ
 الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) [الأحقاف : ١٥ - ١٦]

في سبب نزول الآيتين: [١٥-١٦]، قولان:

أحدهما: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص. وقد مضت القصة في سورة «العنكبوت»^(١)، قاله الضحاك^(٢)، والسدي^(٣).

قال الواحدي في سبب نزول قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت : ٨]:
 قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان^(٤)، والأحقاف^(٥)^(٦).

قال السمعاني: "ويقال: نزلت في أخيه عمير بن أبي وقاص، ومعنى الآية على هذا: هو الوصية بالإحسان إليهما دون الموافقة في الشرك"^(٧).

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرة، وأمهم أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال لربه: {إني تبت إليك وإني من المسلمين}. قاله علي^(٨)، وابن عباس^(٩).

(١) عند قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت : ٨].

(٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(٤) [سورة لقمان: الآية ١٤].

(٥) [سورة الأحقاف: الآية ١٥].

(٦) أسباب النزول: ٣٤٠.

(٧) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٢/٩.

(٩) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٣٣٨/٣٠.

عن علي -رضي الله عنه- في قوله: {ووصينا الإنسان بوالديه حسناً}، نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده [وكان أبو بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونبي النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ودعا ربه ف قال رب أوزعني، ألهمني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، بالهداية والإيمان، وأن أعمل صالحاً ترضاه] (١) (٢).

أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهم- : "نزلت في أبي بكر الصديق : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥]، إلى قوله: {وَعَدَّ الصَّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف : ١٦]" (٣).

قال ابن عباس: "وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: {وأصلح لي في ذريتي}، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة" (٤).

وقال الحسن: "هي مرسله نزلت على العموم" (٥). أي: إنها عامة وعلى سبيل التمثيل والموعظة.

٤- {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا اتَّعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَكْفُرُونَ بِهِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧)} [الأحقاف : ١٧]

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أن قوله: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا} [الأحقاف : ١٧]، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر. قاله مروان بن الحكم (١)، وابن عباس (٢)، وأبو العالية (٣)، ومجاهد (٤)، وقتادة (٥)، والسدي (٦)، والكلبي (٧)، ومقاتل (٨).

(١) هذه الزيادة في تفسير البغوي: ١٩٥/٤.

(٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩.

(٣) تاريخ دمشق: ٣٠/٣٣٨.

(٤) نقلاً عن: تفسير البغوي: ٢٥٨/٧. بدون سند.

(٥) نقلاً عن: تفسير القرطبي: ١٦/١٩٤.

قال مقاتل: " هو عبد الرحمن بن أبي بكر وأمه رومان بنت عمرو بن عامر الكندي، دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، فقال لوالديه: {أَفْ لَكُمْ}"^(٩).
قال ابن عطية: " وذلك أنه كان أكبر ولد أبي بكر وشهد بدرًا وأحدًا مع الكفار، وقال لأبيه في الحرب"^(١٠):

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَعْبُوبٌ ... وَصَارُمٌ يَقْتُلُ ضَلَالَةَ الشَّيْبِ

ودعاه إلى المبارزة، فكان بمكة على نحو هذه الخلق، فقيل: إن هذه الآية نزلت فيه"^(١١).

قال السدي: " نزلت هذه الآية: {وَأَلْذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٌّ لَكُمْ} [الأحقاف: ١٧]، في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لوالديه وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم فكان يأمرانه بالإسلام ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف: ١٩]"^(١٢).

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٨٢٧): ص ١٣٣/٦

(٢) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٨٥٩): ص ٢٠٠/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨٥٧٢): ص ٣٢٩٥-٣٢٩٦.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٨٥٩): ص ٢٠٠/٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٣٨/١. قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يبق غير شكة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلال الشيب

الشكة: السلاح. ويعبوب: الفرس الكثير الجري. والصارم: السيف القاطع.

قال ابن كثير: " يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصان وهو يعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره". [البداية والنهاية: ٢٩٢/٣]

(١١) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨٥٧٢): ص ٣٢٩٥-٣٢٩٦.

وقال السدي : "فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة، وما بالمدينة أعبدُ منه، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضي الله عنه"^(١).

واعترض الزجاج على هذا القول، فقال: "أما قوله: {وَأَلَّذِي قَالَ لِيَا وَيْلَهُ أَفَّ لَكُمْ} [الأحقاف : ١٧]، فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [الأحقاف : ١٨]، فأعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المؤمنين وسرّواتهم. والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق"^(٢).

وقال الفراء: "ذُكِرَ أَنَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ: {أَفَّ لَكُمْ} [الأحقاف : ١٧].. وقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، لم تنزل في عبد الرحمن بن أبي بكر، ولكن عبد الرحمن قال: ابعثوا لي جدعان بن عمرو، وعثمان بن عمرو- وهما من أجداده- حتى أسألهما عما يقول محمد صلى الله عليه- أحق أم باطل؟ فأنزل الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، يعني: جدعان، وعثمان"^(٣).

قال الثعلبي: "فأما ابن أبي بكر، فقد أجاب الله تعالى فيه دعاء أبيه بقوله: {وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي} [الأحقاف : ١٥]، فأسلم وحسن إسلامه"^(٤).

قال مكي: "قوله: {وَأَلَّذِي قَالَ لِيَا وَيْلَهُ أَفَّ لَكُمْ} إلى قوله: {نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الآيات ١٦ - ٢٤]، هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه عند بعض العلماء، ورد ذلك بعضهم قال: هذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، فقد حقت عليه وعلى أمثاله كلمة العذاب بهذه الآية، وأن عبد الرحمن من أفاضل المؤمنين"^(٥).

قال الواحدي: "الأكثر على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر"^(٦).

قال ابن عطية: "الأصوب أن تكون عامة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبد الرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ}،

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٨٠/٥.

(٢) معاني القرآن: ٤٤٤/٤-٤٤٣٠.

(٣) معاني القرآن: ٥٣/٣-٥٤.

(٤) الكشف والبيان: ١٣/٩.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.

(٦) التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠.

وكان عبد الرحمن رحمه الله من أفضل الصحابة ومن الأبطال، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره^(١).

قال السمعاني: " زعم جماعة من أهل التفسير أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ووالديه أبو بكر وأمه أم رومان..وأكثر كثير من أهل التفسير هذا القول، وروي عن عائشة أنها كانت تنكر أن المراد بالآية أخوها، وكذلك ذكر الزجاج في كتاب المعاني وغيره^(٢).

قال الحافظ ابن كثير: "ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما- فقله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه"^(٣).

عن يوسف بن ماهك، قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شينا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَأْتِيهِ أَفٌّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي﴾ [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»^(٤).

روي عن محمد بن زياد قال : "لما بايع معاوية لابنه، قال مروان : سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ . فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : سُنَّةُ هِرْقَلٍ وَقَيْصِرٍ . فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَأْتِيهِ أَفٌّ لَكُمْ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت : كذب مروان! والله ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض^(٥) من لعنة الله"^(٦).

(١) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.

(٢) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(٤) صحيح البخاري(٤٨٢٧):ص١٣٣/٦

(٥) في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض. وفي الحديث: أنت فضض من لعنة الله، يعنى: ما انفض من نطفة الرجل وتردد في صلبه.

(٦) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٩١).

وروي عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: "أخبرني عبد الله بن الميني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان، فقال: إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟!^(١) إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألسنت الذي قال لوالديه: أف لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألسنت ابن اللعين الذي لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أباك. قال: وسمعتهما عائشة، فقالت: يا مروان، أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان. ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف"^(٢). وفي رواية: "فقال مروان: هذا الذي يقول الله تعالى فيه: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْمَا أَتَعَدَانِي} [الأحقاف: ١٧]... الآية، فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك فغضبت، وقالت: والله ما هي به، ولو شئت لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه"^(٣)، فأنت [نضض]^(٤) من لعنة الله"^(٥).

الثاني: أنها نزلت في عبدالله بن أبي بكر، وكان يدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى. قاله ابن عباس^(٦)، وأبو العالية^(٧)، ومجاهد^(٨)، والسدي^(٩)، وابن جريج^(١٠). قال مجاهد: "ونزلت في عبد الله بن أبي بكر بطولها"^(١١).

(١) أي: اتبعت طريقته في إسناد الملك لأولاد المالكن وخالفتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده إذ إنهم لم يفعلوا ذلك.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٢): ص ٣٢٩٥/١٠

(٣) قال مكى: "تعني الحكم - طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم". [الهداية على بلوغ النهاية: ٦٨٤٦/١١]

(٤) في الكشف والبيان مكتوب «نضض»!، قال المحقق: كذا في المخطوط.

(٥) الكشف والبيان: ١٣/٩.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، وتفسير البغوي: ٢٥٨/٧، بدون ذكر سند.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩. حكاه عنه بدون ذكر سند.

(٨) رواه ابن جريج عن مجاهد، كما في تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، وانظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، والنكت والعيون: ٢٨٠/٥، وتفسير البغوي: ٢٥٨/٧، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء: ١٠٩٥/٢. حكي عنه بدون سند.

(٩) انظر: تفسير البغوي: ٢٥٨/٧. حكاه بدون سند.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١١) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء: ١٠٩٥/٢. بدون سند.

وروى العوفي، عن ابن عباس: "أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق"^(١)، ولم يذكر اسمه".

قال ابن كثير: "وفي صحة هذا نظر، والله أعلم"^(٢).

الثالث: أن هذه الآية مرسلة عامة، وهي نعت عبد كافر فاجر عاق لوالديه، المكذب بالبعث. قاله الحسن^(٣)، وقتادة^(٤).

وروى سعيد عن قتادة قال: "هذا عبد سوء نعته الله جل وعز قال لوالديه: {أَتَعِدَّانِي أَنْ} أبعث"^(٥).

قال الحافظ ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا} - وهذا عام في كل من قال هذا"^(٦).

قال ابن عطية: "الَّذِي}، يعنى: به الجنس على حد العموم الذي في الآية التي قبلها في قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} [الأحقاف: ١٥]، هذا قول الحسن وجماعة، ويشبه أن لها سببا من رجل قال ذلك لأبويه. فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق"^(٧).

(١) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩، والواحد في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.

(٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩، والواحد في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.

(٥) معاني القرآن للنحاس: ٤٥٠/٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(٧) المحرر الوجيز: ٩٨/٥.

سورة «محمد»

١- {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا
بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)} [محمد : ١ - ٢]
سبب نزول الآيتين: [١-٢]:

عن ابن عباس، في قوله: " {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]، قال: نزلت
في أهل مكة، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [محمد : ٢]، قال: الأنصار"^(١).
قال مقاتل: "نزلت في اثني عشر رجلا من قريش وهم المطعمون من كفار مكة في مسيرهم
إلى قتال النبي- صلى الله عليه وسلم- ببدر منهم أبو جهل، والحارث ابنا هشام، وشيبة وعتبة ابنا
ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام، وربيع بن الأسود،
وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [محمد : ٢]:
نزلت في بني هاشم وبني المطلب"^(٢).

٢- {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١)} [محمد : ١١]

قال قتادة: "نزلت هذه الآية يوم أحد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد اتخن في
المسلمين بالقتل والجراح فصاح المشركون يوم بيوم بدر لنا العزى ولا عزي لكم فانزل الله جل
وعز: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]، إلى قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا الله
مولانا ولا مولى لكم وقتلنا أحياء يرزقون في الجنة وقتلناكم في النار"^(٣).

٣- {وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)} [محمد :
١٣]

عن ابن عباس: "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال:
التفت إلى مكة، فقال: أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأنت أحب بلاد الله إلي، فلو أن المشركين لم
يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ، فَأَعْتَى الْأَعْدَاءُ مَنْ عَتَا عَلَى اللَّهِ فِي حَرَمِهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ

(١) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣/٤.

(٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧٠/٦. وانظر: سيرة ابن إسحاق: ٣٣٣. والخبر رواه البخاري في
صحيحه برقم (٤٠٤٣). باختلاف في الألفاظ وليس فيه عبارة: "فأنزل الله...".

بُدْحُولِ الْجَاهِلِيَّةِ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَكَايِنُ مِنْ قُرَيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ لَهُمْ} (١).

٤- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد : ٣٣]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل: "وذلك أن أناسا من أعراب بني أسد بن خزيمه قدموا على النبي- صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: أتيناك بأهلينا طائعين عفوا بغير قتال وتركنا الأموال والعشائر، وكل قبيلة في العرب قاتلوك حتى أسلموا كرها فلنا عليك حق، فاعرف ذلك لنا فأنزل تعالى في «الحجرات»: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} [الحجرات : ١٧] إلى آيتين (٢). وأنزل الله- تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد : ٣٣] (٣).

قال ابن عطية: "روي أن هذه الآية نزلت في بني أسد من العرب، وذلك أنهم أسلموا وقالوا لرسول الله عليه السلام: نحن قد أترناك على كل شيء وجئناك بنفوسنا وأهلنا، كأنهم منوا بذلك، فنزل فيهم: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا [الحجرات: ١٧] ونزلت فيهم هذه الآية، فإن كان هذا فالإبطال الذي نهوا عنه ليس بمعنى الإفساد التام، لأن الإفساد التام لا يكون إلا بالكفر، وإلا فالحسنات لا تبطلها المعاصي، وإن كانت الآية عامة على ظاهرها نهي الناس عن إبطال أعمالهم بالكفر، والإبطال هو الإفساد التام" (٤).

الثاني: قال أبو العالية: "كان أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، حتى نزلت: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}، فخافوا أن يبطل الذنب العمل" (٥).

(١) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٦٣ / ٧ أيضا لعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) هما الآية ١٧، ١٨ من سورة الحجرات ونصهما: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فَلَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحجرات: ١٧-١٨].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١-٥٠/٤. ومقاتل متروك، وكذبه غير واحد، فخره لا يصح.

(٤) المحرر الوجيز: ١٢٢/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٩١): ص ٣٢٩٩/١٠، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٦٤٦ / ٢، وإسناده ضعيف، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٤-٥٠٥ / ٧ وزاد نسبه لعبد بن حميد.

٥- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} (٣٤) [محمد : ٣٤]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت الآية في رؤساء أهل بدر. قاله الكلبي^(١).

الثاني: وقال مقاتل: "وذلك أن المسلم كان يقتل ذا رحمه على الإسلام فقالوا: يا رسول الله، أين أبؤنا وإخواننا الذين قاتلوا فقتلوا؟ فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هُمْ فِي النَّارِ. فقال رجل من القوم: أين والده وهو عدي بن حاتم؟ فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في النار. فولى الرجل وله بكاء فدعاه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال مالك؟ فقال: يا نبي الله أجدني أرحمه وأرثي له، فقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: فإن والدي ووالد إبراهيم ووالدك في النار فليكن لك أسوة فيّ وفي إبراهيم خليله فذهب بعض وجده. فقال: يا نبي الله، وأين المحاسن التي كان يعملها؟ قال: يخفف الله عنه بها من العذاب فأنزل الله فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»^(٢)^(٣).

قال ابن عطية: "وظاهر الآية العموم في كل ما تناولته الصفة"^(٤).

(١) حكاه عنه أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم: ٣٠٦/٣.

(٢) نص الآية: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [محمد : ٣٤].

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢-٥١/٤. مقاتل متروك متهم، والخبر لا يصح.

(٤) المحرر الوجيز: ١٢٢/٥.

سورة «الفتح»

١- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)﴾ [الفتح : ١ - ٥]

في سبب نزول الآيات: [٥-١]، وجهان:

أحدهما: أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، وفي ذلك أحاديث كثيرة عن الصحابة-رضوان الله عليهم- تقتضي صحته.

عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء؛ فلم يجبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم مسألة؛ فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب: تَكَلَّمْتُ أَمَ عَمْر، نَزَرْتُ رَسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ مَرَاتٍ كُلَّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عَمْر: فَحَرَكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي قُرْآنِ، فَجَنَّتُ رَسولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةَ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)﴾^(١). [صحيح]

عن حبيب بن أبي ثابت؛ قال: "أتيت أبا وائل أسأله، فقال: كنا بصفين، فقال رجل: ألم تر إلى الذين يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله؟ فقال علي: نعم، فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم؛ فلقد رأينا يوم الحديبية؛ يعني: الصلح الذي كان بين النبي - صلى الله عليه وسلم - والمشركين -ولو نرى قتالاً لقاتلنا- فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلنا في الجنة، وقتلهم في

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤١٧٧، ٤٨٣٣، ٥٠١٢).

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٧/ ٤٥٣): "هذا صورته مرسل، ولكن بقيته تدل على أنه عن عمر؛ لقوله في أثناءه: قال عمر: فحركت بعيري إلخ، وقد أشبعت القول فيه في المقدمة".

قلنا: وقد أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (١/ ٣١)، والترمذي (رقم ٣٢٦٢)، والنسائي في "تفسيره" (٢/ ٣٠١) رقم (٥١٩)، والبخاري في "البحر الزخار" (١/ ٣٨٨، ٣٨٩) رقم (٢٦٤، ٢٦٥) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن غزوان ومحمد بن خالد بن عثمة كلاهما عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر موصولاً.

النار؟ قال: "بلى"، فقال: ففيم نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فقال: "يا ابن الخطاب! إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً"؛ فرجع متغيظاً فلم يصبر، حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولن يضيعه الله أبداً؛ فنزلت سورة الفتح^(١). [صحيح]

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أنها نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - مرجعه من الحديدية، وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة، وقد حيل بينهم وبين مساكنهم ونحروا الهدى بالحديبية: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)} إلى قوله: {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}، قال: "لقد أنزلت علي آياتن هما أحب إلي من الدنيا جميعاً"^(٢)، قال: فلما تلاهما؛ قال رجل: هنيئاً مرثياً يا نبي الله! قد بين الله لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فأنزل الله - عز وجل - الآية التي بعدها: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} حتى ختم الآية^(٣). [صحيح]

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٨٤٤)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ١٧٥٨).

(٢) قال النحاس في إعراب القرآن: ١٢٩/٤: "فإن قيل:

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يحب الدنيا، فكيف قال في هذا الفضل العظيم الخطير أحب إلي من الدنيا؟ وإنما تقول العرب: هذا في الشيء الجليل فيقولون: هو أسخى من حاتم طيئ، والدنيا لا مقدار لها. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مرّ بشاة ميّنة «والله للدنيا أهون على الله جلّ وعزّ من هذه على أهلها» [أخرجه الترمذي في سننه - الزهد ١٩٨ / ٩، وابن ماجّة في سننه رقم الحديث (٤١١٠)] ففي ذلك غير جواب منها أن المعنى لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا وما فيها لو كانت لي فأنفقتها في سبيل الله جلّ وعزّ".

(٣) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢ / ٢٢٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧ / ٥١٥) - وعنه الترمذي (٥ / ٣٨٥، ٣٨٦ رقم ٣٢٦٣) -، وأحمد في "المسند" (٣ / ١٣٤، ١٩٦، ٢١٥، ٢٥٢)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٦٠ - موارد)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦ / ٤٣، ٤٤)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ٤٥٩، ٤٦٠)، والنسائي في "التفسير" (٢ / ٣٠٤ رقم ٥٢٢)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٥٥، ٢٥٦)، و"الوسيط" (٤ / ١٣٢، ١٣٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥ / ٢١٧، ٢٢٢)، و"دلائل النبوة" (٤ / ١٥٨)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (١ / ١٢٤، ١٢٥ رقم ٢٥)، وأبو يعلى في "المسند" (٥ / ٣٠٨ رقم ٢٩٣٢، ص ٣٨٥ رقم ٤٧٣، ص ٣٠٤٥، ٣٢٠٤، ٢١ / ٦ رقم ٣٢٥٢)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١٤ / ٤٧٤ رقم ٥٧٦٦، ص ٤٧٦ رقم ٥٧٦٧)، والبيهقي في "شرح السنة" (١٤ / ٢٢٢ رقم ٤٠١٩)، و"معالم التنزيل" (٧ / ٢٩٥) من طرق عن قتادة عن أنس.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا السياق" ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا على تفصيل.

عن قتادة؛ قال: نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - : {لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} مرجعه من الحديبية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض"، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مرئياً يا نبي الله! قد بين الله تعالى ذكره - لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} إلى قوله: {فَوَرَّاءَ عَظِيمًا} (١). [ضعيف]

الثاني: وقال عطاء عن ابن عباس: "إن اليهود شتموا النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين لما نزل قوله: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف : ٩]، وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. [الفتح : ١ - ٢] (٢). [ضعيف]

فقد أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ٤٥٠، ٤٥١ رقم ٤١٧٢)، والبيهقي "في الدلائل" (٤ / ١٥٧، ١٥٨)، وأحمد (٣ / ١٧٣)، وأبو يعلى (٦ / ٢١ رقم ٣٢٥٢) وغيرهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (١)؛ قال: الحديبية، قال أصحابه: هنيئاً مرئياً، فما لنا؟ فأنزل الله: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، قال شعبة: فقدمت الكوفة فحدثت بهذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له، فقال: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ}؛ فعن أنس، وأما هنيئاً فعن عكرمة.

فهذا يبين أن قوله: هنيئاً مرئياً إلخ من قول عكرمة، فهي ضعيفة؛ لإرسالها، وحكم شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني - رحمه الله - عليها بالشذوذ؛ كما في "صحيح الترمذي" (رقم ٢٦٠١).

وأخرجه مسلم في "صحيحه" (رقم ١٧٨٦) بنحوه، لكن ليس عنده سبب نزول الآية. وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٤ / ٤٢٩ رقم ١٨٦٨٥)، والبخاري في "صحيحه" (رقم ٤٨٣٤) وغيرهما كثير من طريق شعبة عن قتادة عن أنس؛ {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (١)؛ قال: الحديبية.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٦ / ٤٤): ثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا: ثنا شعبة عن قتادة عن عكرمة؛ قال: لما نزلت هذه الآية: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)؛ قالوا: هنيئاً مرئياً لك يا رسول الله! فماذا لنا؟ فنزلت: {لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}.

قلنا: وهذا سند صحيح إلى عكرمة، وهو يؤكد أنه من مرسل عكرمة؛ كما بيناه سابقاً، والله الحمد والمنة على الفهم للإسلام والسنة.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥١٥) وزاد نسبه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٢. وهو مرسل رجاله ثقات.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٢٨٢-٢٨٣. بدون إسناد

وهذا الخبر قاله عطاء عن ابن عباس بدون إسناد، فهو لا شيء لخلوه عن الإسناد، والمتن باطل، فإن الآية المذكورة في الخبر مكية، عند الجمهور وسورة الفتح مدنية.

وذكر مقاتل نحوه قائلاً: "وذلك أن الله - تعالى - أنزل بمكة على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ... {وَمَا أُنزِرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا: واللات والعزى ما أمره وأمرنا عند إلهه الذي يعبده إلا واحد ولولا أنه ابتدع هذا الأمر من تلقاء نفسه لكان ربه الذي بعثه يخبره بما يفعل به وبمن اتبعه كما فعل بسليمان بن داود، وبعيسى بن مريم والحواريين، وكيف أخبرهم بمصيرهم؟ فأما محمد فلا علم له بما يفعل به ولا بنا إن هذا لهو الضلال كل الضلال، فشق على المسلمين نزول هذه الآية فقال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - للنبي - صلى الله عليه وسلم - : ألا تخبرنا ما الله فاعل بك؟ فقال: ما أحدث الله إلي أمر بعد. فلما قدم المدينة، قال عبد الله بن أبي رأس المنافقين: كيف تتبعون رجلاً لا يدري ما يفعل الله به، ولا بمن اتبعه؟ وضحكوا من المؤمنين وعلم الله ما في قلوب المؤمنين من الحزن وعلم فرح المشركين من أهل مكة، وفرح المنافقين من أهل المدينة، فأنزل الله - تعالى - بالمدينة بعد ما رجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ..} (١).

٢- {وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)} [الفتح: ٧]

قال مقاتل: "وأنزل الله - تعالى - في قول عبد الله بن أبي حين قال: «فأين أهل فارس والروم؟»: {وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ}، يعني: الملائكة {وَالْأَرْضِ}، يعني: المؤمنين. فهؤلاء أكثر من فارس والروم، {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا} في ملكه، {حَكِيمًا} في أمره. فحكم النصر للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وأنزل في قول عبد الله بن أبي: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة: ٢١]، أي: محمد - صلى الله عليه وسلم - وحده، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]، يقول: أقوى وأعز من أهل فارس والروم لقول عبد الله بن أبي هم أشد بأساً وأعز عزيزاً" (٢).

قال السمعاني: "في التفسير: أن المنافقين قالوا: وما يغني عن محمد أصحابه؟ ولئن ظفر بقومه فكيف يظفر بجميع العرب وكسرى وقيصر؟ ما وعد محمد أصحابه إلا الغرور، فأنزل الله تعالى قوله: {وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٦/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩/٤.

(٣) تفسير السمعاني: ١٩٣/٥.

٣- {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)} [الفتح : ١١]

قال مقاتل: "وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- مر بهم فاستنفرهم، فقال بعضهم لبعض: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة لا يرجع هو وأصحابه أبدا فأين تذهبون؟ أتقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى تنتظروا ما يكون من أمره، فأنزل الله- عز وجل- لقولهم له قالوا: {شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا}"^(١).

٤- {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧)} [الفتح : ١٧]

عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه-؛ قال: "كنت أكتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنني لو اضع القلم على أذني إذ أمر بالقتال؛ إذ جاء أعمى، فقال: كيف بي وأنا ذاهب البصر؟! فزلت: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[الفتح : ١٧]"^(٢). [ضعيف]

وقال البغوي: " فلما نزلت هذه الآية [قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَسْبَابِ] شَدِيدٍ نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ نُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح : ١٦]]، قال أهل الزمان: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى : {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ} [الفتح : ١٧]"^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١/٤.

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٥/ ١٥٥ رقم ٤٩٢٦) من طريق لوبن ثنا محمد بن جابر عن أبي فروة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن زيد بن ثابت به.

وهذا سند ضعيف؛ فيه محمد بن جابر اليمامي؛ قال الحافظ في "التقريب" (٢/ ١٤٩): "صدوق، ذهب كتبه؛ فساء حفظه، وخلط كثيرا، وعمي؛ فصار يلقي".

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٧): "فيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف يكتب حديثه، وبقيته رجاله رجال الصحيح". اهـ.

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٢١): "أخرج الطبراني بسند حسن".

(٣) تفسير البغوي: ٢٠٣/٧.

٥- {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤)} [الفتح : ٢٤]

عن أنس بن مالك، " أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلما فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٢٤]"^(١).

وروي عن عبد الله بن مغفل المزني، قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى: في القرآن، وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ". فأخذ سهيل بن عمرو بيده، فقال: ما نعرف الرحمن الرحيم، اكتب في قضيتنا ما نعرف، قال: " اكتب باسمك اللهم ". فكتب: " هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ". فأمسك سهيل بن عمرو بيده، وقال: لقد ظلمناك إن كنت رسوله، اكتب في قضيتنا ما نعرف. فقال: " اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وأنا رسول الله "، فكتب. فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ الله عز وجل بأبصارهم، فقدمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هل جنتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أمانا؟ " فقالوا: لا، فحلى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}«^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٣٣ / ١٨٠٨) ص ١٤٤٢.

وأبو داود في الجهاد (٢٦٨٨) والترمذي في التفسير (٣٢٦٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣٠).

وأحمد في مسنده (٣ / ١٢٠، ١٢٤، ٢٩٠)، وابن جرير (٢٦ / ٥٩)، وزاد السيوطي نسبه في الدر (٦ / ٧٥) لابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه احمد في المسند (١٦٨٠٠): ص ٣٥٤-٣٥٥، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٤٦٠ - ٤٦١) وصححه وأقره الذهبي.

وأخرجه الطبري في التفسير: (٢٢٢ / ٢٣٦-٢٣٧) - كما سيأتي-، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٥) وقال:

وعن ابن أزي؛ قال: "لما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وبالهدى وانتهى إلى ذي الحليفة؛ قال له عمر: يا نبي الله! تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع، قال: فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حملة، فلما دنا من مكة؛ منعه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى؛ فأتاه عينه: أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمسمائة، فقال لخالد بن الوليد: "يا خالد! هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل"، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله؛ فيومئذ سُمِّي سيف الله، يا رسول الله! ارم بي حيث شئت، فبعثه على خيل؛ فلقي عكرمة في الشعب، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة؛ فأنزل الله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} إلى قوله: {عَذَابًا أَلِيمًا}، قال: فكف الله النبي عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم؛ كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم، وقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}، يقول - تعالى ذكره - : وكان الله بأعمالكم وأعمالهم بصير لا يخفى عليه منها شيء^(١). [ضعيف جداً]

وقال قتادة: "قوله: {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ} الآية؛ قال: بطن مكة: الحديبية، يقال له «ابن زُنَيْم»^(٢): اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيلاً فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار، فقال لهم نبي الله صَلَّى اللهُ

"رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

(١) أخرجه الطبري : ٢٣٩/٢٢ : ثنا ابن حميد قال: ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أزي.

وسنده ضعيف جداً؛ لضعف ابن حميد، وإرساله.

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣٤٣/٧): "وهذا السياق فيه نظر؛ فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالدًا لم يكن أسلم؛ بل قد كان طليعة المشركين يومئذ، كما ثبت في الصحيح. ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء، لأنهم قاضوه على أن يأتي من العام المقبل فيعتمر ويقوم بمكة ثلاثة أيام، فلما قدم لم يمانعوه، ولا حاربوه ولا قاتلوه. فإن قيل: فيكون يوم الفتح؟ فالجواب: ولا يجوز أن يكون يوم الفتح؛ لأنه لم يسق عام الفتح هديًا، وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم، فهذا السياق فيه خلل، قد وقع فيه شيء فليتأمل، والله أعلم".

وقال الحافظ ابن حجر في "الكاف الشاف" (ص ١٥٣): "والحديث في صحته نظر".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٣٣ / ٧) وزاد نسبه لابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٢) في تفسير الطبري: «رهم»، قال المحقق: لعل فيه سقطاً، وفي تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٧ «ابن زُنَيْم».

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل لكم عليّ عهد؟ هل لكم عليّ نمة، قالوا: لا فأرسلهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ ... إلى قوله ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١).

٦- ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَلَوْ لَرَجَلٌ مُؤْمِنُونَ وَيَسَاءَ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطْنُوهُنَّ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ بَعِيرٌ عِلْمٌ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَرَيَلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)﴾ [الفتح : ٢٥]

عن أبي جمعة - رضي الله عنه-؛ قال: "قاتلت النبي - صلى الله عليه وسلم - أول النهار كافرًا، وقاتلت معه آخر النهار مسلمًا، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة، وفيما أنزلت: ﴿وَلَوْ لَرَجَلٌ مُؤْمِنُونَ وَيَسَاءَ مُؤْمِنَاتٌ﴾"^(٢). [حسن]

٧- ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ [الفتح : ٢٦]

عن الأجلح؛ قال: "كان حمزة بن عبد المطلب رجلاً حسن الشعر، حسن الهيئة، صاحب صيد، وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على أبي جهل فولع به وآذاه، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه؛ فقالت إحداهما: لو علم ذا ما صنع بابن أخيه؛ أقصر عن مشيته؛ فالتفت إليهما، فقال: وما ذلك؟ قالت: أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا، فدخلته الحمية، فجاء حتى دخل

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٢. مرسل صحيح الإسناد. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٢٧) وزاد نسبه لعبد بن حميد

(٢) أخرجه أبو يعلى في "المسند" (٣/ ١٢٩ رقم ١٥٦٠)، و"المفاري" (ص ٧١، ٧٢ رقم ٧٢) -ومن طريقه ابن الأثير في "أسد الغابة" (٥/ ٥٢، ٥٣) -، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢/ ٢٩٠ رقم ٢٢٠٤، ٣/ ٢٤ رقم ٢٥٤٣) -وعنه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/ ٦١١ رقم ١٦٦٠) -، وابن قانع في "معجم الصحابة" (١/ ١٨٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٠٨)، وابن عبد البر وأبو موسى المدني؛ كما في "أسد الغابة" (٥/ ٥٣) من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم عن أبي خلف عن عبد الله بن عوف؛ قال: سمعت أبا جمعة به.

قلنا: وسنده حسن -إن شاء الله- قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٧): "رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات".

وقال في (٩/ ٣٩٨): "رواه أبو يعلى ورجاله ثقات".

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٤) بعد أن زاد نسبه للحسن بن سفيان وابن المنذر والبارودي وابن مردويه: "بسند جيد".

المسجد وفيه أبو جهل فعلا رأسه بقوسه، ثم قال: ديني دين محمد إن كنتم صادقين، فامنعوني؛ فقامت إليه قريش، فقالوا: يا أبا يعلى؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ} إلى قوله: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}؛ قال: حمزة بن عبد المطلب^(١). [ضعيف]

٨- {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)} [الفتح : ٢٧]

عن مجاهد؛ قال: "أري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالحديبية أنه يدخل مكة وهو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فقال له أصحابه -حين نحر بالحديبية-: أين رؤياك يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟! فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ} إلى قوله: {فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا}؛ يعني: النحر بالحديبية، ثم رجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة"^(٢).

وروي عن عطاء؛ "خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - معتمراً، حتى أتى الحديبية، فخرجت إليه قريش، فردوه عن البيت، حتى كان بينهم كلام وتنازع؛ حتى كاد يكون بينهم قتال، قال: فبايع النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه، وعدتهم ألف وخمسة مئة تحت الشجرة، وذلك يوم بيعة الرضوان، ففاضهم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالت قريش: نقاضيك على أن تنحر الهدى مكانه، وتحلق وترجع، حتى إذا كان العام المقبل؛ نخلي لك مكة ثلاثة أيام، ففعل. قال: فخرجوا إلى عكاظ، فأقاموا فيها ثلاثاً، واشتروطوا عليه أن لا يدخلها بسلاح إلا بالسيف، ولا تخرج بأحد من أهل مكة إن هرج معك، فنحر الهدى مكانه وحلق ورجع، حتى إذا كان في قابل تلك الأيام؛ دخل مكة، وجاء بالبدن معه، وجاء الناس معه، فدخل المسجد الحرام؛ فأنزل الله عليه: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ}، قال: وأنزل عليه: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعْتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ}

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٦) ونسبه لابن أبي حاتم. وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٥٩)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤/ ١٦٤) من طرق عن ابن أبي نجیح عنه به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٣٨) وزاد نسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

[البقرة: ١٩٤]، فإن قاتلوكم في المسجد الحرام فقاتلوهم، فأحل لهم إن قاتلوهم في المسجد الحرام أن يقاتلوهم. فأتاه أبو جندل بن سهل بن عمرو، وكان موثقاً، أوثقه أبوه، فردّه إلى أبيه^(١).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥ / ١٨٦٩٠): حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن أشعث بن سوار، عن عطاء به.

وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان: الأولى: الإرسال. الثانية: أشعث بن سوار؛ ضعيف.

سورة «الحجرات»

١- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)}

[الحجرات : ١]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أنها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك. وهذا قول عائشة-رضي الله عنها-^(١).
 عن مسروق: "أنه دخل على عائشة -رضي الله عنها- في اليوم الذي يُشك فيه من رمضان؛ فقالت: يا جارية! خوّصي له سويفاً؛ فقال: إني صائم؛ فقالت: تقدمت الشهر؟ فقلت: لا، ولكني صمتُ شعبان كله فوافق ذلك هذا اليوم، فقالت: إن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات : ١]"^(٢). [صحيح]

(١) انظر: "المعجم الأوسط" للطبراني(٣/ ١٣٤ رقم ٢٧١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (٣/ ١٣٤ رقم ٢٧١٣): ثنا إبراهيم بن أحمد الوكيعي؛ قال: نا أبي؛ قال: نا أبو أسامة، عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن يحيى بن الحارث التيمي عن حبال بن رفيدة عن مسروق به. قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن أبي كدينة إلا أبو أسامة". وأخرجه الواحدي في "الوسيط" (٤/ ١٥٠) من طريق أخرى عن التيمي. قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: حبال بن رفيدة؛ مجهول؛ قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (١/ ٤٤٨): "لا يعرف".

وبه أعله الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ١٤٨).

الثانية: التيمي هذا لم نجد له ترجمة.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) وزاد نسبه لابن مردويه.

وأخرجه الدارقطني في "المؤتلف والمختلف" (٢/ ٥٩٧) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن مالك بن أبي حمزة عن مسروق بنحوه.

قلنا: وإسناده صحيح؛ ورجاله ثقات، ومالك بن أبي حمزة وثقه ابن معين وابن حبان والحافظ ابن حجر، وقال الزيلعي في "تخريج الكشاف" (٣/ ٣٢٥): "ولم يذكره -يعني: الدارقطني- بجرح ولا تعديل".

قلنا: هذا لا يضره؛ كونه وثقه غيره على ما هو مفصل في "تهذيب التهذيب" (١٢/ ١٦٩، ١٧٠)؛ فلا وجه لتضعيفه كما فعل الزيلعي.

وبالجملة؛ فالحديث بمجموع ما تقدم ثابت لا ريب.

وعنها -أيضاً- رضي الله عنها-؛ قالت: "كان أناس يتقدمون بين يدي رمضان بصيام؛ يعني: يوماً أو يومين؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)} [الحجرات: ١]"^(١).

الثالث: -وهو قول قتادة-: "أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا لوضع كذا وكذا، قال: فكره الله عزّ وجلّ ذلك، وقدم فيه"^(٢).

وعن قتادة: "إن أناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا"^(٣).

الرابع: -وهو قول الحسن- أنه: "ذبح رجل قبل الصلاة؛ فنزلت"^(٤).

وقال الحسن: "هم قوم نحروا قبل أن يصلي النبيّ صلى الله عليه وسلّم، فأمرهم النبيّ صلى الله عليه وسلّم أن يعيدوا الذبح"^(٥).

الخامس: أنها نزلت في سبب كلام دار بين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- عندما قدم وفد بني تميم. وهذا قول عبدالله بن الزبير^(٦). وبه قال النحاس، وقال: هذا القول من أصحها سنداً وأبينهما"^(٧).

روي عن ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير، أخبرهم: "أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم»، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا} [الحجرات: ١] ، حتى انقضت"^(٨). [صحيح]

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) ونسبه لابن النجار.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الأضاحي"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧)، و"الباب النقول" (ص ١٩٥).

(٥) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢، وعبد الرزاق في "تفسيره" (٢٩٢٢): ص ٢١٩/٣، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.

وأخرج ابن أبي الدنيا في "الأضاحي"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/ ٥٤٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٢.

(٧) إعراب القرآن: ١٣٨/٤.

(٨) أخرجه البخاري في المغازي (٤٣٦٧) وفي التفسير (٤٨٤٥، ٤٨٤٧) وفي الاعتصام (٧٣٠٢) والترمذي في

وفي رواية: " فنزل في ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحجرات : ١] ، إلى قوله سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [الحجرات : ٥]"^(١).

السادس : أنها نزلت في قصة بئر معونة^(٢) ، قال الكلبي^(٣) ، والسدي^(٤) ، والمقاتلان^(٥) ، وعطاء الخراساني^(٦).

قال الكلبي: " نزلت في عمرو بن أمية الضمري، وكان قد قتل رجلين من بني سليم قبل أن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٧).

وفي رواية باذان عن ابن عباس أنها نزلت: " في الثلاثة الذين نجوا الرجلين السلميين، اللذين اعتزما إلى بني عامر وأخذهم مالهما وكانا من أهل العهد، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق الخبر إليه، فقال: «بئس ما صنعتن، هما من أهل ميثاقي وهذا الذي معكم من نسوتي»، قالوا: يا رسول الله إنهما زعما أنهما من بني عامر، فقلنا: رجلان ممن قتل إخواننا. فقلنا: هما لذلك. وأتاه السلميون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا قود لهما لأنهما اعتزما إلى

التفسير (٣٢٦٦) وقال: حسن غريب، وأخرجه النسائي في التفسير (٥٣٤) وأخرجه في المجتبى في كتاب آداب القضاة (٨ / ٢٢٦)، وأخرجه النسائي (جامع الأصول: ٣٦٠/٢)، والطبري في التفسير: ٢٨٠/٢٢. وفيه «ونزل القرآن {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ١] ... إلى قوله {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} [الحجرات: ٣]»

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٥٢):ص٤٠١.

(٢) بئر معونة: قال ابن إسحاق: (بئر معونة بين أرض بني عامر وحررة بني سليم، وقال: كلا البلدين منها قريب إلا أنها إلى حررة بني سليم أقرب، وقيل: بئر معونة بين جبال يقال لها: أبلى في طريق المصعد من المدينة إلى مكة وهي لبني سليم)، وقال الواقدي: (بئر معونة في أرض بني سليم وأرض بني كلاب، وعندها كانت قصة الرجيع) والله أعلم، انظر: "معجم البلدان" ٣٠٢ / ١.

(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠.

(٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠. بدون إسناد.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧/٤-٨٩، أخرجه البيهقي في الشعب ١٩٦ / ٢ عن مقاتل بن حيان. وانظر:

تخريج الأحاديث والآثار ٣ / ٣٢- وحكاه الواحدي عن مقاتل بن حيان، انظر: التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠.

(٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٧٠/٩، والواحدي في التفسير البسيط: ٣٤٠/٢٠. بدون إسناد.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤٢/٤.

عدونا». ولكنه أيدهما، فوآدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله سبحانه في ذلك: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حين قتلوا الرجلين^(١).

وقال مقاتل: "نزلت في ثلاثة نفر وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى ناحية أرض تهامة، وكانوا سبعة وعشرين رجلا منهم عروة بن أسماء السلمي، والحكم بن كيسان المخزومي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وبشير الأنصاري، واستعمل عليهم المنذر ابن عمرو الأنصاري من النقباء وكتب صحيفة ودفعها إلى حرام بن ملحان ليقراها على العدو، فكان طريقهم على بني سليم وبينهم وبين النبي- صلى الله عليه وسلم- مودعة، ودس المنافقون إلى بني عامر بن صعصعة، وهم حرب على المسلمين إن أصحاب محمد مغرورون يختلفون من بين ثلاثة وأربعة فأرصدوهم وهم على بئر معونة، وهو ماء لبني عامر فسار القوم ليلا، وأضل أربعة منهم بعيرا لهم منهم بشير الأنصاري، فأقاموا حتى أصبحوا، وسار المسلمون حتى أتوا على بني عامر وهم حول الماء وعليهم عامر بن الطفيل العامري، فدعاهم المنذر ابن عمرو إلى الإسلام وقرأ عليهم حرام الصحيفة، فأبوا فاقتتلوا قتالا شديدا فلما عرفوا أنهم مقتولون، قالوا: اللهم، إنك تعلم أن رسولك أرسلنا، وإننا لا نجد من يبلغ عنا رسولك غيرك، فأقرءه منا السلام فقد رضينا بحسن قضائك لنا. وحمل عامر ابن الطفيل على حرام فطعنه فقتله، وقتل بقيتهم غير المنذر بن عمرو، فإنه كان دارعا مقتعا وعروة بن أسماء السلمي، فقتل المنذر بعد ذلك فقالوا لعروة: لو شئنا لقتلناك، فأنت آمن فإن شئت فارجع إلينا، وإن شئت فاذهب إلى غيرنا، فأنت آمن. قال عروة: إني عاهدت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ألا أضع يدي في يد مشرك ولا أتخذه وليا. وجعل يحمل عليهم، ويضربونه بعرض رماحهم ويناشدونه، ويأبى عليهم فرموه بالنبل حتى قتلوه، وأتى جبريل النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بحالهم، فنعاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وقال: أرسل إخوانكم يقرءونكم السلام فاستغفروا لهم. ووجد الأربعة بعيرهم حين أصبحوا، فساروا فلما دنوا من ماء بني عامر لقيتهم وليدة لبني عامر فقالت: أمن أصحاب محمد أنتم؟ فقالوا: نعم، رجاء أن تسلم، فقالت: إن إخوانكم قد قتلوا حول الماء، النجاء النجاء. ألا ترون إلى النسور والعقبان قد تعلقن بلحومهم. فقال بشير الأنصاري: دونكم بعيركم أنظر لكم. فسار نحوهم فرأى إخوانهم مقتلين كأمثال البدن حول الماء فرجع إلى أصحابه فأخبرهم وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فنخبره الخبر. فقال بشير: لكني لا أرجع والله، حتى أتغدى من غداء القوم. فآقرءوا على النبي-

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٧٠/٩-٧١، والتفسير البسيط للواحدى: ٣٤٠/٢٠-٣٤١.

صلى الله عليه وسلم- مني السلام ورحمة الله، ثم أتاهم فحمل عليهم، فناشدوه أن ارجع فأبى وحمل عليهم، فقتل منهم ثم قُتِلَ بعد، فرجع الثلاثة يسلون بغيرهم سلا^(١). فأتوا المدينة عند جنوح الليل، فلقوا رجلين من بني سليم جائين من عند رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقالوا: من أنتما؟ قالوا: من بني عامر. لأنهم كانوا قريبا من بني عامر بالمدينة ولا يشعران بصنيع بني عامر. فقالوا: هذان من الذين قاتلوا إخواننا، فقتلوهما وسلبوهما، ثم دخلوا على النبي- صلى الله عليه وسلم- ليخبروه فوجدوا الخبر قد سبق إليه، ثم قالوا: يا نبي الله، غشينا المدينة عند المساء فلقينا رجلين من بني عامر فقتلناهما، وهذا سلبهما. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: بل هما من بني سليم من حلفائي بسما صنعتما، هذان رجلان من بني سليم كانا جاء في أمر الموادة. فنزلت فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، يقول: لا تعجلوا بقتل أحد، ولا بأمر حتى تستأمروا النبي- صلى الله عليه وسلم- فوعظهم في ذلك، وأقبل قوم السلميين، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: إن صاحبينا قتلا عندك. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إن صاحبكم اعتزيا إلى عدونا فقتلا جميعا، وأخبرهم الخبر ولكننا سنعقل عن صاحبكم لكل واحد منهما مائة من الإبل فجعل دية المشرك المعاهد كدية الحر المسلم^(٢).

قال ابن عاشور: "على هذه الرواية تكون القصة جرت قبيل قصة بني تميم، فقرنت آياتها في النزول، وهنالك روايات أخرى في سبب نزولها لا تناسب موقع الآية مع الآيات المتصلة بها. وأيا ما كان سبب نزولها فهي عامة في النهي عن جميع أحوال التقدم المراد"^(٣).

قال عبدالقاهر الجرجاني: "وإنما اختلفوا في سبب نزول الآية لعمومها، واشتمالها على هذه المعاني كلها، وتلاوة رسول الله عليه السلام إياها عند كلِّ حادثة في هذه الحوادث، فمن سمعها عند حادثة ظنَّ أنها نزلت فيها خاصة، وقد جمع مجاهد هذه الأقوال وقال: «{لا تقدّموا بين يدي الله، أي: لا تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه}»^(٤)^(٥).

(١)المعنى: يسيرون في خفية خوف العدو قال- تعالى:- { ... فَذُ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ مِنْكُمْ لَوَإِذَا ... } سورة النور: ٦٣، أي يخرجون خفية خشية أن يراهم النبي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧/٤-٨٩.

(٣) التحرير والتنوير: ٢١٧/٢٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٢.

(٥) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ٥٨٢/٢.

٢- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)} [الحجرات : ٢]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: عن أنس بن مالك، أنه قال: " لما نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحجرات: ٢]، إلى آخر الآية، جلس ثابت بن قيس^(١) في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، فقال: «يا أبا عمرو، ما شأن ثابت؟ اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري، وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل هو من أهل الجنة»^(٢).

روي عن عطاء الخراساني؛ قال: "قدمت المدينة، فلقيت رجلاً من الأنصار، قلت: حدثني حديث ثابت بن قيس بن شماس؛ قال: قم معي، فانطلقت معه حتى دخلت على امرأة، فقال الرجل: هذه ابنة ثابت بن قيس بن شماس فاسألها عما بدا لك، فقلت: حدثيني، قالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل الله على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} الآية؛ دخل بيته، وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي، ففقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: "ما شأن ثابت؟"، فقالوا: يا رسول الله! ما ندري ما شأنه؛ غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله: "ما شأنك؟"، قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك هذه الآية، وأنا شديد الصوت؛ فأخاف أن أكون قد حبط عملي، فقال: "لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير"، قالت: ثم أنزل الله على نبيه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]؛ فأغلق عليه بابه، وطفق يبكي فيه، فافتقده رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال: "ثابت ما شأنه؟"، قالوا: يا رسول الله! والله ما ندري ما شأنه؛ غير أنه قد أغلق عليه بابه وطفق يبكي، فأرسل إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "ما شأنك؟"، قال: يا رسول

(١).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان ١٨٧ - (١١٩): ص ١١٠/١، وأخرجه البخاري في المناقب (٣٦١٣) وفي التفسير (٤٨٤٦) من طريق موسى بن أنس عنه به، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٧٥٣): ص ٤٠٢، وزاد السيوطي نسبه في الدر (٨٤ / ٦) لأحمد وأبي يعلى والبخاري في معجم الصحابة وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

الله! أنزل الله عليك: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} والله إني لأحب الجمال وأحب أن أسود قومي، قال: "لست منهم، بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، ويدخلك الله الجنة بسلام"، قالت: فلما كان يوم اليمامة؛ خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب، فلما لقي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد انكشفوا؛ فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم حفر كل منهما لنفسه حفرة، وحمل عليهم القوم، فثبنا حتى قتلا، وكانت على ثابت يومئذ درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها، فبينما رجل من المسلمين نائم؛ إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه، فقال له: إني أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه: إني لما قتلت أمس؛ مر بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي ومنزله في أقصى العسكر، وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد أكفأ على الدرع برمّة وجعل فوق البرمة رحلاً، فأت خالد بن الوليد؛ فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت على خليفة رسول الله؛ فأخبره أن عليّ من الدين كذا وكذا، ولي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فإياك أن تقول هذا حلم؛ فتضيعه، فأتى الرجل خالد بن الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباء في أقصى العسكر؛ فإذا عنده فرس يستن في طوله فنظر في الخباء؛ فإذا ليس فيه أحد، فدفعوا الرجل؛ فإذا تحته برمّة، ثم رفعوا البرمّة؛ فإذا الدرع تحتها، فأتوا به خالد بن الوليد، فلما قدموا المدينة؛ حدث الرجل أبا بكر برؤياه؛ فأجاز وصيته بعد موته، ولا يعلم أحد من المسلمين جوزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس^(١).

[ضعيف]

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في "الأحاد والمثاني" (١ / ٢٤١ رقم ٣١٤، ٣ / ٤٦١ - ٤٦٣ رقم ١٩٢١، ٦ / ١٧٠، ١٧١ رقم ٣٣٩٩)، وفي "الجهاد" (٢ / ٥٦٠ - ٥٦٢ رقم ٢٢٥)، وابن المنذر؛ كما في "فتح الباري" (٦ / ٦٢١)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢ / ٧٠، ٧١ رقم ١٣٢٠)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٦ / ٤١٥، ٤١٦)، والرويان في "مسنده" (٢ / ١٧٤، ١٧٥ رقم ١٠٠٢)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٦ / ٣٥٩٠ رقم ٨٠٩١)، والبعوي في "معجم الصحابة" (ق ٥٦ - ق ٥٧)، والتميمي في "دلائل النبوة" (رقم ٣٠٩ - ط الحداد)، وأبو يعلى في "المسند"؛ كما في "المطالب العالية" (٩ / ٣٨، ٣٩ رقم ٤١٠٨ - المسند)، والحاكم (٣ / ٢٣٥)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦ / ٣٥٦)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (١ / ١٩٤ - هامش الإصابة) من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني. قلنا: وسنده ضعيف؛ عطاء الخراساني؛ صدوق يهيم كثيراً، ويرسل ويدلس؛ كما في "التقريب".

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩ / ٣٢٢): "وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقيّة رجاله رجال الصحيح، والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية؛ فإنها قالت سمعت أبي". اهـ.

الثاني: عن ابن أبي مليكة، قال: " كاد الخيران أن يهلكا، أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر - قال نافع لا أحفظ اسمه - فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلفي، قال: ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]، " الآية قال ابن الزبير: «فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر»^(١).

٣- {إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (٣) [الحجرات : ٣]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-

قال عطاء عن ابن عباس: "لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الحجرات : ٢]، تآلى أبو بكر أن لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات : ٣]"^(٢). [ضعيف]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: " لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات : ٣]، صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله عز وجل هذا"^(٣).

قلنا: قد نص الحافظ على أن عطاء لم يسمع من أحد من الصحابة؛ فيما أن تكون هذه المرأة تابعة وعليه؛ فهي مجهولة، وإما صحابية ويكون هنالك وهم أو تخليط من عطاء نفسه؛ فإن الحافظ نصوا على أنه لم يدرك أي صحابي -والله أعلم-

وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٠) وزاد نسبه لابن مردويه والخطيب في "المتفق والمفترق".

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٤٥)، والواحد في أسباب النزول (٧٥٤):ص٤٠٢، وزاد نسبه في الدر (٦/ ٨٤) للطبراني وابن المنذر.

(٢) ذكره الواحد في أسباب النزول (٧٥٥):ص٤٠٣. بدون إسناد.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٢٠):ص٥٠٢١/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: "لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَأَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} [الحجرات : ٣] قال أبو بكر رضي الله عنه: «فأليت على نفسي، أن لا أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار»^(١).

الثاني: أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس.

عن محمد بن قيس بن شماس؛ قال: "لما نزلت هذه الآية: {لَا تَرْفَعُوا أَسْوَأَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}؛ قال: قعد ثابت في الطريق يبكي، قال: فمرّ به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟! قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيّت رفيع الصوت، قال: فمضى عاصم بن عدي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: وغلبه البكاء، قال: فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسي، فشدي على الضبة بمسمار، فضربته بمسمار، حتى إذا خرج عطفه؛ قال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: وأتى عاصم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره خبره، فقال: "اذهب فادعه لي"؛ ف جاء عاصم إلى المكان فلم يجده، ف جاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوك، فقال: اكسر الضبة، قال: فخرجنا؛ فأتينا نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما يبكيك يا ثابت؟!"، فقال: أنا صيّت، وأتخوّف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ: {لَا تَرْفَعُوا أَسْوَأَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟"؛ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله؛ فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَسْوَأَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى} "^(٢). [ضعيف].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٤٤٩)؛ ص ٧٨/٣، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: حصين واه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨ / ٧) وقال: رواه البزار وفيه حصين بن عمر الأحمسي، وهو متروك، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول: (٧٥٦)؛ ص ٤٠٣، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦ / ٨٤) لابن عدي وابن مردويه.

وفي سنده: يحيى بن عبد الحميد الحماني: متهم بسرقة الحديث.

(٢) (١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٧٥ / ٢٦)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "فتح الباري" (٦ / ٦٢٠) من طريق زيد بن الحباب ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس ثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن

قيس بن شماس عن أبيه به.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢ / ٨٦ رقم ١٣١٦) من طريق زيد بن الحباب ثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس ثني أبي ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩ / ٣٢١): "وأبو ثابت بن قيس بن شماس لم أعرفه، ولكنه قال: ثني أبي ثابت بن قيس، فالظاهر أنه صحابي؛ لكن زيد بن الحباب لم يسمع من أحد من الصحابة".

قلنا: في الطريق الأولى إسماعيل هذا؛ مجهول؛ لم يوثقه إلا ابن حبان، وروى عنه الزهري، وأبو ثابت هذا؛ مجهول، وانظر: "تعجيل المنفعة" (ص ٣٦ - ٣٧).

وبالجملة؛ فالإسناد ضعيف.

وأخرجه الحاكم (٣ / ٢٣٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦ / ٣٥٥) بسند صحيح عن الزهري قال: أخبرني إسماعيل بن محمد بن ثابت، عن أبيه: أن ثابت بن قيس قال: يا رسول الله! لقد خشيت أن أكون قد هلكت، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ولم؟"، قال: نهانا الله أن نحب أن نحمد بما لم نفعل وأجذني أحب الحمد، ونهانا عن الخيلاء وأجذني أحب الجمال، ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهر الصوت؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا ثابت! ألا ترضى أن تعيش حميداً؛ وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟"، قال: بلى يا رسول الله! قال: فعاش حميداً، وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه إسماعيل؛ مجهول كما تقدم.

أما الحاكم؛ فقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قلنا: ولم يخرجا لإسماعيل ولا لأبيه.

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" (رقم ٢٧٧٠ - موارد)، وابن سعد، والدارقطني في "غرائب مالك"؛ كما في "الفتح" (٦ / ٦٢١)، والطبراني في "الكبير" (رقم ١٣١٢، ١٣١٤، ١٣١٥)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (ص ٥٢٠)، و"معرفة الصحابة" (٣ / ٢٢١ رقم ١٣٠١)، والرويان في "المسند" (٢ / ١٧٣ رقم ١٠٠١)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (١ / ١٩٣ - هامش الإصابة) من طرق عن الزهري عن إسماعيل بن محمد بن ثابت: أن ثابت بن قيس الأنصاري؛ قال: يا رسول الله! لقد خشيت أن أكون هلكت، قال: "لم؟"، قال: قد نهانا الله أن نحمد بما لم نفعل وأجذني صاحب الحمد، ونهانا الله عن الخيلاء وأجذني أحب الجمال، ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤ جهير الصوت؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يا ثابت! ألا ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟"، قال: بلى يا رسول الله! قال: فعاش حميداً وقتل شهيداً يوم مسيلمة الكذاب.

قلنا: وهذا سند ضعيف -أيضاً-؛ فيه علة أخرى مع جهالة إسماعيل، وهي أنه لم يدرك جده؛ فهو على هذا مرسل.

ولذلك قال البخاري في "التاريخ الكبير" (١ / ٣٧١): "روى عنه الزهري؛ مرسل". اهـ.

وقال الحافظ: "وهذا مرسل قوي الإسناد"، وقال -أيضاً-: "وهو مع ذلك مرسل؛ لأن إسماعيل لم يلحق ثابتاً".

وأخرجه عبد الرزاق في "المصنف" (رقم ٢٠٤٢٥)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦ / ٧٦)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٦ / ٣٥٥) عن معمر عن الزهري: أن ثابت بن قيس (فذكره).

قال مقاتل: " فلما كان على عهد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- غزا ثابت إلى اليمامة فرأى المسلمين قد انهزموا. فقال لهم: أف لكم، ولما تصنعون، اللهم إني أعتذر إليك من صنع هؤلاء. ثم نظر إلى المشركين فقال: أف لكم، ولما تعبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء، ثم قاتلهم حتى قتل- رحمة الله عليه"^(١).

٤- {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)} [الحجرات : ٤]

اختلف في سبب نزول الآية، على أقوال:

أحدها: روى عن زيد بن أرقم، قال: " جاء أناس من العرب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل؛ فإن يكن نبياً؛ فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً؛ نعش في جناحه، قال: فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بذلك، قال: ثم جاؤوا إلى حجر النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعلوا ينادونه: يا محمد! فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - : {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}، قال: فأخذ نبي الله بأذني فمدّها؛ فجعل يقول: "قد صدق الله قولك يا زيد! قد صدق الله قولك يا زيد!"^(٢). [ضعيف]

قلنا: وهذا معضل.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩١/٤.

(٢) أخرجه مسدد بن مسرهد وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى في "مسانيدهم"؛ كما في "المطالب العلية" (٣٩ /٩)، ٤٠ رقم (٤١٠٩، ٤١١٠)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨ /١٦٠، ١٦١ رقم ٧٨٢٣)، والطبري في التفسير (٢٨٤/٢٢)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٥ /٢١٠، ٢١١ رقم ٥١٢٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٥٨ - ٢٥٩)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤ /٢٢٣) عن المعتمر بن سليمان عن داود الطفاوي عن أبي مسلم الجلي عن زيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: أبو مسلم الجلي؛ مجهول لم يرو عنه إلا الطفاوي، ولم يوثقه إلا ابن حبان؛ ولذلك قال الذهبي في "ميزان الاعتدال": "لا يعرف"، وفي "التقريب": "مقبول".

الثانية: داود الطفاوي؛ لثبوت الحديث؛ كما في "التقريب".

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧ /١٠٨): "وفيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقيّة رجاله ثقات!!".

وقال البوصيري: "رواته ثقات!!".

وقال السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٩٥)، و"الدر المنثور" (٧ /٥٥٢): "بسند حسن!!".

الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى بني العنبر، وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا بذلك هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم يفدون الدراري، فقدّموا وقت الظهيرة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائل، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(١).

الثالث: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس: "أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد! اخرج إلينا، فلم يجبه؛ فقال: يا محمد! إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال: «ذاك الله»؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}"^(٢).

[صحيح]

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ١٤٥/٤، غريب: لم أقف عليه بهذا السياق. وهذا الخبر قد ورد في السير. فقد أخرجه الواقدي في «المغازي» ص ٩٧٣-٩٧٩ عن سعيد بن عمرو، والزهرى مطولا. والواقدي متروك. وانظر «دلائل النبوة» للبيهقي ٥/٣١٣-٣١٥ و «سيرة ابن هشام» ٤/٢٠٣ و «سيرة ابن كثير» ٤/٧٩-٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (٣/٤٨٨، ٦/٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٤)، والطبري في "التفسير" (٢٢/٢٨٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١/٨٧٨) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/٣٢١ رقم ١٥٠٠) -، وابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثنوي" (٢/٣٨٨ رقم ١١٧٨)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/٤٠٧ رقم ١٠٣٣)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (١/٦٨)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧/٥٥٢) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/٣٢٢ رقم ١٥٠١) -، وابن الأثير في "أسد الغابة" (١/١٣٠)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٤/٣٢٢، ٣٢٣ رقم ١٥٠٣) وغيرهم من طرق عن موسى بن عقبة عن أبي سلمة به.

قلنا: وسنده صحيح، وصرح أبو سلمة بسماعه من الأقرع عند الطبري.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/١٠٨): "واحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا؛ فهو مرسل".

وقال السيوطي في "الدر المنثور" (٧/٥٥٢) بعد أن زاد نسبه للبعوي في "المعجم": "بسند صحيح".

وكذا قال في "لباب النقول" (ص ١٩٦).

وله شاهد من حديث البراء بن عازب بنحوه: عند الترمذي (رقم ٣٢٦٧)، والنسائي في "تفسيره" (٢/٣١٩ رقم ٥٣٥)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/٧٧) من طريق الحسين بن واقد عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لأن أبا إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ثم هو مع ذلك مختلط، ولم يذكر أن الحسين بن واقد سمع منه قبل الاختلاط.

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

عن قتادة: " أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم , فناده من وراء الحجرة فقال: يا محمد , إن مدحي زين وإن شتمي شين , فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ويلك ذاك الله ويلك ذاك الله» , فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).
 عن حبيب بن أبي عمرة؛ قال: "كان بشر بن غالب وليبيد بن عطارذ أو بشر بن عطارذ وليبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان، يقول بشر بن غالب وليبيد بن عطارذ: نزلت في قومك بني تميم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)﴾؛ فذكرت ذلك لسعيد بن

وصححه شيخنا الألباني في "صحيح الترمذي" (رقم ٢٦٠٥).

وله شاهد آخر من مرسل قتادة في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)﴾: أن رجلاً جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فناده من وراء الحجرات؛ فقال: يا محمد! إن مدحي زين وإن شتمي شين، فخرج إليه النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: "ويلك ذاك الله، ويلك ذاك الله؛" فأنزل الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)﴾.

أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢ / ٢٣١)، والطبري في "جامع البيان" (٧٧ / ٢٦) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٣) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

وله شاهد ثالث من مرسل الحسن؛ قال: أتى أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من وراء حجرته، فقال: يا محمد! يا محمد! فخرج إليه النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "ما لك ما لك؟!"، فقال: تعلم أن مدحي لزين وأن ذمي لشين؛ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ذاكم الله؛" فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)﴾.

أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٧٧ / ٢٦، ٧٨): ثنا ابن حميد؛ قال: ثنا مهران عن المبارك بن فضالة عن الحسن به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علة:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن حميد؛ ضعيف الحديث واتهمه الإمام أحمد وغيره بالكذب.

الثالثة: المبارك بن فضالة؛ مدلس وقد عنعن.

الرابعة: مهران وابن أبي عمر العطارذ؛ صدوق له أوهام سيئ الحفظ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢٩٢٨) ص: ٢٢٠/٣.

جبير؛ فقال: أما إنه لو علم بأخر الآية؛ أجابه: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}، قالوا: أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد^(١). [ضعيف جداً]

وعن سعيد بن جبير: "أن تميمياً ورجلاً من بني أسد بن خزيمة استنبا؛ فقال الأسدي: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)} أعراب بني تميم، فقال سعيد: لو كان التميمي فقيهاً؛ إن أولها في بني تميم، وآخرها في بني أسد^(٢). [ضعيف]

عن سعيد بن جبير-أيضا-؛ قال: "قال رجل من بني أسد لرجل من بني تميم -وتلا هذه الآية-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}: بني تميم {لَا يَعْقِلُونَ}، فلما قام التميمي وذهب؛ قال سعيد بن جبير: أما إن التميمي لو يعلم ما أنزل في بني أسد؛ لتكلم، قلنا: ما أنزل فيهم؟ قال: جاؤوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنا قد أسلمنا طائعين وإن لنا خلقاً؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا} الآية^(٣). [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قدم وقد بني تميم -وهم سبعون رجلاً، أو ثمانون رجلاً؛ منهم: الزبيرقان بن بدر، وعطار بن معبد وقيس بن عاصم وقيس بن الحارث، وعمرو بن أتهم- المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فانطلق معهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري وكان يكون في كل سدة، حتى أتوا منزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف: يا محمدا! اخرج إلينا، يا محمدا! اخرج إلينا، فخرج إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا محمدا! إن مدحنا زين وإن شتمنا شين، نحن أكرم العرب؛

(١) أخرجه الطبري في "التفسير" (٢٨٥/٢٢): ثنا ابن حميد قال: ثنا مهران عن سفيان عن حبيب به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ.

الثالثة: ابن حميد؛ متروك الحديث، متهم بالكذب.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٥٣ /٧) وزاد نسبه لابن المنذر.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٥٣ /٧)، وقال: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج؛ قال: أخبرت عن سعيد بن جبير به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ لإرساله، وجهالة المخبر لابن جريج.

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٥٣ /٧) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "كذبتم؛ بل مدحة الله الزين، وشتمة الشين، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"، فقالوا: إنا أتيناك لنفاخرك (فذكره بطوله)، وقال في آخره: فقام التميميون فقالوا: والله؛ إن هذا الرجل لمصنوع له، لقد قام خطيبه فكان أخطب من خطيبنا، وقال شاعره فكان أشعر من شاعرنا، قال: ففيهم أنزل الله -تعالى-: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ} من بني تميم {أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، قال: هذا كان في القراءة الأولى، {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)}^(١). [موضوع]

وقال مقاتل: "نزلت في تسعة رهط ثمانية منهم من بني تميم، ورجل من قيس، فمنهم الأقرع بن حابس المجاشعي، وقيس بن عاصم المنقري، والزبرقان بن بدر الهذلي، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام النهشليين، والققعاق بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع من بني دارم، وعيينة ابن حصن الفزاري، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أصاب طائفة من ذراري بني العنبر، فقدموا المدينة في الظهرية لفاء ذراريهم فتذكروا ما كان من أمرهم، فبكت الذراري إليهم فنهضوا إلى المسجد والنبي- صلى الله عليه وسلم- في منزله، فاستعجلوا الباب لما أبطأ عليهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فنادى أكثرهم من وراء الحجرات: يا محمد. مرتين ألا تخرج إلينا فقد جئنا في الفداء، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ويلك مالك حداك المنادي، فقال: أما والله إن حمدي لك زين وإن ذمي لك شين. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ويلكم ذلكم الله- تعالى-"^(٢).

وقال محمد بن إسحاق: "نزلت في جفاة بني تميم، قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم: فدخلوا المسجد فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرته: أن اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين فأذى ذلك من صياحهم النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [الحجرات : ٤]، وكان فيهم: الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم^(٣).

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٤) ونسبه لابن إسحاق وابن مردويه.

ثم رأينا سنده في كتاب الزيلعي: "تخريج الكشاف" (٣ / ٣٣٠، ٣٣١)؛ فقد أخرجه ابن مردويه في "تفسيره" من طريق ابن إسحاق: ثني محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛ فالكلبي كذاب ونحوه شيخه أبو صالح.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢/٤.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٤٠٤. بدون إسناد.

وعن جابر بن عبد الله، قال: "جاءت بنو تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنادوا على الباب: يا محمد اخرج إلينا فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين. فسمعهم النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحه زين، وذمه شين، فقالوا: نحن ناس من بني تميم، جننا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالشعر بعثت، ولا بالفخار أمرت، ولكن هاتوا. فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم فاذاك فضلك وفضل قومك. فقام فقال: الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه، وآتانا أموالا نفعل فيها ما نشاء، فنحن من خير أهل الأرض، ومن أكثرهم عدة ومالا وسلاحا، فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا، وفعال هو أحسن من فعالنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس: قم فأجبه، فقام فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني عمه- أحسن الناس وجوها وأعظمهم أحلاما- فأجابوه، فالحمد لله الذي جعلنا أنصاره، ووزراء رسوله، وعزا لدينه، فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فمن قالها منع منا نفسه وماله، ومن أباهنا قتلناه، وكان رغبة في الله تعالى علينا هينا، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. فقال الزبرقان بن بدر لشاب من شبابهم: قم يا فلان فقل أبياتنا تذكر فيها فضلك وفضل قومك، فقام الشاب فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... فينا الرؤوس وفيها تقسم الربع

ونطعم الناس عند القحط كلهم ... من السديف إذا لم يؤنس القرع

إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت، فانطلق إليه الرسول فقال: وما يريد مني وقد كنت عنده؟ قال: جاءت بنو تميم بشاعرهم وخطيبهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس فأجابهم، وتكلم شاعرهم فأرسل إليك تجيبه. فجاء حسان، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبه، فقال حسان: [يا رسول الله مره فليسمعني ما قال، فأنشده ما قال، فقال حسان:

نصرنا رسول الله والدين عنوة ... على رغم باد من معد وحاضر

ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر

ونضرب هام الدار عين ومنتمي ... إلى حسب من جذم غسان قاهر

فلولا حياء الله قلنا تكرما ... على الناس بالخيفين هل من منافر

فأحيأونا من خير من وطئ الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر
قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: إني والله لقد جئت لأمر ما جاء له هؤلاء، وقد قلت شعرا
فاسمعه، فقال: هات، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا ... إذا فآخرونا عند ذكر المكارم
وإننا رؤوس الناس في كل معشر ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وإن لنا المرباع في كل غارة ... تكون بنجد أو بأرض التهائم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا حسان فأجبه [فقام حسان] فقال:
بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم ... لنا خول من بين ظئر وخادم
وأفضل ما نلتم من المجد والعلی ... رداقتنا من بعد ذكر الأكارم
فإن كنتم جنتم لحقن دمانكم ... وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ... ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا ورب البيت مالت أكفنا ... على هامكم بالمرهفات الصوارم

قال: فقال الأقرع بن حابس فقال: إن محمدا لمؤتى له والله ما أدري ما هذا الأمر! تكلم خطيبنا فكان
خطيبهم أحسن قولا، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر. ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يضرك ما كان
قبل هذا»، ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ﴾ [الحجرات : ٢]، إلى قوله: ﴿وَأَجْزٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات : ٣] ^(١). [ضعيف]

عن الزهري وسعيد بن عمرو؛ قالوا: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشر بن
سفيان -ويقال: النحام العدوي- على صدقات بني كعب من خزاعة، فجاء وقد حل بنواحيهم بنو
عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلاً، فدخلوا المسجد

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول: ٤٠٤-٤٠٦، والثعلبي في "تفسيره" (٧٣ / ٩ - ٧٥)، إسناده ضعيف، معلى
بن عبد الرحمن، فهو رافضي متهم بالوضع. قال ابن حبان: "يروي عن عبد الحميد بن جعفر المقلوبات، لا يجوز
الاحتجاج به إذا انفرد [مجروحين ١٧ / ٣]."

وفي ترجمته في تهذيب التهذيب [٢١٤ / ١٠] : قال أبو داود: "سمعت يحيى بن معين وسئل عنه، فقال: أحسن أحواله
عندي أنه قيل له عند موته ألا تستغفر الله تعالى؟ فقال: أرجو أن يغفر لي وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثاً".

وقد أدن بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ففعلوا واستبظوه فنادوه: يا محمد! اخرج إلينا، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقام بلال، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر ثم أتوه، فقال الأقرع: يا محمد! ائذن لي؛ فوالله إن مدحي لزين وإن ذمي لشين، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كذبت؛ ذلك الله -تبارك وتعالى-"، ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس، وخطب خطيبهم وهو عطار بن حاجب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لثابت بن قيس بن شماس: "أجبه"؛ فأجابه، ثم قالوا: يا محمد! ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبيرقان بن بدر فأنشد، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحسان بن ثابت: "أجبه"؛ فأجابه بمثل شعره، فقالوا: والله؛ لخطيبه أبلغ من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولهم أحلم منا، ونزل فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)}، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قيس بن عاصم: "هذا سيد أهل الوبر"، وردّ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد"^(١). [موضوع]

٥- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَبَيِّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلْنَا مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)} [الحجرات : ٦ - ٨]

سبب نزول الآيات: [٦-٨]:

قال ابن كثير: "قد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق. وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق، وهو الحارث بن ضرار، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين"^(٢).

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١/ ٢٩٣، ٢٩٤): نا محمد بن عمر الواقدي نا محمد بن عبد الله عن

الزهري، وثنا عبد الله بن يزيد عن سعيد بن عمرو به.

قلنا: والواقدي؛ متروك متهم بالكذب.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٩٠/٧.

عن الحارث بن ضرار الخزاعي -رضي الله عنه-؛ قال: قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت في الإسلام وأقررت، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله! أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي؛ جمعت زكاته، فيرسل إليّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - رسولاً لإبّان كذا وكذا لأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث بن ضرار، وبلغ الأبّان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ احتبس عليه الرسول، فلم يأتَهُ؛ فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا بسروات^(١) قومه، فقال لهم: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان وقت لي وقتاً؛ ليرسل إليّ ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلف، ولا أرى حبس رسول الله إلا من سخطه، فانطلقوا فنأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق؛ فرّق - أي : خاف - فرجع، فقال: يا رسول الله! إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي؛ فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البعث إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقبهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشبهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع إليه، فزعم أنك منعت الزكاة وأردت قتله، قال: والذي بعث محمداً بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما أن دخل الحارث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ قال: "منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟"، قال: لا، والذي بعثك ما رأيته رسولك ولا أتاني، ولا أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسولك؛ خشية أن يكون سخط من الله ورسوله، قال: فنزلت في الحجرات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَاسْقُوا نَبِيًّا فَيَبْئُتُونَا أَنْ نُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٦) إلى قوله -تعالى-: ﴿فَضَلْنَا مِنَ اللَّهِ نِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٨) "ضعيف]

(١) أي: رؤساء.

(٢) أخرجه أحمد في "المسند" (١٨٤٥٩): ص ٤٠٣/٣٠-٤٠٥، والبخاري في "التاريخ الأوسط" (١/ ١٩٣ رقم ٣١٨)، وأبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (٢/ ٦٨ - ٦٩ / ٤٥٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٣/ ٢٧٤ رقم ٣٣٩٥)، وابن أبي عاصم في "الأحاد والمثاني" (٤/ ٣٢٢ رقم ٢٣٥٣)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (١/ ١٧٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٢، ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤/ ٢٢٤)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (١/ ٣٩٩، ٤٠٠)، ومطين وابن السكن وابن مردويه؛ كما في "الإصابة" (١/ ٢٨١)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٢/ ٧٨٣، ٧٨٤ رقم ٢٠٨١)، وابن منده وابن عبد البر في

عن أم سلمة -رضي الله عنها-؛ قالت: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم؛ فتلقوه يعظمون أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، قالت: فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم، فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون، قال: فبلغ القوم رجوعه، قال: فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فصفوا له حين صلى الظهر، فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلاً مصدقاً فسررنا بذلك وقررت به أعيننا، ثم إنه رجع من بعض الطريق؛ فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال وأذن بصلاة العصر، قال: ونزلت: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِي قَنْبِيئًا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)}^(١). [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قوله: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِي قَنْبِيئًا} الآية؛ قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم أحد بني عمرو بن أمية ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق؛ ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم

"الصحابه"؛ كما في "أسد الغابة" (١/ ٤٠٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦/ ١٦٦ - ١٦٧) جميعهم من طريق عيسى بن دينار المؤذن ثني أبي أنه سمع الحارث به.

والحديث حسن بشواهد دون قصة إسلام الحارث بن ضرار، وهذا إسناد ضعيف لجهالة دينار والد عيسى، وهو الكوفي مولى عمرو بن الحارث، فقد تفرد بالرواية عنه ابنه عيسى، وقال ابن المديني: لا أعرفه، ومع ذلك ذكره ابن حبان في "الثقات" ٢١٨/٤. عيسى بن دينار ثقة، ومحمد بن سابق صدوق.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٠٩): "رواه أحمد والطبراني؛ ورجال أحمد ثقات!!".

وقال السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٩٦)، و"الدر المنثور" (٧/ ٥٥٥): "بسند جيد"، وفي "اللباب" (ص ١٩٧) -أيضاً-: "رجال إسناده ثقات!!".

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده"؛ كما في "تخريج الكشاف" (٣/ ٣٣٢)، و"المطالب العالية" (٩/ ٤٠) رقم (٤١١١)، والطبري في "جامع البيان" (٢٦/ ٧٨)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٣/ ٣٢٦) رقم (٩٦٠) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ مداره على موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وبه أعلى الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١١١)، وثابت لم يوثقه إلا ابن حبان (٤/ ٩٥) وقال: "روى عنه أهل المدينة"؛ فمثله يكون في عداد المجهول -والله أعلم-.

وقال الحافظ في "الكاف الشاف" (ص ١٥٦ رقم ١٨٠): "وفيه موسى بن عبيدة؛ وهو ضعيف".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٦) وزاد نسبه لابن مردويه.

الخبر؛ فرحوا، وخرجوا ليتلقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه؛ رجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة؛ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم؛ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله! إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون رده كتاب جاءه منك؛ لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ الله من غضبه وغضب رسوله؛ فأنزل الله عذرهم في الكتاب، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾^(١). [ضعيف جداً]

عن علقمة بن ناجية؛ قال: بعث إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا، فسار حتى إذا كان قريباً منا -وذلك بعد وقعة المريسي-؛ رجع؛ فركبنا في أثره، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! أتيت قوماً في جاهليتهم أخذوا اللباس ومنعوا الصدقة، فلم يغير ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧)﴾ فَضَلْنَا مِنَ اللَّهِ وَبِعَمَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)﴾، وأتى المصطلقون النبي - صلى الله عليه وسلم - إثر الوليد بطائفة من صدقاتهم يسوقونها، ونفقات يحملونها، فذكروا ذلك له، وأنهم يطلبون الوليد بصدقاتهم فلم يجده، فدفعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان معهم، وقالوا: يا رسول الله! بلغنا مخرج رسولك فسررنا، وقلنا: نتلقاه، فبلغنا رجعتة؛ فحفظنا أن يكون ذلك من سخطه علينا، وعرضوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يشتروا منه ما بقي، فقبل منهم الفرائض، وقال: "ارجعوا بنفقاتكم لا نبيع شيئاً من الصدقات حتى نقبضه"، فرجعوا إلى أهلهم، وبعث إليهم من يقبض بقية صدقاتهم"^(٢). [حسن]

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢ / ٢٨٧)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩ / ٥٤، ٥٥)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٦)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦ / ١٦٧) كما في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٦).

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء.

(٢) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٨ / ٦ - ٧ رقم ٤)، وابن أبي عاصم في "الأحاد والمثاني" (٤ / ٣٠٩، ٣١٠ رقم ٢٣٣٥) -ومن طريقه أبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٤ / ٢١٧٥ رقم ٥٤٥٣)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٣ / ٥٨٥) -، وابن منده في "معرفة الصحابة"؛ كما في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٦) -ومن طريقه

عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-؛ قال: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوليد بن عقبة إلى بني وليعة، وكانت بينهم شحنة في الجاهلية، فلما بلغ بني وليعة استقبلوه؛ لينظروا ما في نفسه، فخشى القوم، فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: إن بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوني الصدقة، فلما بلغ بني وليعة الذي قال الوليد عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا رسول الله! لقد كذب الوليد، ولكن كانت بيننا وبينه شحنة؛ فخشينا أن يعاقبنا بالذي كان بيننا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً عندي كنفي، يقتل مقاتلتهم ويسبي ذراريهم وهو هذا"، ثم ضرب بيده على كتف علي بن أبي طالب، قال: وأنزل الله في الوليد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَأَعْلَمُوا أَن فِيمَكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلْنَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨)}^(١). [ضعيف]

ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١٦٨ / ٦٦) -، والهيثم بن كليب في "مسنده" -ومن طريقه ابن عساكر (١٦٨ / ٦٦) - عن يعقوب بن حميد بن كاسب بن عيسى بن الحضرمي بن كلثوم بن علقمة بن ناجية عن جده عن أبيه به.

قلنا: وهذا سند حسن.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١١٠ / ٧): "رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور!! وبقية رجاله ثقات".

قلنا: المتقرر في حال يعقوب أنه صدوق ما لم يخالف.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٥٦ / ٧) وزاد نسبه لابن مردويه.

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" (١٣٣ / ٤، ١٣٤ رقم ٣٧٩٧)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الفتح السماوي" (١٠٠٢ / ٣) من طريق عبد الله بن عبد القدوس ثنا الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الأعمش؛ مدلس وقد عنعنه.

الثانية: عبد الله بن عبد القدوس؛ ضعيف.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١١٠ / ٧): "وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي وقد وضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات". اهـ.

عن قتادة في قوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه نبي الله - صلى الله عليه وسلم - مصدقاً إلى بني المصطلق، فلما أبصروه؛ أقبلوا نحوه، فهابهم؛ فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلما جاؤوا؛ أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا؛ أتاهم خالد فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره الخبر؛ فأنزل الله - عزّ وجلّ- ما تسمعون، فكان نبي الله يقول: "التبين من الله والعجلة من الشيطان" (١). [ضعيف]

عن الحسن: "أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا نبي الله! إن بني فلان - حياً من أحياء العرب، وكان في نفسه عليهم شيء، وكانوا حديثي عهد بالإسلام- قد تركوا الصلاة وارتدوا وكفروا بالله، قال: فلم يعجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودعا خالد بن الوليد، فبعثه إليهم، ثم قال: "ارمقهم عند الصلاة، فإن كان القوم قد تركوا الصلاة؛ فشأنك بهم، وإلا؛ فلا تعجل عليهم"، قال: فدنا منهم عند غروب الشمس، فكمّن حيث سمع الصلاة، فرمقهم؛ فإذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس، فأذن ثم أقام الصلاة، فصلوا المغرب؛ فقال خالد بن الوليد: ما أراهم إلا يصلون، فلعلمهم تركوا غير هذه الصلاة، ثم كمن حتى إذا جن الليل وغاب الشفق أذن مؤذّنهم فصلوا، قالوا: فلعلمهم تركوا صلاة أخرى، فكمّن، حتى إذا كان في جوف الليل فتقدم حتى أظلم الخيل بدورهم؛ فإذا القوم تعلموا شيئاً من القرآن فهم يتهجّدون به من الليل ويقرأونه، ثم أتاهم عند الصبح؛ فإذا المؤذن حين طلع الفجر قد أذن ثم أقام فقاموا فصلوا، فلما انصرفوا وأضاء لهم النهار؛ إذا هم بنواصي الخيل في ديارهم، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: هذا خالد بن الوليد، وكان رجلاً مشنعاً، فقالوا: يا خالد! ما شأنك؟ قال: أنتم والله شائي، أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقيل له: إنكم كفرتم بالله وتركتم الصلاة؛ فجعلوا يبكون، فقالوا: نعوذ بالله أن نكفر بالله أبداً، قال: فصرف الخيل وردها عنهم حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن

(١) أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢ / ٢٣١)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢ / ٢٨٨)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٦ / ١٦٩) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به. قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٥٨) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا؛ قال الحسن: فوالله؛ لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها المرسله إلى يوم القيامة ما نسخها شيء^(١). [ضعيف]

عن عكرمة: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق يصدقهم، فلم يبلغهم ورجع، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إنهم عصوا، فأراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجهز إليهم؛ إذ جاء رجل من بني المصطلق، فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: سمعنا أنك أرسلت إلينا؛ ففرحنا به واستبشرنا به، وإنه لم يبلغنا رسولك، وكذب؛ فأنزل الله فيه -وسماه فاسقاً-: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا} "^(٢). [ضعيف]

قلت: وإن دلت الآية الكريمة وأكدت على وجوب التثبت من خبر الفاسق، إلا أنه لا يلزم من ذلك وصف الصحابي الوليد بن عقبة -رضي الله عنه- بالفسق، لأن الوليد لم يتعمد الكذب، إذ لما رأى الحارث وقومه من بني المصطلق ظن أنهم اجتمعوا لحربه وقتله، فرجع وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما ظنه.

قال الفخر الرازي: "ما ذكره المفسرون من أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة حين بعثه إلى بني المصطلق، إن كان مرادهم أن الآية نزلت عامة لبيان وجوب التثبت من خبر الفاسق، وأنها نزلت في ذلك الحين الذي وقعت فيه حادثة الوليد فهذا جيد، وإن كان غرضهم أنها نزلت لهذه الحادثة بالذات فهو ضعيف، لأن الوليد لم يقصد الإساءة إليهم، وحديث أحمد يدل على أن الوليد خاف وفرق (فزع) حين رأى جماعة الحارث، فظن أنها خرجت لحربه، فرجع وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبره ظناً منه أنهم خرجوا لقتاله، ويتأكد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ "الفسق" على الوليد شيء بعيد، لأنه توهم وظن فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقاً"^(٣).

وقال الزرقاني: "ولا يُشكّل تسميته فاسقاً بإخباره عنهم بذلك على ظنه للعداوة ورؤية السيف، وذلك لا يقتضي الفسق، لأن المراد الفسق اللغوي، وهو الخروج عن الطاعة، وسماه فاسقاً

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٧ - ٥٥٨) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٥٨) ونسبه لعبد بن حميد.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.

(٣) مفاتيح الغيب: ٩٨/٢٨. [بتصرف]

لإخباره بخلاف الواقع على المبعوث إليهم، لا الشرعي الذي هو من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة، لعدالة الصحابة^(١).

٦- {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}

[الحجرات : ٩ - ١٠]

في سبب نزول الآيتين: [٩-١٠]، أقوال:

أحدها: أن سبب نزولها ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبد الله بن أبي بن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في موضعه، وتعصب بعضهم لعبد الله، ورد عبد الله بن رواحة على ابن أبي، فتجالد الحيان، قيل: بالحديد، وقيل: بالجريد والنعال والأيدي، فنزلت، فقرأها عليهم، فاصطلحوا.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه-؛ قال: "قيل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لو أتيت عبد الله بن أبي؛ فانطلق إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطيّب ريحاً منك؛ فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالحديد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}

[الحجرات : ٩-١٠]^(٢). [صحيح]

وقال مقاتل: "وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقف على حمار له يقال له «يعفور» فبال الحمار، فقال عبد الله بن أبي للنبي - صلى الله عليه وسلم -: خل للناس مسيل الريح من نتن هذا

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: ٣٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩١)، وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (١١٧ / ١٧٩٩) ص ٣ / ١٤٢٤،

وأخرجه الطبري: (٢٩٣/٢٢)، والبيهقي في السنن (١٧٢ / ٨).

وزاد نسبه في الدر (٩٠ / ٦) لابن مردويه.

الحمار. ثم قال: أف وأمسك بأنفه، فشق على النبي- صلى الله عليه وسلم- قوله، فانصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: عبد الله بن أبي رواحة، ألا أراك أمسكت على أنفك من بول حماره، والله، لهو أطيب ريح عرض منك. فلجا في القول فاجتمع قوم عبد الله بن رواحة، الأوس، وقوم عبد الله بن أبي الخرزج، فكان بينهم ضرب بالنعال والأيدي والسعف فرجع النبي- صلى الله عليه وسلم- إليهم فأصلح بينهم، فأنزل الله- تعالى- {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}، يعني: الأوس والخرزج" (١).

وعن سعيد بن جبيرة؛ قال: "إن الأوس والخرزج كان بينهما قتال بالسيف والنعال؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)}" (٢).

[ضعيف]

الثاني: -وهو قول السدي-: "كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد، تحت رجل، فكان بينها وبين زوجها شيء، فرقاها إلى عليّة، فقال لهم: احفظوا، فبلغ ذلك قومها، فجاءوا وجاء قومها، فاقتتلوا بالأيدي والنعال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء ليصلح بينهم، فنزل القرآن {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى}، قال: {تبغي}: لا ترضى بصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٣). [ضعيف

جدا]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٤-٩٣/٤.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٤): ثنا ابن حميد ثنا مهرا ن ثنا سفيان عن السدي به.

وهذا سنده ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: مهرا ن؛ سيئ الحفظ.

الثالثة: ابن حميد؛ متروك.

والحديث أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٦١٠): ص ٣٣٠٤/١٠، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠)، و"اللباب

النقول" (ص ١٩٧).

الثالث: -وهو قول قتادة:- " أنها نزلت في رجلين من الأنصار، كانت بينهما ممرارة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة؛ لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعا وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف"^(١). [ضعيف]

وروي عن أبي مالك في قوله: " {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) } إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) }؛ قال: رجلان اقتتلا؛ فغضب لذا قومه ولذا قومه، فاجتمعوا حتى أضربوا بالنعال؛ حتى كاد يكون بينهم قتال؛ فأنزل الله هذه الآية"^(٢). [ضعيف]

عن الحسن: " أن قوماً من المسلمين كان بينهم تنازع؛ حتى اضطربوا بالنعال والأيدي؛ فأنزل الله -تعالى- فيهم: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}"^(٣). [ضعيف]

عن الحسن: " {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا}؛ قال: كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعوهم إلى الحكم؛ فيأبون أن يجيبوا؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) } إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) } يقول: ادفعوهم إلى الحكم، فكان قتالهم الدفع"^(٤). [ضعيف جداً]

(١) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٥): ثنا بشر بن معاذ العقدي ثنا يزيد بن زيع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٦٠) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٣) من طريقين عن حصين عن أبي مالك. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٥): ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن به. قلنا: وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٩٤): ثنا ابن حميد ثنا مهران ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن به.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:

٧- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)} [الحجرات : ١١]

أولاً:- سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ} [الحجرات : ١١]، الآية.

قال الواحدي: "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه كان في أذنيه وقر، فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول، فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا، فقال له رجل: قد أصبت مجلساً فاجلس، فجلس ثابت مغضباً، فغمز الرجل فقال: من هذا؟ فقال: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة؟ وذكر أما كانت له يعير بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياءً، فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(١).

وعن مقاتل، قال: "نزلت في قوم من بني تميم استهزأوا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة"^(٢). [ضعيف]

ثانياً:- سبب نزول قوله تعالى: {وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ} [الحجرات : ١١].

قال الواحدي: "نزلت في امرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة وذلك أنها ربطت حقوبها- بسبئية- وهي ثوب أبيض- وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة: انظري إلى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب! فهذا كان سخريتها"^(٣).

وقال أنس: "نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، عيرن أم سلمة بالقصر"^(٤).

الأولى: ابن حميد؛ متروك الحديث.

الثانية: مهران؛ سيئ الحفظ له أو هام.

الثالثة: المبارك؛ مدلس وقد عنعن.

الرابعة: الإرسال.

(١) أسباب النزول(٧٦٢):ص٤٠٩. بدون إسناد.

(٢) ذكره السيوطي في " الدر المنثور " (٧ / ٥٦٣) ونسبه لابن أبي حاتم.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٣) أسباب النزول(٧٦٢):ص٤٠٩. بدون إسناد.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول(٧٦٣ م):ص٤٠٩. بدون إسناد.

قال مقاتل: "نزلت في عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - استهزأت من قصر أم سلمة بنت أبي أمية"^(١).

وقال عكرمة عن ابن عباس: "إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله، فقالت: يا رسول الله إن النساء يعيرنني ويقلن: يا يهودية بنت يهوديين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلا قلت: إن أبي هارون، وإن عمي موسى، وإن زوجي محمد. فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٢).
ثالثاً:- سبب نزول قوله تعالى: {وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ} [الحجرات : ١١].

عن أبي جبيرة بن الضحاك، قال: "فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة: {وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ} بِسَمِّ الْإِسْمِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ} قال: قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا فلان» فيقولون: مه يا رسول الله، إنه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: {وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ} [الحجرات: ١١]"^(٣). [صحيح]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٥/٤.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (٧٦٤): ص ٤٠٩-٤١٠. بدون إسناد.

(٣) أخرجه أبو داود (رقم ٤٩٦٢)، والترمذي (رقم ٣٢٦٨)، والنسائي في "تفسيره" (٢/ ٣٢٠ رقم ٥٣٦)، وابن ماجه (رقم ٣٧٤١)، وأحمد في "المسند" (٤/ ٦٩، ٢٦٠)، والبخاري في "الأدب المفرد" (رقم ٣٣٠)، وأبو يعلى في "المسند" (١٢/ ٢٥٢، ٢٥٣ رقم ٦٨٥٣)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٣٠٠)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٦١ - "موارد")، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٢/ رقم ٩٦٨، ٩٦٩)، و"الأوسط" (٢/ ١٢٣ رقم ١٤٥٦)، وأبو القاسم البغوي في "معجم الصحابة" (٣/ ٣٩١ / ١٣٢٧ و ١٦ / ٥)، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (رقم ٣٩٨)، وابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثاني" (٤/ ١٤٩، ١٥٠ رقم ٢١٣٢)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/ ٣٣)، وابن الأثير في "أسد الغابة" (٥/ ٤٧)، والحاكم في "المستدرک" (٢/ ٤٦٣، ٤٨١، ٢٨٢)، والبيهقي في "الأدب" (٢٩٦ / ٦١٩)، و"شعب الإيمان" (٥/ ٣٠٧، ٣٠٨ رقم ٦٧٤٥، ٦٧٤٦، ٦٧٤٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٦٤)، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٥/ ٢٨٥٢ رقم ٦٧٢٠)، وابن منده في "معرفة الصحابة"؛ كما في "أسد الغابة" (٥/ ٤٧)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨/ ٨١، ٨٢ / ٨٢ و ٨١) والمزي في "تهذيب الكمال" (٣٣/ ١٨٢، ١٨٣) من طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي جبيرة بن الضحاك.

قلنا: وهذا سند صحيح رجاله ثقات.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم في "الموضع الأول": "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال في "الموضع الثاني": "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في قوله -تعالى-: "وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَقَابِ"; قال: كان هذا الحي من الأنصار قُلَّ رجل منهم إلا وله اسمان أو ثلاثة، فربما دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الرجل منهم ببعض تلك الأسماء، فيقال: يا رسول الله! إنه يكره هذا الاسم؛ فأنزل الله - تعالى-: "وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَقَابِ"^(١). [صحيح]

وقال مقاتل: "وذلك أن كعب بن مالك الأنصاري كان يكون على المقسم فكان بينه وبين عبد الله بن الحرد الأسلمي بعض الكلام، فقال له: يا أعرابي، فقال له عبد الله: يا يهودي. ثم انطلق عبد الله فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلك قلت له: يا يهودي؟ قال: نعم قد قلت له ذلك إذا لقبني أعرابيا وأنا مهاجر، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا تدخل علي حتى ينزل الله توبتكما فأوثقا أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر، فأنزل الله - تعالى- فيهما: "وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَقَابِ" [الحجرات : ١١] "^(٢).

وذكر الواحدي عن مقاتل، قال: "لما كان يوم فتح مكة، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى أذن على ظهر الكعبة، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيس: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا! وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: إنني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء. فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا:

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦ / ٣١٧): "رواه الطبراني في "الكبير"، و"الأوسط"، ورجالهما رجال الصحيح".

وصححه الألباني -رحمه الله- في "صحيح الأدب المفرد".

وأخرجه أحمد (٥ / ٣٨٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٣ / رقم ٣٩٠١) من حديث أبي جبير عن عمومة له به.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٦٣) وزاد نسبه لعبد بن حميد وابن المنذر والشيرازي في "الألقاب" وابن مردويه.

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٦٤) ونسبه لابن مردويه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٥/٤.

فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء^(١).

٨- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢)}

[الحجرات : ١٢]

عن مقاتل في قوله -تعالى-: {وَلَا يَغْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا}؛ قال: "نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع، فقالوا له: إنه لبخيل وخيم، فنزلت في ذلك"^(٢). [ضعيف]

عن السدي: "أن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما وأن سلمان نام يوما فطلبه صاحبه فلم يجدها فضربا الخباء، وقال: ما يريد سلمان شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتاه، فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك، قال: ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتموا، فرجع سلمان فخبرهما فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا، قال: إنكما قد ائتمتما سلمان بقولكما، فنزلت: {يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا} [الحجرات : ١٢]"^(٣). [ضعيف]

عن ابن جريج في قوله -تعالى-: {وَلَا يَغْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا}؛ قال: "زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي، أكل ثم رقد؛ فنفخ فذكر رجلا نأكله ورقاده؛ فنزلت"^(٤). [ضعيف]

٩- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاتُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)}

[الحجرات : ١٣]

في سبب نزول الآية، أقوال:

(١) أسباب النزول: ٤١١. مرسل.

(٢) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠) ونسبه لابن أبي حاتم. وهذا ضعيف؛ لإعضاله.

وفي تفسير مقاتل: ٩٦/٤، قال: "نزلت في «فتير» ويقال: «فهير»، خادم النبي -صلى الله عليه وسلم- وذلك أنه قيل له: إنك وخيم ثقيل بخيل".

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهذا -أيضا- ضعيف؛ لإعضاله.

(٤) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٥٧٠) ونسبه لابن المنذر.

قلنا: وهذا -أيضا- ضعيف؛ لإعضاله.

أحدها: أنها نزلت في بلال المؤذن-رضي الله عنه-.

عن ابن أبي مليكة؛ قال: "لما كان يوم الفتح؛ رقى بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، وقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره؛ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)"^(١). [ضعيف]

وقال مقاتل: "نزلت في بلال المؤذن وقالوا في سلمان الفارسي وفي أربعة نفر من قريش، في عتاب بن أسيد ابن أبي العيص، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وأبي سفيان بن حرب، كلهم من قريش وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما فتح مكة أمر بلالا فصعد ظهر الكعبة وأذن، وأراد أن يذل المشركين بذلك، فلما صعد بلال وأذن. قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذي قبض أسيد قبل هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: عجبت لهذا العبد الحبشي أما وجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا هذا الغراب الأسود وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول، فإني لو قلت شيئا لتشهدن عليّ السماء ولتخبرن عني الأرض- فنزل جبريل على النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بقولهم فدعاهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: كيف قلت يا عتاب؟ قال قلت: الحمد لله الذي قبض أسيد قبل هذا اليوم. قال: صدقت. ثم قال للحارث بن هشام: كيف قلت؟ قال: عجبت لهذا العبد الحبشي أما وجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا هذا الغراب الأسود. قال: صدقت. ثم قال لسهيل بن عمرو: كيف قلت؟ قال: قلت إن يكره الله شيئا يغيره. قال:

صدقت. ثم قال لأبي سفيان: كيف قلت؟ قال: قلت أما أنا فلا أقول شيئا فإني لو قلت شيئا لتشهدن عليّ السماء ولتخبرن عني الأرض. قال: صدقت، فأنزل الله- تعالى- فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، يعنى: بلالا وهؤلاء الأربعة"^(٢).

الثاني: أنها نزلت في أبي هند الحجاج.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول(٧٦٦):ص٤١١، وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٧٩ /٥) بسند صحيح إلى عبد الرزاق؛ قال: أنبأ معمر عن أيوب عن عكرمة به، ليس فيه ذكر لسبب النزول. قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٧٨ /٧) وزاد نسبه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٧/٤.

عن الزهري؛ قال: "أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله! أتزوج بناتنا موالينا؟ فأنزل الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣)؛ قال الزهري: نزلت في أبي هند خاصة، قال: وكان أبو هند حجام النبي - صلى الله عليه وسلم - " (١). [ضعيف]

الثالث: -وهو قول يزيد بن شجرة:- " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يمرّ ببعض أسواق المدينة، فإذا غلام أسود قائم، ينادى عليه لبياع، فمن يريد. وكان الغلام قال: من اشتراني فعلي شرط، قيل: ما هو، قال: ألا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتراه رجل على هذا الشرط، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة مكتوبة، ففقدته ذات يوم، فقال لصاحبه: أين الغلام؟. فقال: محموم يا رسول الله، فقال لأصحابه: «قوموا بنا نعوده». فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيام قال لصاحبه: «ما حال الغلام؟» قال: يا رسول الله، إنّ الغلام لما به، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه وهو في ذهابه، فقبض على تلك الحال، فتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غسله، وتكفينه، ودفنه، فدخل على المهاجرين، والأنصار من ذلك أمر عظيم، فقال المهاجرون: هاجرنا ديارنا، وأموالنا، وأهالينا، فلم ير أحد منّا في حياته ومرضه وموته ما لقي منه هذا الغلام، وقال الأنصار: آويناه، ونصرناه، وواسيناه فأثر علينا عبدا حبشياً، فعذر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم، فيما تعاطاه من أمر الغلام، وأراههم فضل التقوى، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ [الحجرات : ١٣] (٢). [ضعيف]

(١) أخرجه أبو داود في "المراسيل" (رقم ١٩٥، ٢٣٠) عن عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد كلاهما عن بقية ثنا الزبيدي ثنا الزهري به.

قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد، وصرح بقية بالتحديث كما ترى.

وقال أبو داود عقبه: "روي بعضه مسنداً وهو ضعيف".

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٥٧٨ / ٧) نسبته لابن المنذر وابن جريج والبيهقي في "سننه" وابن مردويه.

قلنا: هو عند البيهقي في "السنن الكبرى" (١٣٧ / ٧) معلقاً عن أبي داود.

وأخرجه ابن مردويه موصولاً -كما في "الدر المنثور" - عن الزهري عن عروة عن عائشة به.

قلنا: وقد تقدم قول أبي داود: "روي بعضه مسنداً وهو ضعيف".

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٧/٩ - والواحدي في أسباب النزول (٧٦٦): ص ٤١١-٤١٢. بدون إسناد.

الرابع: وقال ابن عباس: "نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الذاكر فلانة؟» . فقام ثابت، فقال: أنا يا رسول الله. فقال: «انظر في وجوه القوم» . فنظر إليهم، فقال: «ما رأيت يا ثابت؟». قال: رأيت أبيض وأسود وأحمر. قال: «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى»، فأنزل الله سبحانه في ثابت هذه الآية وبالنبي لم يفسح له: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ، فَافْسَحُوا} [المجادلة: ١١]"^(١).
قال الواحدي: "نزلت هذه الآية في الزجر عن التفاخر بالإنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء"^(٢).

١٠- {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [الحجرات: ١٤]
في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال عبد الله بن أبي أوفى: "قال أناس من العرب: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك، وقاتلك بنو فلان، فأنزل الله: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ} [الحجرات: ١٧]"^(٣).
قال قتادة: "ولعمري ما عمت هذه الآية الأعراب؛ إن من الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ولكن إنما أنزلت في حي من أحياء العرب امتنوا بإسلامهم على نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان؛ فقال الله -تعالى-: لا تقولوا: آمنا {وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا} حتى بلغ: {فِي قُلُوبِكُمْ}"^(٤). [ضعيف]

(١) ذكره الثعلبي: ٨٦/٩ عن ابن عباس، وأورده الماوردي في "تفسيره" ٣٣٣/٥ مختصراً ونسبه للكليبي والفراء، ونسبه البغوي ٣٤٢/٧، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٤٦٥/٧ لابن عباس، وذكره الواحدي في "أسباب النزول" بدون سند ص ٤١٥.

(٢) التفسير البسيط: ٣٦٣/٢٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٠١٦): ٧٨/٨، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط. وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد: ١١٢/٧. وحسنه السيوطي (لباب النقول: ١٩٩)

(٤) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٣١٥/٢٢) من طريق معمر وسعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٥٨٣/٧) نسبه لعبد بن حميد.

الثاني : قال مجاهد: "نزلت هذه الآية في أعراب أسد بن خزيمة"^(١). [ضعيف]
ووصف حالهم الواحدي، فقال: "نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية"^(٢).

وقال الثعلبي: "نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة، ثم من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة، وأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدوان، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون، ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: أتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأفعال، والعيال والذراري، يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، وبنو فلان، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطنا، فأنزل الله سبحانه فيهم هذه الآية"^(٣).

الثالث : أنها نزلت في أعراب مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار. قاله السدي^(٤)، ومقاتل^(٥).
قال السدي: "نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب مزينة، وجهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا يقولون: آمنا بالله، ليأمنوا على أنفسهم، وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله سبحانه: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا أي انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي"^(٦).

(١) تفسير مجاهد: ٦١٢. من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

(٢) أسباب النزول (٧٦٧): ص ٤١٢.

(٣) الكشف والبيان: ٨٩/٩.

(٤) عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٩/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٤/٤، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٨/٤.

(٦) عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨٩/٩، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٥٤/٤، ولم أقف عليه، وهو مرسل.

وقال مقاتل: "نزلت في أعراب جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا النبي- صلى الله عليه وسلم- قالوا آمنا ليامنوا على دمائهم وأموالهم، وكان يومئذ من قال: «لا إله إلا الله» يأمن على نفسه وماله فمر بهم خالد بن الوليد في سرية للنبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا آمنا فلم يعرض لهم، ولا لأموالهم، فلما سار النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى الحديبية واستنفرهم معه. فقال بعضهم لبعض: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة، وإنهم كلفوا شيئا لا يرجعون عنه أبدا فأين تذهبون تقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى ننظر ما يكون من أمره، فذلك قوله في الفتح: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا} [الفتح : ١٢]، إلى آخر الآية، فنزلت فيهم: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} ^(١). [ضعيف]

١١- {قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحجرات : ١٦]

قال الثعلبي: " فلما نزلت هاتان الآيتان [الحجرات: ١٤-١٥] ^(٢)، أتت الأعراب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فحلفوا بالله إنهم مؤمنون في السر، والعلانية، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله سبحانه: {قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} الذي أنتم عليه" ^(٣).

١٢- {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الحجرات : ١٧]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قدم وقد بني أسد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتكلموا؛ فقالوا: قاتلتك مضر ولسنا بأقلهم عدداً ولا أكلهم شوكة، وصلنا رحمك، فقال لأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-: "تكلّموا هكذا"، قالوا: لا، قال: "إن فقه هؤلاء قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم"، قال عطاء في حديثه؛ فأنزل الله -جلّ وعزّ -: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ^(٤). [حسن]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٨/٤. ومقاتل ساقط الرواية كذبه غير واحد، فخره واه.

(٢) يقصد قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) [الحجرات : ١٤ - ١٥].

(٣) الكشف والبيان: ٩٠/٩-٩١. وانظر: تفسير القرطبي: ٣٤٩/١٦.

(٤) أخرجه أبو يعلى في "المسند" -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٣٤٥ رقم ٣٧٣) -، والنسائي في "التفسير" (٢ / ٣٢٤ رقم ٥٣٩): ثنا سعيد بن يحيى الأموي، والبخاري في "مسنده"؛ كما في "تفسير

عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: "قدم عشرة رهط من بني أسد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول سنة تسع وفيهم حزمي بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وقتادة بن القائف وسلمة بن جيش ونقادة بن عبد الله بن خلف وطلحة بن خويلد، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المسجد مع أصحابه؛ فسلموا، وقال متكلمهم: يا رسول الله! إنا شهدنا أن الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله! ولم تبعث إلينا بعثاً، ونحن لمن وراءنا سلم؛ فأنزل الله - تعالى -: {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا فُلْ لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)}" (١). [ضعيف جداً]

القرآن العظيم" (٤ / ٢٣٥) - ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٣٤٦ رقم ٣٧٤) -: ثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري كلاهما عن يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: أبو عون هو عطاء بن السائب؛ صدوق؛ لكنه اختلط، ولم يذكره محمد بن أحمد ضمن الذين روى عنه قبل الاختلاط. وقد قال أبو زرعة: "حديث أبي عون عن سعيد مرسل".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٨٥) وزاد نسبه لابن مردويه.

وله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى بنحوه.

أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٨ / ٧٨ رقم ٨٠١٦)، و"الكبير"؛ كما في "مجمع الزوائد" (٧ / ١١٢) من طريق حفص بن غياث عن حجاج بن أرطاة عن إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي عن عبد الله به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ الحجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ والتدليس.

قال الهيثمي: "وفيه الحجاج بن أرطاة، وهو ثقة!! ولكنه مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح".

وقال السيوطي في "اللباب النقول" (ص ١٩٩)، و"الدر المنثور" (٧ / ٥٨٥): "بسند حسن!"، وزاد في "الدر المنثور" نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (٢٢ / ٣٢٠): ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد؛ رجاله رجال الصحيحين، وهو أصح من موصول حديث ابن عباس فالعمدة على هذا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٧ / ٥٨٥) وزاد نسبه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

لكن الحديث بمجموع مرسل سعيد بن جبير وموصول حديث ابن أبي أوفى يرتقي إلى درجة الحسن بإذن الله.

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (١ / ٢ / ٣٩): نا محمد بن عمر عن هشام بن سعيد عن محمد به.

قلنا: وهذا مرسل واه بمرة، ضعيف جداً؛ فيه الواقدي الهالك.

عن الحسن؛ قال: "لما فتحت مكة؛ جاء ناس، فقالوا: يا رسول الله! إنا قد أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧)}"^(١). [ضعيف]

قال ابن زيد: "فهذه الآيات نزلت في الأعراب"^(٢). [ضعيف]

قال الزجاج: "قيل إن هذه نزلت في المنافقين. فاعلموا أنكم إن كنتم صادقين فإنكم قد أسلمتم فله المنُّ عليكم لإخراجه إياكم من الضلالة إلى الهدى. وقد قيل: إنها نزلت في غير المنافقين، في قوم من المسلمين قالوا آما وهاجرنا وفعلنا وصنعنا فمنا على رسول الله بذلك. والأشبه - والله أعلم - أن يكون في قوم من المنافقين"^(٣).

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٥٨٥ / ٧) ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٢. وسنده صحيح إلى ابن زيد؛ لكن ابن زيد -هذا- هو عبد الرحمن بن زيد من أسلم،

متروك الحديث، وهو معضل

(٣) معاني القرآن: ٣٩/٥.

سورة «ق»

١- {إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} {ق : ٣}

قال مقاتل: "نزلت في أبي بن خلف الجمحي، وأبي الأشددين واسمه أسيد بن كعدة، وهما من بني جمح ونبيه ومنبه أخوين ابني الحجاج السهميين، وكلهم من قريش، وقالوا: إن الله لا يحيينا، وكيف يقدر علينا إذا كنا ترابا وضللنا في الأرض؟"^(١).

٢- {أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لُبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} {ق : ١٥}

قال مقاتل: "لما قال كفار مكة: {ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} {ق : ٣}، فأنزل الله- تعالى- {أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}، في أول هذه السورة، وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث"^(٢).

٣- {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} {ق : ٣٨}

عن أبي بكر، قال: جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: "خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرانها وخرابها يوم الأربعاء، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات، يعني من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم، قالوا: صدقت إن أتممت، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون، فغضب، فأنزل الله: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ} {ق : ٣٨- ٣٨} [ضعيف]^(٣).

عن ابن عباس: "أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت عن خلق السموات والأرض فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء [وما فيهن من المنافع] وخلق يوم الأربعاء والشجر والماء وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر. قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش. قالوا: قد أصبت لو تمنت ثم استراح. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا. فنزلت: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} {ق : ٣٨} [ضعيف]^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٠/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٢/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٢. إسناده ضعيف، بسبب ابن حميد (تقريب التهذيب: ١٥٦/٢ - رقم: ١٥٩).

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٧٦٩): ص ٤١٣-٤١٤، والحاكم (المستدرک: ٥٤٣/٢) إسناده ضعيف، أبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان، قال ابن معين: ليس بشيء لا يكتب حديثه، وقال: عمرو بن علي: ضعيف

٤- {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدَ (٤٥)} [ق : ٤٥]
عن ابن عباس، قال: قالوا يا رسول الله لو خوفتنا؟ فنزلت: {ذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ
وَعَبِيدَ} (١).

وفي رواية عن عمرو بن قيس، قال: "قالوا: يا رسول الله، لو ذكرتنا، فذكر مثله" (٢).
قال ابن عطية: "ولو لم يكن هذا سببا، فإنه لما أعلمه أنه ليس بمسلط على جبرهم، أمره
بالإقتصار على تذكير الخائفين من الناس" (٣).

الحديث [تهذيب التهذيب ٤ / ٧١] و [المجروحين لابن حبان ١ / ٣١٣]

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٢.

(٣) المحرر الوجيز: ١٧٠/٥.

سورة «الذاريات»

{وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)} [الذاريات : ٥٥]

قال مجاهد: " خرج عليّ معتجراً ببرد، مشتملاً بخميصة، فقال لما نزلت: {فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ}، أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنا حتى نزل: {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} "(١).

قال قتادة: " ذكر لنا أنها لما نزلت هذه الآية- {فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ} [الذاريات : ٥٤]-، اشتدّ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك: {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} "(٢).

قال مقاتل: " فحزن النبي- صلى الله عليه وسلم- مخافة أن ينزل بهم العذاب(٣)، فأنزل الله- تعالى- {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} "(٤).

قال الثعلبي: " قال المفسرون: فلما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتدّ ذلك على أصحابه، ورأوا أن الوحي قد انقطع وأنّ العذاب قد حضر، فأنزل الله سبحانه: {وَدَكَّرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} "(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٢.

(٣) أي: بعد نزول قوله تعالى: {فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ} [الذاريات : ٥٤].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٣٣/٤.

(٥) الكشف والبيان: ١٢٠/٩.

سورة «الطور»

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرَبِّصِينَ (٣١)} [

الطور : ٣٠-٣١]

عن ابن عباس: "أن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم ترَبصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ} [الطور : ٣١]"^(١).

(١) أخرجه الطبري ٤٧٩/٢٢.

سورة «النجم»

١- {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ
إِذَا أَتَشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى (٣٢)}

[النجم : ٣١-٣٢]

أولاً:- سبب نزول قوله تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم : ٣٢]:
قال مقاتل: " نزلت في نبهان التمار وذلك أنه كان له حانوت يبيع فيه التمر، فأنته امرأة تريد
تمرا، فقالت لها: ادخلي الحانوت، فإن فيه تمرا جيدا. فلما دخلت راودها عن نفسها، فأبت عليه، فلما
رأت الشر خرجت فوثب إليها، فضرب عجزها بيده، فقال: والله، ما نلت مني حاجتك، ولا حفظت
غيبية أخيك المسلم. فذهبت المرأة وندم الرجل، فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فأخبره بصنيعه.
فقال له النبي- صلى الله عليه وسلم- ويحك يا نبهان، فعلت زوجها غاز في سبيل الله، فقال: الله
ورسوله أعلم. فقال: أما علمت أن الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم، فلقي أبا بكر- رضي الله عنه-
فأعلمه، فقال: ويحك فعلت زوجها غاز في سبيل الله. فقال: الله أعلم. ثم رجع فلقي عمر بن الخطاب-
رضي الله عنه- فأخبره، فقال: ويحك لعل زوجها غاز في سبيل الله. قال: الله أعلم. فصرعه عمر
فوطئه، ثم انطلق به إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إخواننا غزاة في سبيل الله
تكسر الرماح في صدورهم يخلف هذا ونحوه أهلهم بسوء، فاضرب عنقه، فضحك النبي- صلى الله
عليه وسلم- فقال أرسله يا عمر فنزلت فيه: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم :
٣٢]، يعني: ضربه عجزيتها بيده"^(١).

ثانياً:- سبب نزول قوله تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَتَشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى} [النجم : ٣٢]:

عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: " كانت يهود تقول إن أهلك لهم صبي صغير، قالوا:
هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله، في

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤-١٦٦. وقد ذكر الواحدي عن ابن عباس في رواية عطاء قصة مشابهة في
سبب نزول الآية: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ
وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران : ١٣٥].

بطن أمه إلا أنه شقي، وسعيد، فأنزل الله عز وجل عند ذلك هذه الآية: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ} [النجم: ٣٢] "الآية كلها"^(١).

وقال مقاتل: "قال ناس من المسلمين: صلينا وصمنا وفعلنا فزكوا أنفسهم، فقال الله- تعالى:- {فَلَا تُزَكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى} [النجم: ٣٢]"^(٢).

٢- {أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم: ٣٣-٣٤]

في سبب نزول الآيتين [٣٣-٣٤]، أقوال:

أحدها: أنها: "نزلت في عثمان بن عفان، كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإنني أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وتعالى علي وأرجو عفوه. فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة، فأنزل الله تبارك وتعالى: {أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤)} [النجم: ٣٣-٣٤]، فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله". وهذا قول ابن عباس^(٣)، والسدي^(٤)، والكلبي^(٥)، والمسيب بن شريك^(٦).

وأخرج الطبري بسنده عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {أَفْرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى} ... إلى قوله {فَهُوَ يَرَى}، قال: هذا رجل أسلم، فلقبه بعض من يُعَيِّرُهُ فقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار، كان ينبغي لك أن تتصرهم، فكيف يفعل بأبائك، فقال: إنني خشيت عذاب الله، فقال: أعطني شيئاً، وأنا أحمل كلّ عذاب كان عليك عنك، فأعطاه شيئاً، فقال زدني،

(١) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٣٦٨) ص: ٨١/٢، والواحي في "أسباب النزول": ٣٩٨، وذكره السيوطي في "الدر المنثور": ٦٥٧/٧-٦٥٨، وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في "المعرفة"، ورواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣١١/٤-٣١٢ من طريق ابن لهيعة به، وقد ضعف ابن لهيعة من جهة حفظه بعد اختلاطه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦٥/٤.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.

(٥) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.

(٦) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦، حكاه بدون إسناد.

فتعاسر حتى أعطاه شيئا، وكتب له كتابا، وأشهد له، فذلك قول الله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى}، عاسره: {أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى}، نزلت فيه هذه الآية^(١).

الثاني: أنها"نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه، فغيره بعض المشركين وقال له: لم تركت دين الأشياخ وضلتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له- إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه- أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية". وهذا قول مجاهد^(٢)، وابن زيد^(٣).

الثالث: ما حكاه خالد بن سليمان، قال: "سمعت دراجا أبا السبح، يقول: خرجت سرية غازية، فسأل رجل رسول الله أن يحمله، فقال: ما أجد ما أحملك عليه، قال: فانصرف حزينا، فمر برجل راحلته منيعة بين يديه، فشكا إليه، فقال له الرجل: هل لك أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك، فقال: نعم، فركب؛ فنزل الكتاب: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الثَّوْقَى (٤١)} [النجم : ٣٣ - ٤١]"^(٤).

قلت: وأثر مجاهد المتقدم أصح الأقوال في سبب النزول.

٣- {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣)} [النجم : ٤٣]

عن الصهباء، عن عائشة قالت: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله تعالى يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى}، فرجع إليهم فقال: ما خطوت أربعين خطوة حتى تلقاني جبريل عليه السلام فقال: انت هؤلاء وقل لهم: إن الله عز وجل يقول: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣]"^(٥).

(١) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٢.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦. [مرسل]. وأخرج الطبري: ٢٤١٢/٢ عن مجاهد: "في قوله: {وَأَكْدَى}، قال: الوليد بن المغيرة: أعطى قليلا ثم أكدى."

(٣) انظر: أسباب النزول للواحي: ٤١٦. [مرسل].

(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٣٦): ص ١٠٣/١.

(٥) أخرجه الواحي في أسباب النزول: ٤١٦-٤١٧، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٣/٧) لابن مردويه.

عن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "هبط آدم من الجنة بياقوتة بيضاء تمسح بها دموعه قال: وبكى آدم على الجنة أربعين عاما فقال له جبريل: يا آدم ما يبكيك إن الله بعثني إليك معزيا فضحك آدم، فذلك قول الله: {هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم : ٤٣]، فضحك آدم وضحكت نريته وبكى آدم وبكت نريته"^(١).

عن حبان الطائي، قال: "شهدت جنازة أم مصعب بن الزبير وفيها ابن عباس على أتان له فمر، وحاذى عبد الله بن عمرو وابن عمر وقال: فسمعوا أصوات صوائح، قال: قلت: يا ابن عباس يصنع هذا وأنت هاهنا قال: «دعنا منك يا حبان فإن الله أضحك وأبكى»"^(٢).

(١) الدر المنثور: ٦٦٤/٧، وعزاه إلى أبي الشيخ في العظمة وابن مردويه.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة(١١٢٩٦):ص٤٨٢/٢، وانظر: الدر المنثور: ٦٦٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

سورة «القمر»

١- {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} [القمر : ١]

عن عبدالله بن مسعود، قال: "انشقَّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كُبْشَةَ سحر كم فسلوا السُّقَّارَ، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله تبارك وتعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}""^(١).

٢- {سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ (٤٥)} [القمر : ٤٥]

عن ابن عباس: "سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ"، قال: كان ذلك يوم بدر. قال: قالوا نحن جمع منتصر، قال: فنزلت هذه الآية"^(٢).

٣- {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ

(٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٧ - ٤٩]

سبب نزول الآيات: [٤٧-٤٩]:

قال محمد بن كعب القرظي: "لما تكلم الناس في القَدَرِ نظرت، فإذا هذه الآية أنزلت فيهم: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر : ٤٧] ... إلى قوله: {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر : ٤٩]"^(٣).

عن أبي هريرة، قال: " جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ دُوفُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٨ - ٤٩]"^(٤).

٤- {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)} [القمر : ٤٩]

عن أبي هريرة: " أن مشركي قريش خاصمت النبي صلى الله عليه وسلم في القَدَرِ، فأنزل الله: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}""^(٥).

عن أبي هريرة، قال: " جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}""^(٦).

(١) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٤) المسند (٤٤٤/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣).

(٥) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٢.

سورة «الرحمن»

١- {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} {الرحمن : ٢-١}

قال مقاتل: " وذلك أنه لما نزل: {اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٦٠]، قال كُفَّار مَكَّةَ: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} [الفرقان : ٦٠]؟! فأنكروا الرحمن، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأخبر الله- تعالى- عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف، فيوحد فقال: {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١] الذي أنكروه هو الذي {عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ٢]"^(١).

قال الثعلبي: " {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ٢-١]، نزلت حين قالوا: {وَمَا الرَّحْمَنُ؟}، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣]"^(٢).

٢- {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آتَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)}
[الرحمن : ٢٩-٣٠]

قال مقاتل: " وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئا، فأنزل الله- تعالى- : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، يوم السبت وغيره"^(٣).

٣- {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ (٤٦)} [الرحمن : ٤٦]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن شوذب، وعطاء الخراساني : "نزلت هذه الآية :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} في أبي بكر الصديق"^(٤).

الثاني: عن عطية بن قيس في قوله :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ} : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار، لعلي أضل الله، قال : تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة"^(٥).

قال ابن كثير: " الصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول تعالى : ولمن خاف مقامه بين يدي الله، عز وجل، يوم القيامة، {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات : ٤٠]، ولم يطغ، ولا أثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٥/٤، وعزاه إليه ابن الجوزي في " زاد المسير": ٢٠٥/٤. وسبق مرارا أن مقاتل ممن يضع الحديث، والخبر منكر جدا.

(٢) الكشف والبيان: ١٧٧/٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤، وانظر: الكشف: ٤٤٧/٤.

(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.

القيامة عند ربه جنتان.. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ؛ ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء "(١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧، ٥٠٢.

سورة «الواقعة»

١- ﴿فَلَمَّا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٢]
سبب نزول الآيات: [٧٥-٨٢]:

عن ابن عباس، قال: "مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبح من الناس شاكراً ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا». قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَمَّا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]"^(١).

عن زيد بن خالد الجهني، قال: "صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب" ^(٢).

٢- ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ [الواقعة: ٨٢]

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، ونزلوا بالحجر، فأمرهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن لا يحملوا من مائها شيئاً ثم ارتحل ثم نزل منزلاً آخر، وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام يصلي ركعتين ثم دعا، فأرسل سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك قد ترى ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم فأمطر الله علينا السماء، فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ [الواقعة : ٨٢]"^(٣).

(١) صحيح مسلم (٧٣):ص٨٤/١، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢ / ١٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٢.

(٢) صحيح البخاري (٨٤٦):ص١٦٩/١، ومسلم ٧١ ومالك ١ / ١٩٢ وأحمد ٤ / ١١٧ من حديث زيد بن خالد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٠٧):ص٣٣٣٥/١٠.

سورة «الحديد»

١- {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١٠) [الحديد : ١٠]

روى محمد بن الفضل عن الكلبي: "أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه" (١).

قال الثعلبي: "وفي هذه الآية دلالة واضحة وحجة بينة على فضل أبي بكر بتقديمه لأنه أول من أسلم" (٢).

قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق" (٣).

عن ابن عمر قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: "أنفق ماله علي قبل الفتح" قال: فإن الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ إني عن ربي راض إني عن ربي راض" (٤).

عن عامر، أن عمر، قال: «لا أسمع بأحد فضلني على أبي بكر إلا جلدته أربعين» (٥).

عن الحكم بن جحل قال: سمعت علياً يقول: "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري" (٦).

(١) حكاة الثعلبي في: "الكشف والبيان": ٢٣٢/٩.

(٢) الكشف والبيان: ٢٣٢/٩.

(٣) زاد المسير: ٢٣٣/٤.

(٤) رواه البغوي في "التفسير": ٣٤/٨. قال ابن كثير: ١٤/٨. هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم. "وجه ضعفه فيه العلاء بن عمرو، قال ابن حبان في كتاب المجروحين والضعفاء: ٢ / ١٨٥: يروي عن أبي إسحاق الفزاري العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال وساق له هذا الحديث. وقال الذهبي في الميزان: ٣ / ١٠٣: متروك، وساق له هذا الحديث من طريق ابن خزيمة، ثم قال: "وهو كذب".

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩٤٠): ص ٣٤٩/٦.

(٦) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٤٩): ص ٨٣/١. وقال المحقق: "إسناده ضعيف".

وقال ابن عطية: "روي أنها نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجرا من كل من أنفق قديما، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظم أجرا"^(١).

٢- {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)}
[الحديد : ١٨]

قال مقاتل: "نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالصدقة ورغبهم في ثوابها، فقال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، فإني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله. ثم جاء إلى الحديقة، وأم الدحداح في الحديقة، فقال: يا أم الدحداح، إني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله فخذي بيد صبيته فأخرجيهم من الحائط. فلما أصابهم حر الشمس بكوا، فقالت: أمهم لا تبكوا فإن أباكم قد باع حائطه من ربه، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كم من نخلة مذلا عدوقها قد رأيتها لأبي الدحداح في الجنة، فنزلت فيه: {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}"^(٢).

٣- {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)} [الحديد : ١٩]

قال مقاتل: "فقال الفقراء- أي بعد نزول الآية السابقة^(٣)-: ليس لنا أموال نجاهد بها أو نتصدق بها، فأنزل الله- تعالى-: {وَالَّذِينَ آمَنُوا..}"^(٤).

٤- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨)} [الحديد : ٢٨]

عن سعيد بن حبير، قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم جعفرًا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وأمن به؛ فلما كان عند انصرافه، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلا ائذن لنا، فنأتي هذا النبي، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإننا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تهيأ النبي صلى

(١) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(٣) {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١٨].

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوقعة أُحُد؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال، استأذنوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: يا نبي الله إن لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجننا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} إلى قوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}، فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: {يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا}؛ فخرروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابتنا، فله أجره مرتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، فجعل لهم أجرهم، وزادهم النور والمغفرة، ثم قال: {لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}، وهكذا قرأها سعيد بن جبير: {لِكَيْلَا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ} (١).

٥- {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الحديد : ٢٩]

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن قتادة، قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} [الحديد : ٢٨]، الآية، قال: لما نزلت هذه الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله عز وجل {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ} ... الآية، قال: ذكر لنا أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: "إنما مثلنا ومثل أهل الكتابين قبلنا، كمثل رجل استأجر أجراً، يعمَلون إلى الليل على قيراطٍ، فلما انتصف النهار سئموا عمله ومأوا، فحاسبهم، فأعطاهم على قدر ذلك، ثم استأجر أجراً إلى الليل على قيراطين، يعمَلون له بقية عمله، فقيل له ما شأن هؤلاء أقلهم عملاً وأكثرهم أجراً؟ قال: مالي أعطي من شئت، فأرجو أن نكون نحن أصحاب القيراطين" (٢).

عن قتادة: "كفلين من رحمة" [الحديد : ٢٨]، قال: بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين، فأنزل الله: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} (٣).

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

الثاني: قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: {لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} [الحديد : ٢٩]، الآية. يعني: بـ«الفضل»: النبوة»^(١).

الثالث: أنه لما نزل في مسلمي أهل الكتاب قوله: {الَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢]، إلى قوله عز وجل: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [القصص : ٥٤]، افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان. وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس^(٢)، وبه قال مقاتل^(٣).

قال مقاتل: "فجعل الله- تعالى- لمن آمن بمحمد- صلى الله عليه وسلم- من أهل الإنجيل أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول وكتاب محمد- صلى الله عليه وسلم-، فافتخروا على أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقالوا: نحن أفضل منكم في الأجر لنا أجران بإيماننا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر الذي جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- فشق على المسلمين، فقالوا: ما بالنا قد هاجرنا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وآمنا به قبلكم ، وغزونا معه وأنتم لم تغزوا فأنزل الله- تعالى- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} [الحديد : ٢٨] .."^(٤).

(١) الدر المنثور: ٦٨/٨، وعواه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وحكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥١/٩، والبيهقي في "التفسير": ٤٥/٨، والقرطبي في "التفسير": ٢٦٨/١٧.

(٢) عزاه ابن الجوزي لأبي صالح عن ابن عباس، انظر: زاد المسير: ٢٤٠/٤، وهذه رواية ساقطة، مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤، وتقدم مرارا أن مقاتل متهم بالكذب، فهو ممن يضع الحديث.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

سورة «المجادلة»

١- {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)} [المجادلة : ١]

عن عائشة قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١] " إلى آخر الآية"^(١).

وعن عائشة، أنها قالت: "تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول: يا رسول الله، أكلت شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} وقال: وزوجها أوس بن الصامت"^(٢).

عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خولة^(٣) بنت ثعلبة قالت: "في - والله - وفي أوس بن صامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فوثبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه صلى الله عليه وسلم ما ألقى من سوء خلقه، قالت:

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٤١٩٥): ص ٢٢٨/٤٠، والبخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب «وكان الله سميعا بصيرا»: ١٣ / ٣٢٧، والنسائي ج ٦ ص ١٣٧، وابن ماجه رقم ١٨٨ ورقم ٢٠٦٣، والحاكم ج ٢ ص ٤٨١ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وأخرجه الطبري في "التفسير" ٢٢٦/٢٣، وأبو الشيخ في "العظمة" (١٩١)، واللالكاني في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٦٨٩)، والبيهقي في "السنن" ٣٨٢/٧، وفي "السنن الصغير" ١٣٨/٣، وفي "معرفة السنن والآثار" ١١٥/١١، وفي "الأسماء والصفات" (٣٨٥)، وفي "الاعتقاد والهداية" ص ٥١.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٠): ص ٣٣٤٢/١٠.

(٣) قال السندي: خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، بالتصغير.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه "، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سري عنه فقال لي: " يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك "، ثم قرأ علي: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} إلى قوله: {وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مريه فليعتق رقبة "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: " فليصم شهرين متتابعين "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: " فليطعم ستين مسكينا، وسقا من تمر "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإننا صنعينه بعرق من تمر "، قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: " قد أصبت وأحسن، فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا "، قالت: ففعلت، قال: عبد الله قال: أبي قال سعد: العرق الصن" (١).

وقال مقاتل: " وذلك أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم الأنصاري، من بني عمرو بن عوف بن الخزرج، كانت حسنة الجسم، فرأها زوجها ساجدة في صلاتها، فلما انصرفت أرادها زوجها فأبى عليه، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، واسمه أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ابن قيس بن أحرم الأنصاري فأنت خولة النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن زوجي، يا رسول الله، تزوجني وأنا شابة، ذات مال، وأهل، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وكبرت سني، ووهن عظمي، جعلني عليه كظهر أمه، ثم ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه، فسكت النبي- صلى الله عليه وسلم- عنها، وكان الظهار، والإيلاء، وعدد النجوم من طلاق الجاهلية، فوقت الله- تعالى- في الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة، ووقت من عدد النجوم ثلاث تطليقات، فأنزل الله- تعالى- {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ...} [المجادلة : ٢] " (٢).

٢- {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)} [المجادلة : ٥]

(١) أخرجه أحمد في "المسند" (٢٧٣١٩) ص: ٤٥/٣٠٠-٣٠٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.

قال مقاتل: "وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ" [المجادلة : ٥]، نزلت في اليهود والمنافقين^(١).
قال ابن عطية: "هذه الآيات نزلت في منافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يتمرسون برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم"^(٢).
٣- {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)}

[المجادلة : ٦]

قال مقاتل: "نزلت في المنافقين في أمر المناجاة"^(٣).
٤- {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)}

[المجادلة : ٧]

روى عن ابن عباس: "أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية، كانوا يوما يتحدثون، فقال أحدهم: أتري أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضا ولا يعلم بعضا. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله، وصدق"^(٤).

٥- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَصِيرَ (٨)}

[المجادلة : ٨]

أولاً:- في سبب نزول قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} [المجادلة : ٨]، وجوه:

أحدها: أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجاوهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم. فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٢٧٥/٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(٤) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٤٩٠/٤، وأبو حيان في البحر المحيط: ١٢٥/١٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. قاله ابن عباس^(١).

الثاني: أنها نزلت في اليهود، قاله مجاهد^(٢)، والمقاتلان^(٣).

قال مقاتل بن حيان: "قال مقاتل بن حيان، وزاد: كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادة، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله - أو: بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك خشيمهم، فترك طريقه عليهم. فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فأنزل الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ؟}"^(٤).

وقال مقاتل بن سليمان: "يعني: اليهود كان بينهم وبين محمد- صلى الله عليه وسلم- موادة، فإذا رأوا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم-، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فقال- الله تعالى-: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى؟} [المجادلة: ٨]"^(٥).

الثالث: أنها نزلت في المنافقين. قاله ابن السائب الكلبى^(٦).

قال السمعاني: "نزلت الآية في قوم من المنافقين كان رسول الله إذا بعث سرية قالوا فيما بينهم: قد أصاب السرية، وكذا قد أسروا وقتلوا وما يشبه ذلك إرجافا بالمسلمين، فنهاهم النبي عن ذلك، فكانوا يقولون قد نبئنا"^(٧).

(١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩، والواحدى في "أسباب النزول": ٤٣٠، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٥/٤. والخبر بدون إسناد.

(٢) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. بدون إسناد.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤، و"الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩. حكاها عنهما. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨، حكاها عن مقاتل بن حيان.

(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤.

(٦) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. وهو متروك متهم.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٥.

الرابع : قال ابن زيد: " كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليري الناس أنه قد ناجى فيقول لهم: إنما يتناجون في حرب حضرت، أو جمع قد جمع لكم، أو أمر مهم قد وقع، فأنزل الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة : ٨]، أي: المناجاة"^(١).

حكاه الثعلبي عن ابن زيد، بدون إسناد. وقد اخرج الطبري بسنده عن ابن زيد نحوه في سبب نزول قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١٠]^(٢).

ثانياً:- في سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [المجادلة : ٨]، وجهان: أحدهما: أنها نزلت في اليهود، وهذا قول عبدالله بن عمرو^(٣)، ومجاهد^(٤)، وقتادة^(٥)، وابن زيد^(٦).

عن عبد الله بن عمرو: " أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم، لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، إلى آخر الآية"^(٧).

عن مجاهد، في قوله: "{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، قال: " يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضاً يهود"^(٨).

الثاني: أنها نزلت في المنافقين. وهذا قول ابن عباس^(٩).

(١) نقلا عن " الكشف والبيان " (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٣) انظر: مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١١/١٥٩-١٦٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٤٠.

(٧) مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١١/١٥٩-١٦٠، وأخرجه البزار (٢٢٧١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩١٠٠). وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٢١/٧-١٢٢، وقال: "رواه أحمد والبزار والطبراني، وإسناده جيد، لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة".

وأخرجه مسلم(١١):ص٤/١٧٠٧. بنحوه.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٣٩.

عن ابن عباس: قوله: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} ... إلى {فَبَيِّنِ الْمَصِيرَ}- قال: "كان المنافقون يقولون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا حيوه: (سام عليكم)، فقال الله: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَبَيِّنِ الْمَصِيرَ}"^(١).

٦- {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِنَّا بِيَدِنَا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)} [المجادلة : ١٠]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال قتادة: "كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا}، ... الآية"^(٢).

قال معمر: "كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون، يشقّ عليهم، فنزلت: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}"^(٣).

وقال الكلبي: "أن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه، وعلموا أن له حميما في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا شيء قد بلغهم من حميمي، فلا يزال من ذلك في غم وحزن، حتى يقدم حميمه؛ فأنزل الله هذه الآية"^(٤).

الثاني: قال ابن زيد: "كان الرجل يأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله الحاجة، ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت، وجموع قد جمعت لكم وأشياء، فقال الله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} ... إلى آخر الآية"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٤٤):ص٣٣٤٣/١٠. بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(٤) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣٦٠/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

٧- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)}
[المجادلة : ١١]

قال قتادة: " نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض" (١).

قال مقاتل بن حيان: " أنزلت هذه الآية يوم جمعة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً في الصف في المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم. فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم. فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم. فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم قيام من أهل بدر. فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية" (٢).

وقال مقاتل بن سليمان: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- جلس في صفة ضيقة، ومعه أصحابه فجاء نفر من أهل بدر، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فسلموا على النبي- صلى الله عليه وسلم-، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، وجعلوا ينتظرون ليوسع لهم فلم يفعلوا، فشق قيامهم على النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان يكرم أهل بدر وذلك يوم الجمعة، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قم يا فلان، وقم يا فلان. لمن لم يكن من أهل بدر، بعدد القيام من أهل بدر، فعرف النبي- صلى الله عليه وسلم- الكراهية في وجه من أقيم منهم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: رحم الله رجلاً تفسح لأخيه، فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك، فقال المنافقون للمسلمين: أتزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله، ما عدل على هؤلاء، إن قوما سبقوا فأخذوا مجلسهم وأحبوا قربه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عن الخير، فوالله، إن أمر صاحبكم كله فيه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥): ص ٣٣٤٣/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٥): ص ٣٣٤٣/١٠-٣٣٤٤. وانظر: الدر المنثور: ٨٢/٨.

اختلاف. فأنزل- الله تعالى:- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ..} [المجادلة : ١١] (١).

قال الزجاج: " قيل إن الآية نزلت بسبب عبد الله بن شماس وكان من أهل الصفة، وكان من يجلس في مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذوي الغنى والشرف كأنهم لا يوسعون لمن هو دونهم، فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتساوى الناس بالأخذ بالحظ منه" (٢).

٨- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَظْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [المجادلة : ١٢]

عن ابن عباس في قوله: {إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ}، الآية قال: "إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما قال ذلك امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا: {أَشْفَقْتُمْ}، الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق" (٣).

قال مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرن مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئاً، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الرخصة" (٤).

٩- {أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)} [المجادلة : ١٣]

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ} [المجادلة: ١٢] صدقة الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي صلى الله عليه

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦١/٤-٢٦٢.

(٢) معاني القرآن: ١٣٩/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٨): ص ٣٣٤٤/١٠.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٣٢، مرسل.

وسلم، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية^(١).

وعن مصعب بن سعد، عن سعد رضي الله عنه قال: "نزلت في ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل: نزل تحريم الخمر، نادمت رجلا فعارضته وعارضني، فعريدت عليه فشججته، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ونزلت في: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥] إلى آخر الآية، ونزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] فقدمت شعيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لزهد». فنزلت الأخرى: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية كلها^(٢).

١٠- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٨] سبب نزول الآيات: [١٨-١٤]:

عن السدي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾، الآية قال: "بلغنا أنه نزلت في عبد الله بن نبتل وكان رجلا من المنافقين"^(٣). [ضعيف]

قال مقاتل: "قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولايتهم فهو عبد الله بن نبتل المنافق.. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٩٤): ص ٥٢٤/٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٨٤ / ٦) لسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٣٣١): ص ١٤٧/١.

(٣) ذكره السيوطي في "اللباب النقول" (ص ٢٥٧)، و"الدر المنثور" (٨ / ٨٥) ونسبه لابن أبي حاتم.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

لعبد الله بن نبتل: إنك تواد اليهود فحلف عبد الله بالله أنه لم يفعل وأنه ناصح، فأنزل الله- تعالى:-
 {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)} [المجادلة : ١٤]"^(١).

وذكر الواحدي عن السدي ومقاتل: "نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود. فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان. فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما شتموه. فأنزل الله تعالى هذه الآيات"^(٢).

عن ابن عباس، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل حجرة من حُجره، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يَفْلُصُ عنهم الظلُّ، قال: فقال: إنه سيأتىكم إنسانٌ ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، قال: فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه، قال: علام تشتمني أنت وفلانٌ وفلانٌ؟ نفرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله اعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عز وجل {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ} الآية"^(٣). [صحيح]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٣/٤-٢٦٥.

(٢) أسباب النزول: ٤٣٣. مرسل.

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٠٧):ص٢٣١/٤-٢٣٢، وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في "مسنديهما"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (١٧٢ /٨ رقم ٧٨٥٠)، والطبري في "جامع البيان" (٢٣ / ٢٥٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢ / ٦، ٧ رقم ١٢٣٠٧)، والبخاري في "المسند" (٣ / ٧٤، ٧٥ رقم ٢٢٧٠ - "كشف")، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٤ / ٣٥١)، والحاكم في "المستدرک" (٢ / ٤٨٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٥ / ٢٨٢، ٢٨٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٧٧) من طرق عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧ / ١٢٢): "رواه الطبراني وأحمد والبخاري؛ ورجال الجميع رجال الصحيح".

وقال الحافظ ابن كثير: "إسناد جيد ولم يخرجه".

وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨ / ٨٥) وزاد نسبه لابن المنذر وابن مردويه.

١١- {كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)} [المجادلة : ٢١]

قال مقاتل: " وذلك أن المؤمنين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- لئن فتح الله علينا مكة وخيبر وما حولها فنحن نرجو أن يظهرنا الله ما عاش النبي- صلى الله عليه وسلم- على أهل الشام وفارس والروم. فقال عبد الله بن أبي للمسلمين: أتظنون بالله أن أهل الروم وفارس كبعض أهل هذه القرى التي غلبتموهم عليها، كلا والله لهم أكثر جمعا، وعددا. فأنزل الله- تعالى- في قول عبد الله بن أبي {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفتح : ٤]، وأنزل {كَتَبَ اللَّهُ} كتابا وأمضاه، {لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرَسُولِي}، يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، يقول: أقوى وأعز من أهل الشام والروم وفارس" (١). " لقول عبد الله بن أبي: هم أشد بأسا وأعز عزيزا" (٢).

١٢- {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)} [المجادلة : ٢٢]

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح. قاله سعيد بن عبد العزيز (٣)، عبد الله بن شوذب (٤).

عن عبد الله بن شوذب قال: "جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر، قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية حين قتل أباه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [المجادلة: ٢٢] إلى آخر الآية" (٥). [ضعيف]

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩/٤.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني (٣٦٠): ص ١٥٤/١.

(٥) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦٠): ص ١٥٤/١، وعنه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/ ١٠١)، و"معرفة الصحابة" (٢/ ٢١، ٢٢ رقم ٥٧٦) -ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ص ٢٦٦ - مطبوع) عن أبي يزيد القراطيسي، والحاكم في "المستدرک" (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥) -وعنه البيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٢٧) - من طريق الربيع بن سليمان، كلاهما عن أسد بن موسى ثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لإعضاله.

قال ابن كثير: "ولهذا قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة، رضي الله عنهم: «ولو كان أبو عبيدة حيًا لاستخلفته»^(١)»^(٢).

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وذلك أن أبا قحافة سبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصغَّه أبو بكر صغَّةً شديدةً سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَوْ فَعَلْتَهُ»؟ قال: نعم. قال: فلا تُعَدُّ إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج^(٣). [ضعيف]

عن عبد الرحمن بن ثابت بن قيس بن الشماس: أنه استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يزور خاله من المشركين؛ فأذن له، فلما قدم؛ قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأناس حوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

الثالث: ما روى مقاتل بن حيان، عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: "ولو كانوا آباءهم، يعني: أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، {أو أبناءهم}، يعني:

قال البيهقي عقبه: "هذا منقطع".

وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وقال الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٢/ ٢٤٤): "أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب".

وقال في "فتح الباري" (٧/ ٩٣): "مرسل".

وقال في "التلخيص الحبير" (٤/ ١١٣): "هذا معضل".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦) و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

(١) في الطبقات الكبرى: ٣/ ٣١٥. قال عمر بن الخطاب: "لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله".

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٣) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦)، و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) ونسبه لابن المنذر، وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٤، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٥١/٤.

وابن جريج مدلس، لم يذكر من حديثه، ومع ذلك هو معضل، فالخبر شبه موضوع، قال الإمام أحمد: هذه المراسيل التي يرسلها ابن جريج كأنها موضوعة.

(٤) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦) ونسبه لابن مردويه.

أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله: دعني أكر في الرعدة^(١) الأولى. فقال له رسول الله: «متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري؟». {وإخوانهم}، يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. {أو عشيرتهم}، يعني: عمر، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليها وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر^(٢).

قال ابن كثير: "ومن هذا القبيل حين انتشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتمكن علياً من عقيل، وتمكن فلاناً من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين... القصة بكاملها"^(٣).

الخامس: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزم على قصدهم. قاله مقاتل^(٤)، والفراء^(٥).

قال الزجاج: "جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصة وينذرهم ليحرزوا فنزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر حاطب لما وبخ بذلك أن له بمكة أهلاً وأنه ليس له أحد ينفهم، وإنما فعل ذلك ليحاط أهله، فأعلم الله - عز وجل - أن إيمان المؤمن يفسد بمودة الكفار بالمعاونة على المؤمنين. وأعلم الله تعالى أنه من كان مؤمناً بالله واليوم الآخر لا يوالي من كفر، ولو كان أباه أو أمه أو أخاه أو أحداً من عشيرته"^(٦).

السادس: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ فقال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه،

(١) الرعدة: الخيل.

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٤/٩-٢٦٥، والواحي في "أسباب النزول": ٤٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤-٢٦٦.

(٥) انظر: معاني القرآن: ١٤٢/٣.

(٦) معاني القرآن: ١٤١/٥.

فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتكم بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك! فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في قتل أبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي^(١).
قال النحاس: "أصح ما روي في هذا أنه نزل في المنافقين الذين والوا اليهود لأنهم لا يقرون بالله جل وعز على ما يجب الإقرار به ولا يؤمنون باليوم الآخر فيخافون العقوبة"^(٢).
قال ابن الجوزي: "وهذه الآية قد بيّنت أن مودة الكفار تقدر في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته"^(٣).

(١) انظر: زاد المسير: ٢٥١/٤-٢٥٢. ولم أقف عليه، وهو مرسل بكل حال فهو واه.

(٢) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.

(٣) زاد المسير: ٢٥٢/٤.

سورة «الحشر»

١- {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)}

[الحشر: ١ - ٥]

سبب نزول الآيات: [٥-١]:

عروة بن الزبير قال : " ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وإن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل الشام قال: والجلاء أنه كتب عليهم في أي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصيبهم الجلاء قبل ما سبط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحشر: ١]، إلى قوله: {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: ٥]"^(١).

٢- {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)} [الحشر: ٥] :

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع، فنزلت هذه الآية. عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة» فنزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [الحشر: ٥]"^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٩): ص ٣٣٤٥/١٠

(٢) أخرجه البخاري في المغازي (٤٠٣١) وفي التفسير (٤٨٨٤). وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٧٤٦ / ٢٩) ص (١٣٦٥). وأبو داود في الجهاد (٢٦١٥)، وأخرجه الترمذي في السير (١٥٥٢) وفي التفسير (٣٣٠٢) وقال:

عن ابن عمر، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير، وحرق»، ولها يقول حسان:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ ... حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ،

وفي ذلك نزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْئَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا} [الحشر: ٥] الآية^(١).

الثاني: أنها نزلت لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها.

قال قتادة: "فقطع المسلمون يومئذ النخل، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفساداً، فقالت اليهود: الله أذن لكم في الفساد؟ فأنزل الله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْئَةٍ}"^(٢).

قال مجاهد: "نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغنم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه"^(٣).

روي عن ابن عباس، في قول الله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْئَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا} قال: "الليئة النخلة، {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: أمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْئَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا}"، الآية^(٤).

الثالث: أنها نزلت لقول اليهود لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك، فعن أمر الله فعل.

هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في التفسير (٥٩٣). وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٨٨ / ٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير والبيهقي في الدلائل.

(١) أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠٢١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٤٦ / ٣٠) ص [واللفظ له] ١٣٦٥، وزاد المزي نسبه في تحفة الأشراف (٨٤٥٧) للنسائي في السير في الكبرى. وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٧٢/٢٣).

وزاد السيوطي نسبه في الدر (١٨٨ / ٦) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٣.

(٤) سنن الترمذي (٣٣٠٣): ص ٢٦٢/٥، وقال: " هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن حفص بن

غياث، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبيرة، مرسلًا ولم يذكر فيه عن ابن عباس".

قال الزجاج: "فأنكر بنو النضير قطع النخل، فأعلم الله - عز وجل - أن ذلك بإذنه القطع والترك جميعاً"^(١).

قال يزيد بن رومان: "لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، يعني ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}"^(٢).

قال مقاتل: "وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم- أمر بقطع ضرب من النخيل من أجود التمر، يقال له: اللين، شديد الصفرة ترى النواة من اللحي من أجود التمر بغيث فيه الضرس، النخلة أحب إلى أحدهم من وصيف، فجزع أعداء الله لما رأوا ذلك الضرب من النخيل يقطع. فقالوا: يا محمد، أوجدت فيما أنزل الله عليك الفساد في الأرض أو الإصلاح في الأرض، فأكثرنا القول ووجد المسلمون ذمامة من قطعهم النخيل خشية أن يكون فسادا، فأنزل الله- تعالى:- {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} وكانوا قطعوا أربع نخلات كرام عن أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- غير العجوة"^(٣).

قال الواحدي: "وذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: زعمت يا محمد أنك تريد الإصلاح، أفمن الإصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل؟ وهل وجدت فيما زعمت: أنه أنزل عليك، الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل اقطعوا. فأنزل الله تبارك وتعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} ... الآية، تصديقا لمن نهى عن قطعه، وتحليلا لمن قطعه. وأخبر: أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى"^(٤).

قال الماوردي: "وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب"^(٥).

(١) معاني القرآن: ١٤٤/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٦/٤-٢٧٧.

(٤) أسباب النزول: ٤٣٦-٤٣٧.

(٥) النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

الرابع: ما روي عن الأوزاعي, قال: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي فسأله عن المشيئة, فقال: «المشيئة لله تعالى», قال: فإنني أشاء أن أقوم, قال: قد شاء الله أن تقوم", قال: فإنني أشاء أن أقعد, قال: «فقد شاء الله أن تقعد», قال: فإنني أشاء أن أقطع هذه النخلة قال: فقد شاء الله أن تقطعها " قال: فإنني أشاء أن أتركها قال: «فقد شاء الله أن تتركها» قال: فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام, فقال: لقتت حجتك كما لقنها إبراهيم عليه السلام قال: ونزل القرآن فقال: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]"^(١).

٣- ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ [الحشر: ٦ - ٧]

سبب نزول الآيتين: [٦، ٧]:

قال ابن عباس: "أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير، وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب، فجعل ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير، وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان من ذلك خبير وفدك وقري عريية، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها، فأنزل الله عزّ وجلّ عذره، فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ... الآية"^(٢).

وحكى الكلبي: "أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أموال المشركين، يا رسول الله صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٦):ص٣٦٧/١، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٨، وانظر: الدر المنثور: ١٩٢ /٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٤-٢٧٥.

الجاهلية

وأنشدوه^(١):

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطه والفضول
فأنزل الله هذه الآية^(٢).

٤- {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيني طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأتها، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما»، فأنزل الله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]^(٣). [صحيح]

الثاني: عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: "أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: «إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا» قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث إليه واحدا إلى آخر حتى تناولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]^(٤). [ضعيف]

(١) لعبد الله بن عنمة الضبي في: "الأصمعيات" ص ٣٧، "تهذيب اللغة" ٢ / ٣٦٩، ١١ / ٣١٤، ١٢ / ٤١، ٢٤٩، "لسان العرب" ١١ / ٥٢٦ (فضل)، ١٤ / ٤٦٢ (صفا)، "تاج العروس" ٢١ / ٢٠ (نشط).
(٢) انظر: النكت والعيون: ٥٠٤/٥.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب (٣٧٩٨)، وفي التفسير (٤٨٨٩). وأخرجه مسلم في الأشربة (١٧٢)، ١٧٣ / ٢٠٥٤ ص ١٦٢٤، ١٦٢٥. وأخرجه الترمذي في التفسير (٣٣٠٤). والنسائي في التفسير (٦٠٢).

(٤) إسناده ضعيف: عبيد الله بن الوليد ضعيف [تقريب ١ / ٥٤٠] و [المجروحين ٢ / ٦٣].

٥- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١)} [الحشر :
[١١]

قال السدي: " قد أسلم ناس من أهل قريظة والنضير وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون
لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم. فنزلت فيهم هذا الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ
لِإِخْوَانِهِمْ، الآية} (١).

قال مقاتل: " أنزل في دس المنافقين إلى اليهود أنا معكم في النصر والخروج فقال:
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا}، نزلت في عبد الله بن نتيل، وعبد الله بن أبي رافع ابن يزيد، كلهم من
الأنصار، {يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» من اليهود، منهم: حيي بن أخطب،
وجدي وأبو ياسر، ومالك ابن الضيف، وأهل قريظة، {لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ} لئن أخرجكم محمد من المدينة
كما أخرج أهل النضير، {لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا}، يقول: لا نطيع في خذلانكم أحدا أبدا،
يعني بـ«أحد»: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده" (٢).

والحديث أخرجه الحاكم (٣٧٩٩):ص٥٢٦/٢، وصححه، وتعبه الذهبي بقوله: " عبيد الله بن الوليد ضعفوه.
وأخرجه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٩، وعزاه السيوطي في الدر (١٩٥ /٦) للحاكم وابن مردويه والبيهقي
في شعب الإيمان.

(١) الدر المنثور: ١١٥/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٥٨):ص٣٣٤٧/١٠. [مختصرا]

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.

سورة «المتحنة»

١- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)} [المتحنة : ١]

قال ابن كثير: " كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضًا، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفًا لعثمان. فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال : "اللهم، عمّ عليهم خبرنا". فعمد حاطب هذا فكتب كتابًا، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله رسوله على ذلك استجابة لدعائه. فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته" (١).

روي عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، يقول: "سمعت عليا رضي الله عنه، يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه قد صدقكم» فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: " إنه شهد بدرا وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " قال عمرو: ونزلت فيه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ}

(١) تفسير ابن كثير: ٨٢/٨.

[الممتحنة : ١]، قال: «لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو»، حدثنا علي، قال: قيل لسفيان: في هذا فنزلت: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [الممتحنة : ١] الآية، قال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفا وما أرى أحدا حفظه غيري"^(١).

قال مقاتل: "وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالجهاد وعسكر، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة. إن محمدا قد عسكر، وما أراه ألا يريدكم فخذوا حذرکم وأرسل بالكتاب مع سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم وكانت قد جاءت من مكة إلى المدينة فأعطاه حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تبلغ كتابه أهل مكة وجاء جبريل، فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بأمر الكتاب، وأمر حاطب فبعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علي بن أبي طالب- عليه السلام-، والزبير بن العوام، وقال لهما: إن أعطتكما الكتاب عفوا خليا سبيلها، وإن أبت فاضربا عنقها. فسارا حتى أدركا بالحجفة وسألاها عن الكتاب فخلفت، ما معها كتاب، وقالت: لأنا إلى خيركم أفقر منى إلى غير ذلك. فابتحناها، فلم يجدا معها شيئا، فقال الزبير لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- ارجع بنا، فإننا لا نرى معها شيئا. فقال علي: والله لأضربن عنقها، والله ما كذب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا كذبا، فقال الزبير: صدقت اضرب عنقها. فسل على سيفه، فلما عرفت الجد منهما أخذت عليهما الموائيق، أن أعطيتكما الكتاب لا تقتلاني، ولا تسبباني، ولا ترداني إلى محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولتخليان سبيلي فأعطياها الموائيق، فاستخرجت الصحيفة من ذؤابتها ودفعتها فخليا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعها في يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقرأها. فأرسل إلى حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟ قال حاطب اعف عني عفا الله عنك، فو الذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ أسلمت ولا كذبتك منذ صدقتك، ولا أبغضتك منذ أحببتك، ولا واليتهم منذ عاديتهم، وقد علمت أن كتابي لا ينفعهم ولا يضرك فاعذرني، جعلني الله فداك فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنة ماله وعشيرته غيري وكنت حليفا ولست من أنفس القوم، وكان حلفائي قد هاجروا كلهم، وكنت كثير المال والضيعة بمكة فخفت المشركين على مالي فكتبت إليهم لأتوسل

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٩٠)، وفي الجهاد (٣٠٠٧) وفي المغازي (٤٢٧٤). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤ / ١٦١) ص ١٩٤١، وأخرجه أبو داود في الجهاد (٢٦٥٠) والترمذي في التفسير (٣٣٠٥) وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٦٠٥)، والبيهقي في السنن (١٤٦ / ٩) وزاد السيوطي نسبتة في الدر (٢٠٢ / ٦) لأحمد والحميدي وعبد بن حميد وأبي عوانة وابن حبان وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل، والحديث عند أحمد (٧٩ / ١) من طريق عبيد الله بن أبي رافع به.

إليهم بها وأخذها عندهم مودة لأدفع عن مالي، وقد علمت أن الله منزل بهم خزيه ونقمته وليس كتابي يغني عنهم شيئاً، فعرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قد صدق فيما قال، فأُنزل الله- تعالى- عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبي بلتعة، فقال- تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِمَنُفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [المتحنة : ١]..^(١).

٢- {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)}

[المتحنة : ٧]

عن ابن شهاب:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب: وهو فيمن أنزل الله فيه: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}^(٢).

وقال مقاتل بن حيان : "إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان، صخر بن حرب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه"^(٣).

قال ابن كثير:" وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر ؛ فإن رسول تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف. وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم"^(٤).

وفي الصحيح عن ابن عباس، قال: "كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: «نعم» قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجها، قال: «نعم» قال: ومعاقبة، تجعله كاتباً بين يديك، قال: «نعم» قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئاً إلا قال: «نعم»"^(٥).

وهذا الحديث استشكل، فقول أبي سفيان في الحديث : « عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجها»، منقوض بأن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، والنبي صلى الله

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٧/٤-٢٩٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٣)ص:٣٣٤٩/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٨٩/٨.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.

(٥) صحيح مسلم(٢٥٠١)ص:١٩٤٥/٤.

عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. انظر كلام الإمام النووي في : "المنهاج"^(١) وإجابته على ذلك.

وقال مقاتل بن سليمان-في سبب نزول الآية:- "وذلك أن الله- تعالى- حين أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة والبراءة منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والذين معه في البراءة من قومهم، فلما أخبر ذلك عادوا أقرباءهم وأرحامهم وأظهروا لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين في ذلك، فأنزل الله- تعالى:- {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [المتحنة : ٧]، فلما أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج النبي- صلى الله عليه وسلم- أم حبيبة بنت أبي سفيان فهذه «المودة» التي ذكر الله- تعالى"^(٢).

قال الثعلبي: " فلما نزلت هذه الآية: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ] [المتحنة : ٦] عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة فلم سبحانه شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله سبحانه: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"^(٣).

٣- {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)} [المتحنة : ٨]

عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه، قال: قدمت قتيلة ابنة عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حسل، على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا، ضباب، وقرظ^(٤)، وسمن وهي مشركة، فأبى أسماء أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} ... إلى آخر الآية، فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها"^(٥).

٤- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا

(١) المنهاج: (٦٣/١٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤-٣٠٢. وانظر: أسباب النزول للواحي: ٤٣.

(٣) الكشف والبيان: ٢٩٣/٩.

(٤) قال السندي: وقرظ، بفتحين: ورق يديع به، قيل: ولعله وأقط.

(٥) المسند(١٦١١١):ص٣٧/٢٦، وأخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٦٤):ص٣٣٤٩/١٠.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ
وَلَيْسَ سَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ نَهَبْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
{(١١)} [الممتحنة : ١٠ - ١١]

سبب نزول الآيتين: [١٠، ١١]:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: "أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نسوة
مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة : ١٠]، حتى بلغ: ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة : ١٠] ، فطلق عمر
يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن
أمية"^(١).

عن يزيد بن أبي حبيب: "أنه بلغه أنه نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة : ١٠]، الآية. في امرأة أبي حسان بن الدحاحة، وهي أميمة بنت بسر امرأة
من بني عمرو بن عوف، وأن سهل بن حنيف تزوجها حين فرت إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فولدت له عبد الله بن سهل"^(٢).

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل، قال: "كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل
مكة عهد شرط في أن يرد النساء، فجاءت امرأة تسمى سعيدة وكانت تحت صيفي بن الراهب، وهو
مشارك من أهل مكة، وطلبوا ردها فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ [الممتحنة : ١٠]
"^(٣).

قال ابن زيد: "لما هادن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين «كان في الشرط الذي
شرط، أن ترد إلينا من أتاك منا، ونرد إليك من أتانا منكم»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ
أَتَانَا مِنْكُمْ فَتَرَدُّهُ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ أَتَاكُمْ مِنَّا فَاخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ»، وقال: فأبى الله

(١) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣، وانظر: صحيح البخاري برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٥): ص ٣٣٤٩/١٠ - ٣٣٥٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٨٦٦): ص ٣٣٥٠/١٠.

ذلك للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النساء، ولم يأبه للرجال، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمَحِّوْهُنَّ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَأَتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ أزواجهن^(١).

عن معمر، عن الزهري: "نزلت عليه، وهو في أسفل الحديبية وكان النبي صلى الله عليه وسلم، صالحهم على أن من أتاه منهم فإنه يرده إليهم، فلما جاء النساء نزلت عليه هذه الآية، وأمره أن يرد الصداق على أزواجهن، وحكم على المشركين بمثل هذا إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها، قال الله: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [المتحنة: ١٠]، قال: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة، قال: فأما المؤمنون فأقروا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرؤا، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ [المتحنة: ١١]، فأمر الله المؤمنين أن يؤدوا الصداق إذا ذهب امرأة من المسلمين، ولها زوج من المسلمين، أن يؤدي إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما يريدون أن يردوا ذلك إلى المشركين^(٢).

عن الزهري، قال: "أما المؤمنون فأقروا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرؤا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ... الآية^(٣).

عن الحسن في قوله: "﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١١]، قال: نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا^(٤).

٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾ [المتحنة: ١٣]

قال مقاتل: "يعني: اليهود، نزلت في عبد الله بن أبي، ومالك بن دخشم، كانت اليهود زينوا لهم ترك الإسلام فكان أناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود عن أخبار المسلمين ليتواصلوا بذلك فيصيبيون من ثمارهم وطعامهم، فنهى الله- عز وجل- عن ذلك^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢٣.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٠٤) ص: ٣/٣٠٤، والطبري: ٣٢٩/٢٣، بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٦٩) ص: ١٠/٣٣٥٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٧٥/٤، والواحد في «الأسباب»:

٤٢٦، بدون إسناد ولا عزو لأحد، فهو لا شيء، وليس له أصل.

قال الثعلبي: " وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويتواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك"^(١).

(١) انظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٩.

سورة «الصف»

١- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ (٤)﴾ [الصف: ١ - ٤]

اختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآيات: [١-٤]، على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في قوم قالوا : لو عملنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليه ، فلما نزل فرض الجهاد تناقلوا عنه، قاله ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢).

عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يبق أحد منا، " فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"^(٣). [صحيح]

قال ابن عباس: "ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لو ددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره، فقال الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ)"^(٤).

قال ابن عباس: "كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله؟ لعملناه، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا﴾ ... إلى قوله: ﴿بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ﴾ فدلهم على أحب الأعمال إليه"^(٥).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٢) انظر: الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٢٣٧٨٨):ص٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦) ، والدارمي (٢٣٩٠) ، والترمذي (٣٣٠٩) ، وأبو يعلى (٧٤٩٩) ، وابن حبان (٤٥٩٤) ، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج١٣" (٤٠٦) ، والحاكم ٦٩/٢ و٢٢٨-٢٢٩ و٤٨٧-٤٨٦، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢ من طرق عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام. ووقع في مطبوع الطبراني مكان "يحيى بن أبي كثير": يحيى بن أكتم، وهو تحريف.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

عن مجاهد، في قول الله: {لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} ... إلى قوله: {مَرصُوصٌ}، فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيداً^(١).

عن أبي صالح، قال: "قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْحِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} فكرهوا، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}"^(٢).

قال مقاتل بن حيان: "قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فدلهم على أحب الأعمال إليه فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا} [الصف: ٤]، فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}؟ وقال: أحبكم إلي من قاتل في سبيلي"^(٣).

قال الفراء: "كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناها، ولو ذهبنا فيه أنفسنا وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد فتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى شج وكسرت رباعيته، فقال: {لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} لذلك"^(٤).

الثاني: أنها نزلت في قوم كان يقول الرجال منهم: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب وصبرت، ولم يصبر، وهذا مروى عن عكرمة، وقتادة^(٥).

عن قتادة، في قوله تعالى: {لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢] قال: "بلغني أنها نزلت في الجهاد، قال: كان رجل يقول: «قاتلت وفعلت، ولم يكن يفعل، فوعظهم الله في ذلك أشد الموعظة"^(٦).

عن قتادة، قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ"، يؤذنه ويعلمهم كما تسمعون {كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ}، وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه، فوعظهم الله في ذلك

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٣) نقلا عن تفسير ابن كثير: ١٠٦/٨.

(٤) معاني القرآن: ١٥٣/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣، و تفسير عبدالرزاق (٣٢٠٩):ص٣/٣٠٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣، وعبدالرزاق في "التفسير" (٣٢٠٩):ص٣/٣٠٧.

موعظة بليغة، فقال: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} .. إلى قوله: {كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} (١).

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، قال الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٢).

الثالث : أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا. وهذا قول ابن زيد (٣).

عن ابن وهب: "قال ابن زيد، في قول الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}، يقولون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، فأخبرهم أنه {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٤).

قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصرنا في العمل بعد ما عرفوا. وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمّلوا بقولهم: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أمّلوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف" (٥).

قال الماوردي: "وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال ، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام دون إسقاطه" (٦).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣-٣٥٦.

(٦) النكت والعيون: ٥٢٧/٥.

سورة «الجمعة»

١- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)} [الجمعة : ٩]

عن أبي مالك، قال: "كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}"^(١).

٢- {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)} [الجمعة : ١١]

عن جابر بن عبد الله، قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة، فمرت عير تحمل الطعام، قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلاً فنزلت آية الجمعة"^(٢).

وفي رواية عن جابر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً قال: فنزلت هذه الآية في الجمعة {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٣).

عن أبي مالك، قال: "قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"^(٤).

عن السدي، عن قرّة: "{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}"، قال: جاء دحية الكلبى بتجارة والنبي صلى الله عليه وسلم قائم في الصلاة يوم الجمعة، فتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا إليه، فنزلت: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"، حتى ختم السورة"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣-٣٨٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

سورة «المنافقون»

١- {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)} [المنافقون : ١]

عن زيد بن أرقم، قال: "كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي، يقول: لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعرز منها الأذل، فذكرت
ذلك لعمي أو لعمر، فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} [المنافقون: ١] فبعث
إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد»^(١).

٢- {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)} [المنافقون : ٤]

قال مقاتل في بيان سبب نزولها: "يعني عبد الله بن أبي، وكان رجلا جسيما صبيحا ذلق
اللسان"^(٢).

٣- {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
(٦)} [المنافقون : ٦]

عن ابن عباس قوله: "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ"، قال:
نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}

(١) صحيح البخاري (٤٩٠٠): ص ١٥٢/٦، أخرجه مسلم في أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم ٢٧٧٢
(ينفضوا) ينفقوا عنه. (الأعرز) الأكثر عزة ومنعة وعنوا به أنفسهم. (الأذل) الأقل عزة ومنعة وعنوا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصحابه. (لعمي) قيل هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لأنه كان زوج أمه وعمه الحقيقي
ثابت بن قيس رضي الله عنه. (ما أردت إلى أن كذبك) ما حملك على قولك حتى جرى لك ما جرى. (مقتك)
أبغضك.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤ / ٣٣٧. وقد ورد ذلك في كتب التفسير، وصحيح البخاري، وأسباب النزول
للواحد: ٢٤٤ ولباب النقول للسيوطي: ٢١٩.

[التوبة: ٨] فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زيادة على سبعين مرّة»، فأُنزل اللهُ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} (١).

(١) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٣.

سورة «التغابن»

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [التغابن : ١٤]

قال ابن عباس: " هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلما أتوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جل ثناؤه: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ} .. الآية" (١).

قال إسماعيل بن أبي خالد: "كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}" (٢).

عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة، إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورقفوه، فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرق ويقيم، فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة" (٣).

قال مقاتل: "نزلت في الأشجع، {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}، يعني: إذا أمروك بالإثم، وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة قال له أهله، وولده ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وولدك ومالك، نضيع بعدك، ونصير عيالا بالمدينة لا معاش لنا فيثبطونه، فمنهم من يقيم، ومنهم من يهاجر ولا يطيع أهله، فيقول: تثبطونا عن الهجرة، لئن جمعنا الله وإياكم لنعاقبنكم، ولا نصلكم، ولا تصيبون منا خيرا، يقول الله: فاحذروهم أن تطيعوهم في ترك الهجرة" (٤).

(١) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٤.

سورة «الطلاق»

١- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّفُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِقَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١]

قال السدي: "نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، ويمسكها حتى تطهر، ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها، فإنها العدة التي أمر الله بها"^(١).

عن أنس قال : "طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأنت أهلها، فأنزل الله، عز وجل : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّفُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة"^(٢).

وذكره ابن جرير الطبري عن قتادة مرسلًا^(٣)، وقد ورد من غير وجه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها.

عن ابن شهاب، أخبرني سالم : "أن عبد الله بن عمر أخبره : أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتخيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : "ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله، عز وجل"^(٤).

٢- {فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)}

(١) أسباب النزول للواحي: ٤٥٦، بدون سند. والحديث أخرجه البخاري في الطلاق (٥٣٣٢) موصولاً وتعليقاً (٥٢٦٤)، وأخرجه مسلم في الطلاق (١ م / ١٤٧١) ص ١٠٩٣، وأبو داود في الطلاق (٢١٨٠) من طريق الليث به، وأخرجه ابن ماجه في الطلاق (٢٠١٩) من طريق عبيد الله عن نافع به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٣٢/٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٣، وانظر: أسباب النزول للواحي: ٤٥٦.

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٩٠٨)، ورواه مسلم برقم (١٤٧١)، ولفظه : "فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء".، وانظر: المسند (٢٦/٢، ٤٣، ٥١، ٥٤، ٥٨) وسنن أبي داود برقم (٢١٧٩) وسنن النسائي (١٣٨/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٢٣).

وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) {الطلاق : ٢-٣}

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(٣)} {الطلاق : ٢ - ٣}، في رجل من أشجع، كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له: «اتق الله واصبر» فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما أعطاني شيئا وقال لي: «اتق الله واصبر» فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم له كان العدو أصابوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلها» فنزلت: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(٣)} {الطلاق : ٢ - ٣} (١).

٣- {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)} {الطلاق : ٤}

قال مقاتل: " قال رجل للنبي- صلى الله عليه وسلم- حين نزلت: {وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة : ٢٢٨]، فما عدة المرأة التي لا تحيض؟ وقال خلاد الأنصاري: ما عدة من لم تحض من صغرى؟ وما عدة الحبلى؟ فأنزل الله- عز وجل- في اللاتي قعدن عن المحيض: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ} [الطلاق : ٤] (٢).

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: " لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار، ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنَّ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٤] (٣).

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٣٨٢٠):ص٥٣٤/٢، وصححه وتعقبه الذهبي: بل منكر وعباد رافضي جبل وعبيد متروك قاله الأزدي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٥/٤.

(٣) أخرجه الحاكم في "المستدرک" :ص٥٣٤/٢، وصححه ووافقه الذهبي، قلت: إسناده منقطع: عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب [تهذيب التهذيب ١٢ / ١٨١] والحديث أخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٤١٤)، وأخرجه

سورة «التحريم»

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فُرِضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةٌ أَيَّمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ [التحريم : ١ - ٤]

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها : ما روى عروة عن عائشة قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء، ويحب العسل، وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنون منهن، فدخل على حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقال لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة، قلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنون منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافير^(١)، فإنه سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتمد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العرطف^(٢)، وسأقول ذلك: وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، قلت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو، لقد كدت أن أبادره بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقا منك، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: «لا» قلت: فما هذه الريح؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل» قلت: جرست نحله

(١)المغافير: شيء حلو يشبه العسل. انظر: "اللسان" (غفر) ٦ / ٣٢٧٦. / والمغافير: صمغ يسيل من شجر العرطف حلو غير أن رائحته ليست بطيبة. "اللسان" ٢ / ٧٤٩ (عرطف).

(٢)جرست النحلة أي أكل ورعت، وهو لحسها إياه ثم تعسله، ولا يقال جرس بمعنى رعى إلا للنحل.

والعرطف (بضم العين والفاء وتسكين الراء): شجر خبيث الريح، وهو من أخبث المراعي، وقيل: هو شجر الطلح، وله صمغ كريحه الرائحة، فهذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه وهو المغافير. "اللسان" ١ / ٤٤٠ (جرس) ٢ / ٧٤٩ (عرطف).

قال الجوهري: "الجرس والجرس: الصوت الخفي. ويقال: سمعت جرس الطير، إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله. وفي الحديث: " فيسمعون جرس طير الجنة ". قال الاصمعي: كنت في مجلس شعبة قال: " فيسمعون جرس طير الجنة " بالشين، فقلت: " جرس "، فنظر إلى فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا".

[الصالح"جرس"ص:٩١١-٩١٢]

العرفط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي به» قالت: تقول سودة: سبحان الله، لقد حرمانه، قالت: قلت لها: اسكتي" (١).

وعن ابن جريج، قال: زعم عطاء، أنه سمع عبيد بن عمير، يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة: أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغاير، أكلت مغاير، فدخل على إحدهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له» فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحریم: ١] - إلى - ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحریم: ٤]، لعائشة وحفصة: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ [التحریم: ٣] لقوله: «بل شربت عسلا» (٢).

عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: "نزلت هذه الآية في شراب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾" (٣).

عن ابن أبي مليكة، قال: "نزلت في شراب" (٤).

قال الحافظ: "وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن شرب العسل كان عند سودة، وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل" (٥).

قال الحافظ: ووقع في تفسير السدّي أن شرب العسل كان عند أم سلمة، أخرجه الطبري وغيره، وهو مرجوح لإرساله وشدوذه" (١).

(١) صحيح. أخرجه البخاري ٦٩٧٢ عن عبيد بن إسماعيل بن عن عائشة. وأخرجه مسلم ١٤٧٤ ح ٢١ وأبو داود ٣٧١٥ وأبو يعلى ٤٨٩٦ من طرق عن أبي أسامة به. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٣٢ من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة به.

(٢) صحيح البخاري (٥٢٦٧): ص ٤٤/٧، وأخرجه مسلم في الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق رقم (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٣.

(٥) أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٥٨٢٦): ص ١١٥٢/١١.

الثاني: أنها نزلت في شأن مارية أم إبراهيم خلا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها ، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي -صلى الله عليه وسلم- فحرمها على نفسه أرضاء لحفصة ، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه ، فأخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانت تتظاهران على نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- أي: تتعاونان ، فحرم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً ، وكان جعل على نفسه أن يُحرمهن شهراً ، فأنزل الله هذه الآية ، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه ، قاله عمر بن الخطاب^(٢)، وابن عباس^(٣)، والحسن^(٤)، وقتادة^(٥)، والشعبي^(٦)، ومسروق^(٧)، وزيد بن أسلم^(٨)، والكلبي^(٩)، وهو ناقل السيرة.

عن ابن عباس، قال: "قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية، أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي، قال: "ألا ترضين أن أُحرمها فلا أفرّبها؟" قالت: بلى، فحرمها، وقال: لا تذكري ذلك لأحدٍ"، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ...﴾ الآيات كلها، فبلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كفر يمينه، وأصاب جاريته"^(١٠).

(١) أنيس الساري في تخريج وتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٥٨٢٨): ص ١١٥٢/١١-١١٥٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٣، ٤٧٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

قال ابن عباس: " كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جاريتها، فطلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاريتها، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُؤْتِنِي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "والله لأَرْضِيَنَّكَ فَإِنِّي مُسِرٌّ إِلَيْكَ سِرًّا فَاحْفَظِيهِ"؛ قالت: ما هو؟ قال: "إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ سُرِّيَّتِي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكَ"، كانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرت إليها أن أبشري إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حرم عليه فتاته، فلما أخبرت بسر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظهر الله عزَّ وجلَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} ... إلى قوله: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}"(١).

قال مسروق: "آلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحرّم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين"(٢).

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرماها على نفسه، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١] إلى آخر الآية"(٣).

عن زيد بن أسلم: " أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصاب أمَّ إبراهيم في بيت بعض نسائه؛ قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها عليه حراماً؛ فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟ ، فحلف لها بالله ألا يصيبها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ}، قال زيد: ففعله أنت علي حرام لغو"(٤).

الثالث: ما رواه عكرمة، عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}؟ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم"(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٣-٤٧٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.

(٣) السنن الكبرى للنسائي(٨٨٥٧):ص١٥٧/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٣.

(٥) روه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٦٠/٨.

قال عكرمة: "نزلت في المرأة التي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ، وَيُقَالُ لَهَا أُمُّ شَرِيكَ فَأَبَى النَّبِيُّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنْ يَصِلَهَا لِأَجْلِ امْرَأَتِهِ"^(١).

قال ابن كثير: "هذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل"^(٢).

قال السمعاني: "في الآية قولان معروفان: أظهر القولين: أنها نزلت في تحريم رسول الله على نفسه مارية القبطية. وهو قول عامة المفسرين، عن ابن عباس في رواية: «أن الآية وردت في الواهية نفسها للنبي»^(٣). وهو قول شاذ"^(٤).

(١) الكشف والبيان: ٣٤٤/٩-٣٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٨.

(٣) ونقله عنه أيضا الماوردي في "النكت والعيون": ٣٨.

(٤) تفسير السمعاني: ٤٧٠/٥.

سورة «الملك»

{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣)} [الملك : ١٣]

قال ابن عباس: "نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيخبره جبرائيل ما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم كي لا يسمع إله محمد" (١).

قال مقاتل: " {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ} في النبي- صلى الله عليه وسلم- في القلوب، {أَوْ اجْهَرُوا بِهِ}، يعني: أو تكلموا به علانية يعني به كفار مكة" (٢).

قال الواحدي: " نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم فيخبره الله تعالى فقالوا: فيما بينهم: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ} كيلا يسمع إله محمد.. " (٣).

(١) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٥٩/٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٩١/٤.

(٣) الوجيز: ١١١٧.

سورة «المعارج»

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَع (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)} [المعارج : ١ - ٤]

عن ابن عباس: "سَأَلَ سَائِلٌ" [المعارج: ١]، قال: نزلت في النضر بن الحارث بن كعدة^(١).
عن ابن عباس: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَع} [المعارج : ١]، قال: «النضر بن الحارث بن كعدة»^(٢).

عن ابن عباس: "سَأَلَ سَائِلٌ" [المعارج: ١]، قال: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء^(٣).

عن سعيد بن جبيرة: "سَأَلَ سَائِلٌ" [المعارج: ١]، قال: هو النضر بن الحارث بن كعدة، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء»^(٤).

قال مقاتل: "نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كعدة القرشي من بني عبد الدار بن قصي، وذلك أنه قال: اللهم إن كان ما يقول محمد هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فأمطر علينا حجارة السماء أو انتننا بعذاب أليم. فقتل يوم بدر"^(٥).

(١) مسند البزاز (٥٠٩٨): ص ٢٩٨/١١، وقال: "وهذا الحديث لا نعلم أحدا رواه إلا أبو أسامة".

(٢) السنن الكبرى للنسائي (١١٥٥٦): ص ٣١٢/١٠.

(٣) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) المستدرک (٣٨٥٤): ص ٥٤٥/٢. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٥/٤.

سورة «الجن»

١- {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)} [الجن : ١-٢]

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ٢]، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن: ١]، وإنما أوحى إليه قول الجن" (١).

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣) في الأذان: باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، و(٤٩٢١) في تفسير سورة الجن، وأخرجه مسلم (٤٤٩) في الصلاة: باب الجهر بالقراءة في الصباح، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير: باب ومن سورة الجن، والطبري في " جامع البيان " الطبري: ٦٤٧/٢٣-٦٤٨، والطبراني (١٢٤٤٩) ، والحاكم ٥٠٣/٢، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢٢٥/٢-٢٢٦، والبخاري في "معالم التنزيل" ١٧٣/٤ من طرق عن أبي عوانة به. وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه!

تتبيه: روى البخاري الحديث دون قوله: "ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجن وما رآهم". قال الحافظ في "الفتح" ٦٧٠/٨: أخرجه أبو نعيم في "المستخرج" عن الطبراني، عن معاذ بن المثني، عن مسدد شيخ البخاري فيه، فزاد في أوله: "مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الْجِنِّ وَلَا رَأَاهُمْ، انطلق ... إلخ" وهكذا رواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن أبي عوانة بالسند الذي أخرجه البخاري فكان البخاري حذف هذه اللفظة عمداً، لأن ابن مسعود أثبت أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قرأ على الجن، فكان ذلك مقديماً على نفي ابن عباس. وقال البيهقي في "الدلائل" ٢٢٧/٢: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرههم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود ورأى آثارهم وآثار نيرانهم، والله أعلم، وعبد الله بن مسعود حفظ القصتين معاً.

ومن فوائد الحديث: إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صاروا صنفين باعتبار الكفر والإيمان،

٢- {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)} [الجن : ١٨]

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة: "كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد"^(١).

وقال قتادة: "كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده"^(٢).

الثاني: قال سعيد بن جبير: "قالت الجنّ لنبىّ الله: كيف لنا نأتى المسجد، ونحن ناعون عنك، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناعون عنك؟ فنزلت: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}"^(٣).

عن الأعمش قال: "قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، يقول: صلوا لا تخالطوا الناس"^(٤).

٣- {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)} [الجن : ٢٠]

قال مقاتل: "وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى- صلى الله عليه وسلم- بمكة: إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا الأمر فنحن تجيرك، فأنزل الله- تعالى- {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}"^(٥).

٤- {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِنَّا بِلَاغَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولَاتِهِ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣)} [الجن : ٢٢-٢٣]

سبب نزول الآيتين: [٢٢-٢٣]

فلا يقال لمن آمن منهم، إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في جماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر أن الحدث الحاد من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضى لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون. انظر "الفتح" ٦٧٥/٨.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٠٠٧): ص ٣٣٧٨/١٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: "زعم حضرمي أنه ذكر له أن جنيا من الجن من أشرفهم إذا تَبَعَ، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾"^(١).

(١) أخرجه الطبري: ٦٦٩/٢٣.

سورة «المدثر»

١- {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ (٤)} [المدثر: ١ - ٤]

سبب نزول الآيات: [٤-١]

عن الأوزاعي، قال: سمعت يحيى، يقول: "سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ (٤)} [المدثر: ٤-١]"^(١).

٢- {دُرِّي وَمَنْ خَلَفْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرَّهُنَّ صَعُودًا (١٧)} [المدثر: ١١-١٧]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري: ٦٧٦ / ٨ - ح: ٤٩٢٢) ومسلم (١ / ١٤٤ - ح: ١٦١ "٢٥٧") والإمام أحمد (الفتح الرباني: ٤٨ / ١٨ - ح: ١١٣) وابن جرير (٩٠/٢٩) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٣ / ٤٥١ - ح: ١٩٤٨) من طريق يحيى به، ويشهد له:

* ما أخرجه الحاكم (المستدرک: ٢٥١/٢) وأبو بكر الأجري (الشریعة: ٤٤٠) وأبو نعيم في "الدلائل" (٦٩/١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة نحوه، وإسناده صحيح.

قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: " هذا سحر يؤثر بآثره من غيره فنزلت: {ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ
وَحِيدًا} [المدثر: ١١]"^(١).

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٣٨٧٢):ص٥٥٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي على شرط البخاري وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢٨٢ /٦) للبيهقي في الدلائل.

سورة «النازعات»

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)} [النازعات : ٤٢-٤٦]

قال ابن عطية: "نزلت بسبب أن قريشا كانت تلح في البعث عن وقت الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بها ويتوعدهم بها ويكثر من ذلك"^(١).

(١) المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.

سورة «عبس»

١- {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١-٢] الآيات

عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى فقالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى ما أقول بأسا»، فيقول: «لا». ففي هذا أنزلت {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]"^(١).

٢- {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]

عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: «سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني سائلتك عن حديث أخبرني أنت به، قال: "إن كان عندي منه علم" قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: "حفاة عراة"، ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله كيف يحشر النساء؟ قال: "كذلك حفاة عراة"، قالت: واسوأته من يوم القيامة، قال: "وعن ذلك تسأليني؟

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٨٩٦): ص ٥٥٨/٢، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة". وأخرجه الطبري: (٢١٧/٢٤)، والترمذي (٤٣٢ / ٥ - ح: ٣٣٣١) وأبو يعلى (تفسير ابن كثير: ٣١٩/٨) وابن مردويه (فتح القدير: ٣٨٦/٥) من طريق يحيى بن هشام عن أبيه عن عائشة به، وإسناده صحيح. وأخرجه الإمام مالك (الموطأ برواية يحيى بن يحيى: ١٣٦ - ح: ٤٧٦) عن عروة مرسلًا به. وقال مقاتل في سبب نزول الآية: "نزلت في عبد الله بن أبي سرح الأعمى، وأمه أم مكتوم، اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبدود بن بغيض بن عامر بن لؤي بن غالب. وأما أم مكتوم: اسمها عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وذلك أنه ذات يوم كان جالسا في المسجد الحرام وحده ليس معه ثان، وكان رجلا مكفوف البصر، إذ نزل ملكان من السماء ليصليا في المسجد الحرام، فقالا: من هذا الأعمى الذي لا يبصر في الدنيا ولا في الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجب من أبي طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإذا معه أمية بن خلف، والعباس بن عبد المطلب وهما قيام بين يديه يعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يا محمد، قد جئتك تائبا فهل لي من توبة؟ فأعرض النبي - صلى الله عليه وسلم - وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأميه بن خلف، «فكرر عبد الله كلامه، فأعرض النبي - صلى الله عليه وسلم - بوجهه وكلمه، فاستحى عبد الله وظن أنه ليس له توبة فرجع إلى منزله، فأنزل الله - عز وجل - فيه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]". [تفسير مقاتل بن سليمان:

إنه قد نزلت علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أم لا "، قالت: أي آية هي يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس : ٣٧]"^(١).

وفي رواية عن عائذ بن شريح الكندي قال: سمعت أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي -
صلى الله عليه وسلم - أنحشر عراة؟ قال: "نعم"، قالت: واسوأته، فأنزل الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ
مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس : ٣٧]"^(٢).

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤، من طريق عائذ به، وإسناده ضعيف، بسبب عائذ (ميزان الاعتدال: ٣٦٣/٢ - رقم:

٤١٠٠)، قال ابن حبان: كان قليل الحديث ممن يخطئ على قلته ... [مجروحين ١٩٣ / ٢].

وفي إسناده إبراهيم بن هراسة قال عنه ابن حبان: كان أبو عبيد يطلق عليه الكذب [مجروحين ١ / ١١١] .

(٢) أسباب النزول للواحد: ٤٧٢.

سورة «التكوير»

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]

سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: "لما نزلت: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨]، قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، وفي رواية: وإن شئنا لم نستقم- فنزلت: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]"^(١). [مرسل]

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٦٤، وعزاه في الدر (٦/٣٢٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

وسليمان بن موسى: قال الحافظ في التقريب: صدوق في حديثه بعض لين وخط قبل موته.

وسعيد بن عبد العزيز: قال الحافظ في التقريب: ثقة ولكنه اختلط في آخر عمره.

سورة «المطففين»

{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)} [المطففين: ١ - ٤]

عن ابن عباس، قال: "لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله عز وجل: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١]، فحسنوا الكيل بعد ذلك"^(١). [حسن]
قال: القرطبي: "كان بالمدينة تجار يطفون، وكانت بياعتهم كشبه القمار: «المنابذة، والملامسة والمخاطرة»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق، وقرأها"^(٢). [مرسل]

وقال السدي: "قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له «أبو جهينة»، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. فأنزل الله تعالى هذه الآية"^(٣). [مرسل]
قال الفراء: "نزلت أول قدوم النبي صلى الله عليه إلى المدينة، فكان أهلها إذا ابتاعوا كيلا أو وزنا استوفوا وأفرطوا. وإذا باعوا كيلا أو وزنا نقصوا فنزلت «ويل للمطففين» فانتهاوا، فهم أوفي الناس كيلا إلى يومهم هذا"^(٤).

ونقل الثعلبي عن القرطبي: "كان بالمدينة تجار يطفون وكانت بياعتهم كشبه القمار والمنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله سبحانه هذه الآية. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق وقرأها عليهم"^(٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٥٩٠): ص ٣٢٧/١٠، وابن ماجه (٧٤٨/٢ - ح: ٢٢٢٣) وابن جرير (٥٨/٣٠) من طريق الحسين بن واقد به، صححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري: ٨ / ٦٩٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣ / ٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣٧١ / ١١)، وأخرجه الطبري في "جامع البيان": ٢٤ / ٢٧٧، ووقد صححه السيوطي في "الدر المنثور": ٤٤١/٨، وزاد نسبه إلى ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه البوصيري في زوائد ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ٧٤٨/٢)، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٢٦٦.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤٧٥. بدون إسناد، فهو لا شيء.

(٣) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠ / ٥٠!، والواحدي في «أسباب النزول»: ٤٧٥، بدون إسناد عن السدي، فهو لا شيء. وقال الحافظ في «تخريجه» ٤ / ٧١٨: لم أجده. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤ / ٤١٣.

(٤) معاني القرآن: ٢٤٥/٣.

(٥) الكشف والبيان: ١٥٠/١٠.

وقال مقاتل: " وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين خرج إلى المدينة، وكان بسوق الجاهلية لهم كيلين وميزانين معلومة لا يعاب عليهم فيها فكان الرجل إذا اشترى اشترى بالكيل الزائد، وإذا باعه باعه بالناقص، وكانوا يريحون بين الكيلين وبين الميزانين، فلما قدم النبي- صلى الله عليه وسلم - المدينة قال لهم: ويل لكم مما تصنعون. فأنزل الله- تعالى- التصديق على لسانه، فقال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١]"^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٤-٦٢٢.

سورة «الطارق»

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)} [الطارق : ٣-١]

سبب نزول الآيات: [٣-١]:

قال الثعلبي: "نزلت في أبي طالب وذلك لأنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا بخط نجم فامتلاً ماء ثم نارا ففرع أبو طالب وقال: أي شيء هذا، فقال رسول الله -عليه السلام- «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى»^(١).

قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ} [الطارق : ١]، أي: "أقسم بالسماء والنجم الذي يطرق ليلاً"^(٢).

قال ابن كثير: "يقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة"^(٣).

قال الفراء: "الطارق: النجم، لأنه يطلع بالليل، وما أتاك ليلاً فهو طارق"^(٤).

قال الزجاج: "الطارق: النجم، والنجم يعنى به النجوم، وإنما قيل للنجم: طارق، لأنه طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلاً فهو طارق، لأن الليل يسكن فيه، ومن هذا قيل: أطرق فلان إذا أمسك عن الكلام وسكن"^(٥).

حكى أبو الليث عن ابن عباس: "قال: الطارق: الكواكب التي تطرق في الليل، وتخفى في النهار"^(٦).

قال ابن كثير: "قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً؛ لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار. ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح: نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً^(٧)، أي: يأتيهم فجأة بالليل. وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء: «إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(٨)^(٩).

(١) حكاة الثعلبي في لكشف والبيان: ١٧٧/١٠، والواحد في أسباب النزول: ٤٥٣. والخبر بدون إسناد.

(٢) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٨.

(٤) معاني القرآن: ٢٥٤/٣.

(٥) معاني القرآن: ٣١١/٥.

(٦) بحر العلوم: ٥٦٨/٣.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٤٣) من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٨) رواه الإمام أحمد في المسند (٤١٩/٣) من حديث عبد الرحمن بن خنيس، رضي الله عنه.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٥-٣٧٤/٨.

وحكي أبو الليث عن سعيد بن جبير، قال: «سألت ابن عباس- رضي الله عنهم- عن قوله:
: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}، فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)} [الطارق : ٢ - ٣]،
وسكت. فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي». يعني: تفسير الآية ما ذكر في
هذه الآية، وهو قوله: والنجم الثاقب. يعني: هو الطارق"^(١).

(١) نقلا عن: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣.

سورة «الفجر»

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٥ - ١٦]

قال مقاتل: "نزلت الآية في أمية بن خلف الجمحي، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويذكره ذلك، فقال له أمية بن خلف: ويحك أليس الله يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، قال عبد الله بن نفيل: نعم. قال: فماله أغناني وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله. قال أمية: بل أغناني الله لكرامتي عليه، وأفقرك لهوانك عليه. قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لخليق أن يكون الله فعل ذلك، فأنزل الله- تعالى-: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٥ - ١٦]"^(١).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤-٦٩٠.

سورة «الليل»

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)}
[الليل : ١-٤]، الآيات.

في سبب نزول السورة، قولان:

أحدهما: عن ابن مسعود: "أن أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف، ببردة، وعشر أواق، فأعتقه، لله فأنزل الله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، سعي أبي بكر، وأمية وأبي إلى قوله: {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، قال: لا إله إلا الله إلى قوله: {فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، قال: النار"^(١).

عن قتادة، في قوله "وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى"، قال: نزلت في أبي بكر، أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا، ستة أو سبعة، منهم بلال، وعامر بن فهيرة"^(٢).

وقال عطاء عن ابن عباس: "إن بلالا لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها، وكان عبدا لعبد الله بن جدعان، فشكا إليه المشركون ما فعل، فوهبه لهم، ومائة من الإبل ينحرونها لألهتهم، فأخذوه، وجعلوا يعذبونه في الرمضاء، وهو يقول: أحد أحد. فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ينحبك أحد أحد. ثم أخبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبا بكر : أن بلالا يعذب في الله، فحمل أبو بكر رطلا من ذهب، فابتاعه به. فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} [الليل : ١٩ - ٢١]"^(٣).

الثاني: عن عكرمة عن ابن عباس: "أن رجلا كان له نخل ومنها نخلة فرعها إلى دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ الثمر من نخلته فتسقط الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فنزل من نخلته فنزع الثمرة من يديه، وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل إصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أذهب» ولقي النبي صلى الله عليه وسلم

(١) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٣ عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع بين أبي إسحاق السبيعي وابن مسعود، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩)ص:٣٤٤٠/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤-٤٨٠.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٤٨٠. [بدون إسناد]

صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة، فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيها أتعطيني بها ما عطيته بها نخلة في الجنة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له: أخبرك أن محمدا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت، ولكني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له: أتراك إذا بعتهما؟ قال: لا إلا أن أعطى بها شيئا، ولا أظني أعطاه قال: وما مناك بها؟ قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال: أشهد لي إن كنت صادقا، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا أنني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم تفترق، قال له: قد أقالكم الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال: تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعد له أربعين نخلة على ساق، فتفرقا، فذهب الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك»، قال عكرمة: قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى} (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) [الليل : ٥ - ١٠]، إلى آخر السورة^(١). [ضعيف]

قلت: الجمهور على أن السورة نزلت في أبي بكر-رضي الله عنه-، ثم إن السورة مكية، وذلك أنصاري؟!- والله أعلم بالصواب.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص١٠/٣٤٣٩-٣٤٤٠ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٧٧، وفي «الوسيط» ٤/ ٥٠٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٢/٨-٢٣٣. سنده ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير٨/٤٢٠: " وهو حديث غريب جداً "

وإسناده واه لأجل حفص بن عمر بن ميمون، ضعفه الحافظ في «التقريب».

قال الحافظ في التقريب: ضعيف، [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: " يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

سورة «الضحى»

١- {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]

عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن سفيان -رضي الله عنه-، قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين - أو ثلاثا -»، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢)} [الضحى : ١ - ٢] (١). [صحيح]

عن هشام بن عروة، عن أبيه: "عن خديجة رضي الله عنها، أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا فقلت: مما رأيت من جزعه لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: {ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٣] (٢). [مرسل]

عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه -رضي الله عنهما-، قال: «أري رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفتح على أمته من بعده، فسر بذلك» فأنزل الله عز وجل: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢)} [الضحى : ١ - ٢]، إلى قوله {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥] قال: «فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر منها ما ينبغي له» (٣).

لقد اتفق المفسرون: على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة، ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال:

(١) صحيح. أخرجه البخاري (٤٩٥٠):ص٦/١٧٢، والبغوي في «التفسير» (٢٣٤٩)، عن أحمد بن يونس به. من حديث جندي. وأخرجه البخاري (١١٢٥) و (١١٢٤) و (٤٩٨٣)، والترمذي (٣٣٤٥)، والطبري (٣٧٥٠٤)، وابن حبان (٦٥٦٦)، والطبراني (١٧٠٩)، والبيهقي: (١٤ / ٣)، وفي «الدلائل»: (٥٨ / ٧)، والواحدي في «الوسيط»: (٤ / ٥٠٧)، وفي «أسباب النزول»: (٨٥٨)، من طرق عن سفيان عن الأسود بن قيس به. وأخرجه البخاري (٤٩٥١)، ومسلم (١٧٩٧) ح ١١٥-، والطبري (٣٧٥٠٥)، والطبراني (١٧١٠) و (١٧١١)، وأحمد (٤ / ٣١٢)، والبيهقي (٣ / ١٤)، من طريقين عن الأسود بن قيس به. وفي الباب أحاديث، وهذا الحديث أصحها إسنادا وأحسنها متنا.

(٢) المستدرک على الصحيحين للحاكم (٤٢١٤):٢/٦٦٧، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لإرسال فيه» قال الذهبي: «صحيح مرسل».

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٩٤٣):ص٢/٥٧٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي: «تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف».

وعزاه في الدر (٦ / ٣٦١) للطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.

أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الرّوح، فقال: سأخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي^(١).

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس: "أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن الرّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية^(٢).
الثاني: لقلة النظافة في بعض أصحابه.

حكى الواحدي عن مجاهد: "أن الملك أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه، فقال: لعلي أبطأت، قال: «قد فعلت»، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوّكون، ولا تقصّون أظفاركم، ولا تُنْفُون براجمكم^(٣)، فنزلت الآية^(٤).

(١) تقدم في سورة الكهف، وأنكر الحافظ في «الفتح» ٧١٠ / ٨ كون نزول الضحى، كان بسبب سؤالهم عن ذي القرنين، وقال ما معناه: الزمن بين نزول السورة، وسؤالهم إياه غير متحد، ويجوز أن يكون قريباً.

(٢) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ١٤٣ / ٣ نقلاً عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١ / ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلاً، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ٢٥٥ / ١ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢ / ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢ / ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسال هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالُوا: أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن» ١٤٦٠ و ١٤٦١.

(٣) قال ابن الأثيري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في ظهور الأصابع، تبدو إذا جمعت، وتغمض إذا بسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجتين راجبة..

(٤) ضعيف جداً. ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٦٠٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٩/٣، عن مجاهد مرسلًا وبدون إسناد!

قال مجاهد: "لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلبي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾"^(١).

قال الضحاك: "احتبس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتد ذلك على نبي الله، فأناه جبرائيل، فقال: اشتد عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، يقول: بقول ربك"^(٢).

قال السدي: "احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حتى حزن واشتد عليه، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد ودعك أو قلاك، فنزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾"^(٣)، قال: يا جبريل، احتبست عني حتى ساء ظني، فقال جبريل: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾"^(٤).

الثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم^(٥).

عن حفص بن سعيد القرشي، قال: حدثتني أمي، عن أمها خولة- وكانت خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "أن جروا دخل البيت، فدخل تحت السرير، فمات. فمكث نبي الله- صلى الله

(١) مرسل، أخرجه الطبري: ٢٢٣/١٨، وعزاه في الدر (٤/ ٢٧٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٣/١٨.

(٣) [الضحى : ٣].

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣١٧١): ص ٢٤١٤/٧.

(٥) ضعيف جدا، وحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، هو مرسل، وله علة ثانية، وهي كونه من رواية ابنه عبد الرحمن، وهو واه.

وصح هذا السياق، لكن ليس فيه نزول سورة الضحى عقب ذلك. فقد أخرج مسلم ٢١٠٥ وأبو داود ٤١٥٧ والنسائي ١٨٦ / ٧ وأحمد ٣٣٠ / ٦ وأبو يعلى ٧٠٩٣ و ٧١١٢ من طريق الزهري عن ابن السباق عن ابن عباس عن ميمونة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوما واجما فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيبتك منذ اليوم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقتني. أم والله ما أخلفني»، فظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذاك على ذلك، ثم وقع في نفسه جر وقلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني في البارحة قال: «أجل، ولكننا لا ندخل بيتا فيه كلب، ولا صورة». وأخرجه مسلم ٢١٠٤ وأحمد ١٤٢ / ٦ - ١٤٣ وأبو يعلى ٤٥٠٨ من حديث عائشة بنحوه.

عليه وسلم- أيما لا ينزل عليه الوحي. فقال: يا خولة! ما حدث في بيتي؟ جبريل- عليه السلام- لا يأتيني! قالت خولة: فقلت: لو هيات البيت، وكنته. فأهويت بالمكنسة تحت السرير. فإذا شيء ثقيل، فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار. فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه. وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة. فقال يا خولة، دثرتني، فأنزل الله تعالى: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]"^(١).

وفي مقدار احتباس الوحي عنه-عليه الصلاة والسلام-، خمسة أقوال^(٢):

أحدها: خمسة عشر يوماً. رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٣)، وبه قال الفراء^(٤).

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس: "أن قريشا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطل عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية"^(٥).

(١) رواه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٨٢، وعزاه في الدر (٦ / ٣٦١) لابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه، وذكره الحافظ في الإصابة (٤ / ٢٩٤). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٣٨) وقال: أم حفص لم أعرفها.

(٢) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٣) انظر: أسباب النزول: ٧٦/٣، والكشف والبيان: ١٠/٢٢٢.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣/٢٧٣.

(٥) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبى، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣ / ١٤٣ نقلاً عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١ / ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلاً، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١ / ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢ / ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢ / ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئاً نسال هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}، قالوا: أوتينا علماً كثيراً التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ}، إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن»: ١٤٦٠ و ١٤٦١.

الثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة^(١)، ومقاتل^(٢).

قال مقاتل: " وذلك أن جبريل- عليه السلام- لم ينزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- أربعين يوماً، ويقال ثلاثة أيام، فقال مشركو العرب من أهل مكة: لو كان من الله «لتتابع عليه الوحي، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فقد ودعه الله وتركه صاحبه، فما يأتيه. فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نزل عليك الوحي؟ قال: كيف ينزل على الوحي، وأنتم لا تتقون براجمكم^(٣)، ولا تqlمون أظفاركم^(٤)."

الثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهد^(٥)، وابن جريج^(٦).

الرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل^(٧).

الخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي^(٨).

قال ابن كثير: " وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح، {فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ} [النجم : ١٠]. قال له هذه السورة: {وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ}"^(٩).

٢- {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨)} [الضحى : ٦-٨]

عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سألت ربي مسألة وددت أنني لم أسأله، قلت: يا رب كانت قبلي رسل، منهم من سخرت لهم الرياح، ومنهم من

(١) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٣) تنقية البراجم: هي تنظيف الأوساخ التي بين الأظافر وأطراف الأصابع.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠. وقال: " اثني عشر يوماً".

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.

كان يحيي الموتى، قال: ألم أجدك يتيما فأويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"^(١).

(١) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير. وأخرجه البيهقي في الدلائل (٦٢ /٧) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط". وزاد نسبه في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

سورة «العلق»

{أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّمَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجُعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦)} [العلق : ١ - ١٦]

عن ابن عباس، قال: كان رسول صلى الله عليه وسلم يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} إلى قوله: {كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} (١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.

سورة «الزلزلة»

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧-٨]

قال مقاتل: " وذلك أن العرب كانوا لا يتصدقون بالشيء القليل، وكانوا لا يرون بالذنب الصغير بأساً، فزهدهم الله- عز وجل- في الذنب الحقيق، ورغبهم في الصدقة القليلة، فقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨] في كتابه والذرة أصغر النمل وهي النملة الصغيرة، وأيضا {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} قدر نملة {شَرًّا يَرَهُ} يوم القيامة في كتابه، نزلت في رجلين بالمدينة، كان أحدهما إذا أتاه السائل يستقل أن يعطيه الكسرة أو التمرة، ويقول ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وقد قال الله- عز وجل-: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ} [الإنسان : ٨]، فيقول: ليس هذا مما يحب، فيستقل ذلك ويرى أنه لا يؤجر عليه، فيرد المسكين صفراً، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشبه ذلك، ويقول ليس على من فعل هذا شيء إنما وعد الله النار أهل الكبائر. فأنزل الله- عز وجل- يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه الله فإنه يوشك أن «يكثُر ويحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثُر فالذنب الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال الرواسي، ولجميع محاسنه التي عملها في دار الدنيا أصغر في عينه من حسنة واحدة»^(١).

عن سعيد بن جبير: " في قول الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨]، وذلك لما نزلت هذه الآية: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، كان المسلمون يرون أنهم لا يُوجَرُونَ على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون : ما هذا بشيء. إنما نُوجَرُ على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشبه ذلك، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثُر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثُر، فنزلت : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني : وزن أصغر النمل {خَيْرًا يَرَهُ} يعني : في كتابه، وَيَسْرُهُ ذلك. قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤-٧٩٢.

فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٦٤/٨، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٤٠): ص ٣٤٥٦/١٠،

[مختصراً]

سورة «العاديات»

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)} [العاديات : ١]

عن ابن عباس قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا، فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، ضبحت بأرجلها"^(١).

عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر، فنزلت :{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} ضبحت بأرجلها، {قَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا} قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا، {قَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} صبّحت القوم بغارة، {قَاتِرْنَ بِهِ نَقْعًا} أثارت بحوافرها التراب، {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} قال : صبحت القوم جميعا"^(٢).

عن إبراهيم : قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت"^(٣).

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبي- صلى الله عليه وسلم- خبرها، فأخبره الله- عز وجل- عنها فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يعني: الخيل، وقيل: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الخبر فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلا من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا يأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمرا عظيما، فجاءه جبريل- عليه السلام- يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يقول: غدت الخيل إلى الغزوة حتى أصبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب"^(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤١):ص٣٤٥٧/١٠.

(٢)مسند البزار برقم (٢٢٩١) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٤٢/٧) : "فيه حفص بن جميع وهو ضعيف".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٣):ص٣٤٥٧/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٤.

سورة «التكاثر»

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١)} [التكاثر : ١]

في سبب نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنّ اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة^(١). [ضعيف]^(٢).

عن قتادة، في قوله: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}"، قال: نزلت في اليهود^(٣).

عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}"، قال: قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالاً^(٤).

عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}"، قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم^(٥).

الثاني: أنها: "نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل"^(٦). قاله ابن بري^(٧). وذكر نحوه ابن السائب^(٨)، ومقاتل^(٩)، والفراء^(١٠).

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٥٦)، (١٩٤٥٧):ص: ٣٤٦٠/١٠.

ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٨٦٩، ٣٧٨٧٠.

(٢) وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٤٩٠، والخبر ضعيف لإرساله، وذكر اليهود يبطل الخبر، لأن ابن الجوزي وغيره نقلوا الإجماع على أن السورة مكية، وأخبار يهود مدنية. انظر: زاد المسير: ٤٨٥/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٧):ص: ٣٤٦٠/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٦):ص: ٣٤٦٠/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٤٥٣):ص: ٣٤٥٩/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٥٣):ص: ٣٤٥٩/١٠.

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، وابن السائب هو الكلبى، فهو ممن يضع الحديث،

حكى الواحدي عن الكلبي، ومقاتل: "أنّ حيين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما لحاء، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّدا، وأعزّ نفرا. وقال أولئك مثل هذا، فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكثروهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم، فكثروهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم"^(٣).

وخبره لا شيء.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٤، وأسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.

(٣) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.

سورة «الفيل»

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)} [الفيل : ١] الآيات:

واختلف في سبب الفيل، على قولين:

أحدهما : ما حكاه الكلبي^(١)، ومقاتل^(٢) -يزيد أحدهما وينقص-: أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجاراً ، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحفافها ، قال الكلبي

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦-٣٤١.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٧/٤ وما بعدها.

قال مقاتل: "وذلك أنه كان بعث أبا يكسوم بن أبرهة اليماني الحبشي وهو ابنه، في جيش كثيف إلى مكة ومعهم الفيل ليخرب البيت الحرام، ويجعل الفيل مكان البيت بمكة، ليعظم ويعبد كتعظيم الكعبة، وأمره أن يقتل من حال بينه وبين ذلك، فسار أبو يكسوم بمن معه حتى نزل بالمعمس وهو واد دون الحرم بشيء يسير، فلما أرادوا أن يسوقوا الفيل إلى مكة لم يدخل الفيل الحرم، وبرك، فأمر أبو يكسوم أن يسقوه الخمر، فسقوه الخمر ويردونه في سياقه، فلما أرادوا أن يسوقوه برك الثانية، ولم يقم، وكلما خلوا سبيله ولى راجعا إلى الوجه الذي جاء منه يهرول، ففزعوا من ذلك وانصرفوا عامهم ذلك، فلما أن كان بعده بسنة أو بسنتين خرج قوم من قريش في تجارة إلى أرض النجاشي، حتى دنوا من ساحل البحر في سند حقف من أحفافها ببيعة النصارى وتسميها قريش الهيكل، ويسميها النجاشي وأهله أرضة ما سر حسان، فنزل القوم في سندها فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا، وشووا لحما، فلما أرادوا أن يرتحلوا تركوا النار، كما هي في يوم عاصف، فعجبت الريح «واضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ إلى النجاشي وجاءه الخبر فأسف عند ذلك غضبا للبيعة وسمعت بذلك ملوك العرب الذين هم بحضرته، فأتوا النجاشي منهم حجر بن شرحبيل، وأبو يكسوم الكنديان، وأبرهة بن الصباح الكندي، فقالوا: أيها الملك، لا تكاد ولا تغلب نحن مؤازرون لك على كعبة قريش التي بمكة، فإنها فخرهم ومعتزهم على من بحضرته من العرب فننسف بناءها. ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، وتمنح حفاقرها من شئت من سوامك، ونحن لك على ذلك مؤازرون فاعزم إذا شئت أو أحببت، أيها الملك. فأرسل الملك الأسود بن مقصود، فأمر عند ذلك بجنوده من مزارعي الأرض، فأخرج كتائبه جماهير معهم الفيل، واسمه محمود، فسار بهم وبمن معه من ملوك العرب تلقاء مكة في جحافل تضيق عليهم الطرق، فلما ساروا مروا بخيل لعبد المطلب، جد النبي- صلى الله عليه وسلم-، مسومة وإبل، فاستاقها، فركب الراعي فرسا له أعوجيا كان يعده لعبد المطلب فأمعن في السير حتى دخل مكة، فصعد إلى الصفا فوقى عليه، ثم نادى بصوت رفيع: يا صباحاه، يا صباحاه أنتكم السودان معها فيلها، يريدون أن يهدموا كعبتكم، ويدعوا عركم، ويبيحوا دماءكم، وينتهبوا أموالكم، ويستأصلوا بيضتكم، فالنجاء النجاء. ثم قصد إلى عبد المطلب، فأخبره بالأمر كله، فركب عبد المطلب فرسه، ثم أمعن جادا في السير حتى هجم على عسكر القوم، فاستفتح له أبرهة بن الصباح، وحجر بن شراحيل، وكانا خلين فقالا: لعبد المطلب ارجع إلى قومك، فأخبرهم وأنذرهم أن هذا قد جاءكم حميا آتيا، فقال عبد المطلب: والللات، والعزى، لا أرجع حتى أرجع معي بخيلي، ولقاحي، فلما عرفا أنه غير راجع ونازع عن قوله قصدا به إلى

النجاشي، فقالا: كهيئة المستهزئين يستهزئان به: أيها الملك، اردد عليه إبله وخيله فإنما هو وقومه لك بالغداة، فأمر بردها. فقال عبد المطلب للنجاشي: هل لك إلى أن أعطيك أهلي ومالي، وأهل قومي، وأموالهم، ولقاحهم على أن تتصرف عن كعبة الله؟ قال: لا. فسار عبد المطلب بإبله وخيله حتى أحرزها، ونزل النجاشي ذا المجاز، موضع سوق الجاهلية، ومعه من العدد والعدة كثير، وانذرت قريش وأعروا مكة فلحقوا بجبل حراء وثبير وما بينها من الجبال، وقال عبد المطلب لقريش: واللوات، والعزى، لا أبرح البيت حتى يقضي الله قضاءه، فقد نبأني أجدادي أن للكعبة ربا يمنعا، ولن تغلب النصرانية، وهذه الجنود جنود الله، وبمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي جد المختار، وكان مكفوف البصر، يقبض بالطائف، ويشتو بمكة، وكان، وكان رجلا نبيلًا، تستقيم الأمور برأيه، وهو أول فاتق، وأول راتق، وكان خلا لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: يا أبا مسعود، ماذا عندك هذا يوم لا يستغنى عن رأيك، قال له أبو مسعود: اصعد بنا الجبل حتى نتمكن فيه، فصعدا الجبل فتمكنا فيه، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعد إلى ما ترى من إبلك فاجعلها حرما لله، وقلدها نعالًا، ثم أرسلها في حرم الله، فلعل بعض هؤلاء السودان أن يعقروها، فيغضب رب هذا البيت، فيأخذهم عند غضبه. ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها، فقال عبد المطلب عند ذلك- وهو يبكي:-

يا رب إن العبد يمنع رح ... له فامنع حلالك

لا يغلبن صليبيهم ومحا ... لهم عدوا محالك

فإن كنت تاركهم وكع ... بتنا فأمر ما بدا لك

«فلم أسمع بأرجس من رجال ... أرادوا، العز فانتهكوا حرامك

ثم دعا عليهم فقال:

اللهم أجز الأسود بن مقصود ... الأخذ الهجمة بعد التقليد

قبلها إلى طماطم سود ... بين ثبير فالبيد.

والمروتين والمشاعر السود ... ويهدم البيت الحرام المصمود

قد أجمعوا ألا يكون لك عمود ... اخفرهم ربي فأنت محمود

فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربا يمنعه منعة عظيمة ونحن له فلا ندري ما منعه، فقد نزل تبع ملك انيمن بصحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه الله عن ذلك، وابتلاه وأظلم عليهم ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساء الثياب البيض من الشطرين وعظمه، ونحر له جزرا، ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب: انظر نحو البحر ما ترى؟ فقال: أرى طيرا بيضا قد انساب مع شاطى البحر. فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أزررت على رعوسنا. فقال: هل تعرفها؟ قال: لا، والله، ما أعرفها ما هي بنجدية، ولا تهامية، ولا غربية، ولا شرقية، ولا يمانية، ولا شامية، وإنها تطير بأرضنا غير مؤنسة. قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب في مناقيرها الحصى كأنها حصى الخذف قد أفلبت، وهي طيرا أبابيل يتبع بعضها بعضا أمام كل «رفقة» «٣» « منها طائر يقودها أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق، حتى إذا جازت بعسكر القوم ركدن فوق رعوسهم فلما توافتها الرعال كلها، هالت الطير ما في مناقيرها من الحجارة على من تحتها، يقال إنه كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها عادت راجعة من حيث جاءت.

فقال أبو مسعود: لأمر ما هو كائن، فلما أصبحنا انحطنا من ذروة الجبل إلى الأرض فمشيا ربوة أو ربوتين فلم يؤنسا أحدا، ثم دنوا فمشيا ربوة أو ربوتين أيضا، فلم يسمعا همسا. فقالوا: عند ذلك بات القوم سامدين فأصبحوا نياما لا يسمع لهم ركزا، وكانا قبل ذلك يسمعان صياحهم، وجلبة في أسواقهم، فلما دنيا من عسكرهم، فإذا هم خامدون، يقع الحجر في بيضة الرجل فيخرقها حتى يقع في دماغه، ويخرق الفيل والدابة حتى يغيب في الأرض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فئوسهم فخر حتى عمق في الأرض وملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد، وحفر أيضا لصاحبه فملأه من الذهب والجوهر، ثم قال لأبي مسعود: هات خاتمك، واختر أيهما شئت، خذ إن شئت حفرتي، وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك، فقال أبو مسعود: اختر لي. فقال عبد المطلب: إنني لم أعل أجود المتاع في حفرتي وهي لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة صاحبه، ونادى عبد المطلب في الناس، فتراجعوا فأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعا، وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطوه المقادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود وأهلوهما في غنى من ذلك المال. ودفع الله- عز وجل- عن كعبته وقيلته وسلط عليهم جنودا لا قبل لهم بها، وكان لهم بالمرصاد والأخذة الرابية، وأنزل فيهم «ألم تر» يعني يخبر نبيه- صلى الله عليه وسلم- «كيف فعل ربك بأصحاب الفيل» يعني الأسود بن مقصود، ومن معه من الجيش وملوك العرب، ثم أخبر عنهم فقال: {ألم يجعل كيدهم في تضليل} الذي أرادوا، من خراب الكعبة واستباحة أهلها، {في تضليل}، يعني: خسار {وأرسل عليهم طيرا أبابيل}، يعني: متتابعة كلها تنرى بعضها على إثر بعض، {ترميمهم بحجارة من سجيل}، يعني: بحجارة خلطها الطين، {فجعلهم كعصف مأكول}، فشبهم بورق الزرع المأكول يعني: البالي، وكان أصحاب الفيل قبل مولد النبي- صلى الله عليه وسلم- بأربعين سنة، وهلكوا عند أدنى الحرم، ولم يدخلوه قط.

قال عكرمة بن خالد:

حبست رب الجيش والأفيال ... وقد رعوا بمكة الأجيال

قد خشينا منهم القتال ... كل كريم ما جد بطل

يمشي يجر المجد والأذيال ... ولا يبالي حيلة المحتال

تركتمهم ربي بشر حال ... وقد لقوا أمرا له فعال

وقال صفوان بن أمية المخزومي:

يا واهب الحي الحلال الأحمس ... وما لهم من طارف ومنفس

أنت العزيز ربنا لا تدنس ... أنت حبست الفيل بالمعس

حبست فإنه هكروس .

وقال ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات ... لا يماري بهن إلا الكفور

حابس الفيل بالمعس حتى ... ظل يحبو كأنه معفور

وأسقى حلقة الحراب كما ... قطر من ضحر ككبك محذور

حوله من ملوك كندة فتيا ... ن ملاويث في الهياج صقور

تسمى : البيعة ما سرجيان ، وقال مقاتل : تسمى: الهيكل ، فأوقدوا ناراً لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطربت البيعة ناراً فاحترقت ، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره ، فاستشطا غضباً ، وأتاه أبرهة بن الصبّاح وحجر بن شراحبيل وأبو يكسوم الكنديون ، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة ، وكان النجاشي هو الملك ، وأبرهة صاحب الجيش ، وأبو يكسوم نديم الملك وقيل وزيره ، وحجر بن شراحبيل من قواده^(١).

القول الثاني : ما حكاه ابن إسحاق^(٢) : "أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء، وكان نصرانياً، فسماها القليس؛ لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض؛ وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة: إني قد بنيت لك

حالفوه ثم اندعروا عنه ... عظمه خلف ساقه مكسور

كل دين يوم القيامة عند الله ... هـ إلا دين الحنيفة بور

"[تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٧/٤-٨٥٥]

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦-٣٤١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤، وعزاه في النكت والعيون: ٣٣٩/٦ إلى ابن عباس-رضي الله عنهما، وحكي

السمعاني نحوه وقال:.. هذا أصح ما حكى في سببه".[تفسير السمعاني: ٢٨٣/٦]

وأخرج ابن أبي حاتم(١٩٤٨١):ص٣٤٦٤-٣٤٦٥ عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس، نحوه:

قال عثمان بن المغيرة بن الأخنس: "كان من حديث أصحاب الفيل أن أبرهة الأشرم الحبشي كان ملك اليمن، وأن ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجاً، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة بنجران، فغدا عليها ناس من أهل مكة فأخذوا ما فيها من الحلي، وأخذوا متاع أكسوم، فانصرف إلى جده مغضباً فبعث رجلاً من أصحابه يقال له شهر بن، معقود على عشرين ألفاً من خولان والأشعريين، فساروا حتى نزلوا بأرض، فتنحت خثعم عن طريقهم، فلما دنا من الطائف خرج إليه ناس من بني خثعم ونصر وثقيف، فقالوا: ما حاجتك إلى طائفنا وإنما هي قرية صغيرة ولكننا ذلك على بيت بمكة يعبد وحرز من لجأ إليه من مكة ثم له ملك العرب فعليك به ودعنا منك، فأتاه حتى إذا بلغ المغمس وجد إبلا لعبد المطلب، مائة ناقه مقلدة، فانهبها بين أصحابه، فلما بلغ ذلك عبد المطلب جاءه، وكان جميلاً وكان له صديق من أهل اليمن يقال له ذو عمرو، فسأله أن يرد عليه ابله فقال: إني لا أطيق ذلك، ولكن إن شئت أدخلتك على الملك، فقال عبد المطلب افعل فأدخله عليه، فقال له: إن لي إليك حاجة، قال قضيت كل حاجة تطلبها، قال أنا في بلد حرم، وفي سبيل بين أرض العرب وأرض العجم، وكانت مائة ناقه لي مقلدة ترعى بهذا الوادي بين مكة وتهامة عليها عبر أهلها. وتخرج إلى تجارتها وتتحمل من عدونا، عدا عليها جيشك فأخذوها، وليس مثلك يظلم من جاوره فالتفت إلى ذي عمرو، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجباً، فقال: لو سألتني كل شيء أجوزة أعطيتة إياه أما إبله فقد رددنا إليك ومثلها معها، فما يمنعك أن تكلمني في بنيتكم هذه، وبلدكم هذه، فقال له عبد المطلب أما بنيتنا هذه وبلدنا هذه، فإن لهما ربا إن شاء أن يمنعهما، ولكني إنما أكلمك في مالي، فأمر عند ذلك بالرحيل وقال: لتهدم الكعبة ولتنهين مكة فانصرف عبد المطلب وهو يقول:

أيها الملك كنيسته، لم بين مثلها لملك كان قبلك، ولست بمُنْتَهٍ حتى أُصْرَفَ إليها حاجّ العرب. فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي، غضب رجل من النساء أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، فخرج حتى أتى القليس، ففعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر أبرهة بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل: صنعه رجل من أهل هذا البيت، الذي تحجّ العرب إليه بمكة، لما سمع من قولك: أُصْرَفَ إليه حاجّ العرب، فغضب، فجاء ففعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل؛ فغضب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدِمُوا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزَاعِي بن حَزَابَة الدَّكْوَانِي، ثم السُّلْمِي، في نفر من قومه، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي؛ فبينما هم عنده، غَشِيَهُمْ عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغذائه، وكان يأكل الخُصَى؛ فلما أتى القوم بغذائه، قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعي، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك، إن هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجنوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم، فإنما أكرمتكم بغذائي، لمنزلتكم عندي.

ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزَاعِي، وأمره على مضر، وأمره أن يسير في الناس، يدعوهم إلى حج القليس، كنيسته التي بناها، فسار محمد بن خزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة،

لاهم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك ... لا يغلبن صليبيهم ومحالهم عدوا محالك

فإذا فعلت فربما تحمي فأمر ما بدا لك ... فإذا فعلت فإنه أمر تتم به فعالك

وغدوا غدا يجمعونهم والفيل كي يسبوا عيالك ... فإذا تركتهم وكعبنا فوا حربا هنالك

فلما توجه شهر وأصحاب الفيل، وقد أجمعوا ما أجمعوا، طفق كلما وجهوه أناخ وبرك، فإذا صرفوه عنها من حيث أتى أسرع السير، فلم يزل كذلك حتى غشيهم الليل وخرجت عليهم طير من البحر لها خراطيم، كأنها البلس شبيهة بالوطواط حمر وسود، فلما رأوها أشفقوا منها وسقط في أيديهم، فرمتهم بحجارة مدحرجة كالبنادق، تقع على جبالهم فلم يروا- حدا غشيهم، فبعث ابنه على فرس سريع ينظر ما لقوا فإذا هم مشدخين جميعا، فرجع يرفع رأسه كاشفا فحذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إن ابني أفرس العرب وما كشف عن فحذه إلا بشيرا أو نذيرا، فلما دنا من ناديهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعا، فخر عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم.

وقال عبد المطلب شعرا في المعنى:

أنت منعت الجيش والأفيالا ... وقد رعوا بمكة الأفيالا

وقد خشينا منهم القتالا ... وكل أمر منهم معضالا

شكرا وحمدا لك ذي الإجلالا

فانصرف شهر هاربا وحده فأول منزل نزله سقطت يده اليمنى، ثم نزل منزلا آخر فسقطت رجله اليمنى، فأتى منزله وهو جسد لا أعضاء له، فأخبرهم الخبر ثم فاضت نفسه وهم ينظرون".

وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، بعثوا إليه رجلا من هذيل يقال له عروة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله؛ وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس بن خزاعي، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبا وحنقا، وحلف ليغزون بني كنانة، وليهدمن البيت.

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت، أمر الحُبشان فتهيأت وتجهّزت، وخرج معه بالفيل، وسمعت العرب بذلك، فأعظموه، وقطّعوا به، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام، فخرج رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم، يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخراجه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، وعرض له، وقتاله، فهزم وتفرق أصحابه، وأخذ له ذو نفر أسيرا؛ فلما أراد قتله، قال ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي؛ فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلا حليما.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن معه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له أسيرا، فأتي به؛ فلما همّ بقتله، قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، بالسمع والطاعة؛ فأعفاه وخطى سبيله، وخرج به معه، يدلّه على الطريق؛ حتى إذا مرّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف، فقال: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيننا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم، وبعثوا معهم أبا رغال؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجّمت العرب قبره، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمس.

ولما نزل أبرهة المغمس، بعث رجلا من الحبشة، يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها منّي بغير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها؛ وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بالحرث من سائر الناس بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم

أت لحربكم، إنما جئت لهدم البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن لم يُرد حربي فأنتني به.

فلما دخل حناطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، قال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة؛ هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَل بينه وبينه، فو الله ما عندنا له من دافع عنه، أو كما قال؛ فقال له حناطة: فانطلق إلى الملك، فإنه قد أمرني أن آتية بك. فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقا، فدل عليه، فجاءه وهو في محبسه، فقال: يا ذا نفر، هل عندك غَنَاء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر، وكان له صديقا: وما غناء رجل أسير في يدي ملك، ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائق الفيل لي صديق، فسأرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما تريد، ويشفع لك عنده بخير، إن قدر على ذلك. قال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أنيس، فجاء به، فقال: يا أنيس إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رعوس الجبال، وقد أصاب الملك له منّي بغير، فاستأذن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعَل.

فكلم أنيس أبرهة، فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك، يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، يُطعم الناس بالسهل، والوحوش في رعوس الجبال، فأذن له عليك، فليكرمك بحاجته، وأحسن إليه. قال: فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب رجلا عظيما وسيما جسيما؛ فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريرته، فجلس على بساطه، فأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال له عبد المطلب: حاجتي إلى الملك أن يرَد عليّ منّي بغير أصابها لي؛ فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كُلمتني، أتكلمني في منّي بغير أصبتها لك، وتترك بيتنا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه، قال: ما كان ليمنع مني، قال: فأنت وذاك، أردد إليّ إبلي.

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطب إلى أبرهة، حين بعث إليه حناطة، يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو يومئذ سيد بني كنانة، وخويلد

بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبي عليهم، والله أعلم.

وكان أبرهة، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شعف الجبال والشعاب، تخوفاً عليهم من معرة الجيش؛ ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة الباب، باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب، وهو آخذ حلقة باب الكعبة:

يا رَبِّ لا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ ... يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ ... امْنَعُهُمْ أَنْ يُخَرَّبُوا فُرَاكَ
وقال أيضاً:

لا هُمْ إِنَّ الْعَبْدَ يَمُ ... نَعِ رَحْلُهُ فامْنَعِ حِلَالِكَ
لا يَغْلِبَنَّ صَالِبِيُّهُمْ ... ومَحَالَهُمْ عَدَا مِحَالِكَ
فَلَيْنَ فَعَلْتَ قَرِيبًا ... أَوْلَى فامْرُ ما بَدَا لَكَ
وَلَيْنَ فَعَلْتَ فَايَةً ... أَمْرٌ نَمُّ بِهِ فَعَالِكَ
وقال أيضاً:

وَكُنْتُ إِذَا أتَى باغِ بِسَلْمٍ ... نُرَجِّي أَنْ تُكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
فَوَلَوْ لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خَزْيٍ ... وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكَ
وَلَمْ أَسْمَعْ بِأَرْجَسَ مِنْ رِجَالٍ ... أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا حَرَامَكَ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ ... وَالْفَيْلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالِكَ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال^(١)، فتحرزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها؛ فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله، وعباً جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مُجمَعٌ لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيل، أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى قام إلى جنبه، ثم أخذ بأذنه فقال: أبرك محمود، وارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام؛ ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج

(١) وذكر مقاتل بن سليمان: "أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة، لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق، فينتقم الله منه" [نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨٥/٨].

نُقيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، وضربوا في رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم، فأبى، فأدخلوا محاجن^(٢) لهم في مراقه^(٣)، فبزغوه بها ليقوم، فأبى، فوجّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك، وأرسل الله عليهم طيرا من البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُقيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته^(٤):

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهَ الطَّالِبُ ... وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْعَالِبِ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مدّة تَمُتُّ قِيحا ودما، حتى قَدِمُوا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطير، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون^(٥).
وذكر مقاتل بن سليمان: "أن قريشًا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم، وما كان معهم، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة"^(٦).

(١) الطبرزين: آلة معقفة من حديد، وطبر بالفارسيّة: مَعْنَاهَا الْفَأْسُ.

(٢) المحاجن: جمع محجن، وَهِيَ عَصَا مَعْوَجَةٌ، وَقَدْ يَجْعَلُ فِي طَرَفِهَا حَدِيدًا.

(٣) مراقه: يَعْنِي أَسْفَلَ بَطْنِهِ.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٥٣/١.

قال ابن إسحاق: وقال نُقيل في ذلك أيضًا:

أَلَا حُبَيْبَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا ... نَعْمَانَاكُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا

أَنَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً ... فَلَمْ يُفَدَّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ- وَلَا تَرِيهِ ... لَدَى جَنْبِ الْمُحْصَبِ مَا رَأَيْتَا

إِذَا لَعْدَرْتِنِي وَحَمَدْتِ أَمْرِي ... وَلَمْ تُأْسِي عَلَيَّ مَا فَاتَ بَيْنَنَا

حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وَخَفْتُ حَجَارَةً تَلَقَى عَلَيْنَا

وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُقَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبُشَانِ دَيْنَا

(٥) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤-٦١٤.

(٦) نقلًا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨٦/٨.

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رثيت الحصبة والجذري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام"^(١).

قال ابن إسحاق: "فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردّ عنهم من أمر الحبشة، لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} {لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رباً هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} [سورة قريش]، أي: لنلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه"^(٢).

(١) سيرة النبوية لابن هشام: ٥٢/٢-٥٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٥٤/١-٥٥.

سورة «الماعون»

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)} [الماعون : ٤-٥]

قال ابن عطية: "ويروى أن هذه السورة نزلت في بعض المضطرين في الإسلام بمكة الذين لم يحققوا فيه وفتنوا فافتنوا، وكانوا على هذه الخلق من الغشم وغلظ العشرة والفظاظة على المسلمين، وربما كان بعضهم يصلي أحيانا مع المسلمين مدافعة وحيرة"^(١).

وفي قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنهم يؤخرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها. وهذا قول ابن عباس^(٢)، وابن أبزي^(٣)، ومسروق^(٤)، وأبي الضحى^(٥)، ومسلم بن صبيح^(٦)، وسعد بن أبي وقاص^(٧)، وابنه مصعب^(٨). ورواه سعد مرفوعا^(٩). وحكاه الواحدي عن الأكثرين^(١٠).

قال الزمخشري: "كأنه قال: فإذا كان الأمر كذلك، فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها، حتى تفوتهم أو يخرج وقتها"^(١١).

قال الزجاج: "ومن تعمد تأخيرها عن وقتها حتى يدخل وقت غيرها فالويل له أيضاً كما

قال الله عزَّ وجلَّ"^(١٢).

(١) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢٤-٦٣١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٩٦): ص ٣٤٦٨/١٠.

قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٤٣ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جداً، ولهذا الحديث طرق، وقد ذكر ابن كثير أن الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، ثم قال: وقد ضعف البيهقي رفعه، وصح وقفه، وكذلك الحاكم.

(١٠) انظر: التفسير البسيط: ٣٥٨/٢٤-٣٥٩.

(١١) الكشاف: ٨٠٤/٤.

(١٢) معاني القرآن: ٣٦٧/٥.

قال السعدي: " {قَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم {عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم واللوم وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم" (١).

عن سعد بن أبي وقاص قال: " سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»" (٢).

عن ابن عباس: " {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: الذين يؤخرونها عن وقتها" (٣).

قال مسروق: " الترك لوقتها" (٤). وفي لفظ: " تضييع ميفاتها" (٥).

قال أبو الضحى: " ترك المكتوبة لوقتها" (٦).

قال مسلم بن صبيح: " الذين يضيعونها عن وقتها" (٧).

قال ابن أبيزى: " الذين يؤخرون الصلاة المكتوبة، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها" (٨).

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لأبي، رأيت قول الله عز وجل: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهي تركها؟ قال: لا، ولكن تأخيرها عن وقتها" (٩).

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لسعد: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهو ما يحدث به

أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا ولكن السهو أن يؤخرها عن وقتها" (١٠).

قال مصعب بن سعد: " السهو: الترك عن الوقت" (١).

(١) تفسير السعدي: ٩٣٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٤٩٦): ص ٣٤٦٨/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣١-٦٣٠/٢٤.

الثاني: أنهم يتركونها فلا يصلونها. قاله ابن عباس-أيضا-(^٢)، ومجاهد(^٣).

عن مجاهد: "عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ"، قال: الترك لها"^(٤).

قال ابن عباس: "هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ، ويصلون في العلانية"^(٥).

قال ابن عباس: "فهم المنافقون كانوا يراءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية بغضا لهم، وهو الماعون"^(٦).

قال ابن كثير: "ولهذا قال: {لِلْمُصَلِّينَ}، أي: الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها، ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكلية، كما قاله ابن عباس، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا، فيخرجها عن وقتها بالكلية، كما قاله مسروق، وأبو الضحى.. وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا. وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به. وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية. ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي. كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرفئ الشمس، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا»^(٧)، فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى، كما ثبت به النص إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا؛ ولهذا قال: "لا يذكر الله فيها إلا قليلا". ولعله إنما حمّله على القيام إليها مراعاة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو إذا لم يصل بالكلية. قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢]. وقال هاهنا: {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}"^(٨).

(١) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤-٦٣٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.

(٧) صحيح مسلم برقم (٦٢٢) ولم أقع عليه في صحيح البخاري، ولم يعزه المزني له في تحفة الأشراف.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

الثالث : أن معنى «سَاهُونَ»، أي: لاهون. قاله ابن عباس-في رواية-(^١)، ومجاهد-أيضا-(^٢)، والفراء(^٣).

عن مجاهد: "عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ"، قال: لاهون"(^٤).

وقال مجاهد: "يتهاونون"(^٥).

قال مقاتل: "يعني: لاهون عنها حتى يذهب وقتها، وإن كانوا في خلال ذلك يصلونها"(^٦).

وقرأ ابن مسعود: «لا هون»(^٧).

قال الزمخشري: " لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرأ من غير خشوع وإخبات، ولا اجتناب لما يكره فيها: من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات، لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف، ولا ما قرأ من السور، كما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم. والمعنى: أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة- التي هي عماد الدين، والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام- علما على أنهم مكذبون بالدين. وكم ترى من المتسمين بالإسلام، بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة، فيا مصيبتاه"(^٨).

الرابع : غافلون. قاله قتادة(^٩).

عن قتادة: "عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ"، قال: غافلون"(^{١٠}).

قال قتادة: " عنها، لا يبالي صلى أم لم يصل"(^{١١}).

(١) عزاه إليه الفراء في "معاني القرآن": ٢٩٥/٣. قال الفراء: يعني: " لاهون، كذلك فسرهما ابن عباس، وكذلك رأيتها في قراءة عبد الله".

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٩٥/٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٧١/٤.

(٧) انظر: الكشف: ٨٠٥/٤.

(٨) الكشف: ٨٠٤/٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

وقال ابن زيد: " يصلون، وليست الصلاة من شأنهم"^(١).
قال سهل: " هم المنافقون، غافلون عن مراعاة أوقات الصلاة ومراعاة حقوقها، وهذا وعيد شديد، إذ ليس كل من كان في صورة المطيعين واقفاً مع العابدين، كان مطيعاً مقبول العمل. وفي زبور داود عليه السلام: قل للذين يحضرون الكنائس بأبدانهم، ويقفون مواقف العباد وقلوبهم في الدنيا: أبي يستخفون؟ أم إياي يخدعون؟. وفي الخبر: «ليس لأحد من صلواته إلا ما عقل»^(٢)^(٣).
السادس : هو الذي يلتفت يمناً ويسرة وهواناً بصلواته، قاله أبو العالية^(٤).
قال أبو العالية: " هو الذي يصلي ويقول هكذا وهكذا، يعني: يلتفت عن يمينه وعن يساره"^(٥).

ونقل ابن الجوزي عن أبي العالية أنه قال: " هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر"^(٦).
قال ابن الجوزي: " وردَ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سها في صلواته"^(٧)، ولأنه قال عزّ وجلّ: عَن صَلَاتِهِمْ وَلَمْ يَقُلْ: في صلواتهم، ولأنّ ذلك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم"^(٨).

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٢) قوت القلوب: ١٦٩ / ٢، وفيض القدير: ٣٣٤ / ٢.

(٣) تفسير التستري: ٢٠٦.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص:٣٤٦٨/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص:٣٤٦٨/١٠.

(٦) زاد المسير: ٤٩٦/٤.

(٧) ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليمين.
عن أبي هريرة، قال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين، فقام رجل من بني سليم، فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة، أم نسيت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم تقصر الصلاة، ولم أنسه"، قال: يا رسول الله، إنما صليت ركعتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحق ما يقول ذو اليمين؟"، قالوا: نعم، قال: فقام، فصلّى بهم ركعتين آخريين، قال يحيى: حدثني ضمضم بن جوس، أنه سمع أبا هريرة يقول: ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدتين".

أخرجه أحمد (٢٦٣/١٥، رقم ٩٤٤٤)، والطبراني (٢٣٣/٤، رقم ٤٢٢٤)، النسائي في "الكبرى" (٥٦٢).

(٨) زاد المسير: ٤٩٦/٤.

قال القرطبي: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته، فضلا عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهود في كتبهم"^(١).

قال ابن العربي: "لأن السلامة عن السهو محال فلا تكليف. وقد سها النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاته والصحابة، وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراءتها، وإنما همه في إعدادها وهذا رجل يأكل القشور ويرمي اللب، وما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسهو في صلاته إلا لفكرته في أعظم منها، اللهم إلا أنه قد يسهو في صلاته من يقبل على وسواس الشيطان إذا قال له: اذكر كذا [لما لم يكن يذكره] حتى يضل الرجل أن يدري كم صلى"^(٢).

السادس: لا يصلّيها سراً ويصلّيها علانية رياء للمؤمنين ، قاله ابن عباس-في رواية-^(٣)، والحسن^(٤).

قال ابن عباس: "هم المنافقون يرآءون الناس بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا"^(٥).

وحكي ابن كثير عن الحسن: "إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله وفي لفظ: صدقة ماله"^(٦).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله: {سَاهُونَ}: لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والنشأغل بغيرها، تضييعها أحيانا، وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال: عُنِيََ بذلك ترك وقتها، وقول من قال: عُنِيََ به تركها لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت"^(٧). ثم استشهد على صحة قوله:

(١) تفسير القرطبي: ٢٠ / ٢١٢.

(٢) أحكام القرآن: ٤ / ٤٥٤.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٩٥): ص ١٠ / ٣٤٦٨.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٦ / ٣٥٢.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٤٩٥): ص ١٠ / ٣٤٦٨.

(٦) تفسير ابن كثير: ٨ / ٤٩٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٤ / ٦٣٢.

- عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: هم الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها"^(١).
- عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} : الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه"^(٢).
- وروي عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال: "الحمد لله الذي قال: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [لم يقل : في صلاتهم ساهون]"^(٣)^(٤).
- ثم قال الطبري: " وكلا المعنيين اللذين ذكرت في الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة"^(٥).

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤. قال ابن كثير: ٤٩٥/٨: "فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يُسم."

(٣) زيادة في تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

قال الزمخشري: في الكشاف(٨٠٥/٤): "فإن قلت: أي فرق بين قوله: {عَنْ صَلَاتِهِمْ}، وبين قولك «في صَلَاتِهِمْ»؟ قلت: معنى «عَنْ»: أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى «في»: أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم."

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٣-٦٣٢/٢٤.

سورة «الكوثر»

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١]

قال ابن عباس: "نزلت في العاص بن وائل، وذلك: أنه رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثنا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس. فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتري، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتري، فأنزل الله تعالى هذه السورة"^(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: "كان العاص بن وائل يمر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويقول: إني لأشئوك، وإنك لأبتري من الرجال. فأنزل الله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ} [الكوثر : ٣]، يعني: العاص، {هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، من خير الدنيا والآخرة"^(٢).

عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: "كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتري لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة"^(٣).

(١) أسباب النزول للواحي: ٤٩٤، بدون إسناد. وورد بنحوه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره في الدر المنثور: ٦٥٢/٨، بنحوه وعزاه إلى ابن سعد وابن عساکر، وهذا إسناد ساقط.

ورواية الدر: "عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثما مات عبد الله فقال العاصي بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتري فأنزل الله {إن شانئك هو الأبتري}."

وكون الآية نزلت في العاص بدون هذه القصة، أخرجه الطبري من مرسل سعيد بن جبیر: (تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤)، من مرسل مجاهد: (تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤-٦٥٧)، ومن مرسل قتادة: (تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤). وهو الراجح.

(٢) أسباب النزول للواحي: ٤٩٥، الدر المنثور" ٦٥٢ / ٨ وعزاه إلى ابن عساکر من طريق ميمون بن مهران بمعناه، وبمعناه أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه: ٦٥٣ / ٨، وعزاه إلى الزبير بن بكار، وابن عساکر، وأخرجه الطبري: (٦٥٦/٢٤)، بنحوه من طريق العوفي، والعوفي ضعيف.

الحديث أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٧٠ / ٢.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

قال سهل بن عبدالله: "لما مات القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة قالت قريش: أصبح محمد صلى الله عليه وسلم أبتراً، فغاضه ذلك، فنزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، نعزيه ونعوضه الكوثر، وهو الحوض، تسقي من شئت بإذني، وتمنع من شئت بإذني"^(١).

(١) تفسير التستري: ٢٠٧.

سورة «الكافرون»

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)} [الكافرون : ١] ، إلى آخر السورة.

اختلفوا في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال :

أحدها: عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: " أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجونه ما أراد من النساء ويطأون عقبه ، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكف عن شتم آلهتنا ، ولا تذكرها بشر؛ فإن بغضت فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ، ولك فيها صلاح قال: «وما هي؟» قال: تعبد إلها سنة اللات والعزى ، ونعبد إلهاك سنة قال: «حتى أنظر ما يأتي من ربي» ، فجاء الوحي من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢]، السورة ، وأنزل الله تعالى: {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} [الزمر: ٦٤] ، {بَلِ اللّٰهُ قَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ السَّٰكِرِينَ} [الزمر : ٦٦] [الزمر: ٦٦]"^(١).

الثاني: عن سعيد بن مينا مولى البخترى، قال: "لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأمّية بن خلف ، رسول الله ، فقالوا : يا محمد ! هلمّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ، فإن كان الذي جنبت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، حتى انقضت السورة"^(٢).

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٩٥١٨):ص٣٤٧١/١٠، والطبري (٦٦٢/٢٤)، والطبراني في " المعجم الصغير " (٧٥١):ص٤٤/٢.

جميعهم من طريق أبي خلف عبد الله بن عيسى الخزاز الحداد ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال الطبراني : لم يروه عن داود بن أبي هند إلا عبد الله بن عيسى ... أحاديثه أفراد كلها . انتهى.

وعبد الله بن عيسى الخزاز ضعيف عند عامة العلماء ، لا سيما رواياته عن داود بن أبي هند.

انظر ترجمته في " تهذيب التهذيب " (٣٥٣/٥).

عزاه إليه في زاد المسير: ٤/٤٩٩، وأبو صالح ليس بثقة، ورواية الكلبي وأبي صالح عن ابن عباس في التفسير ليس له أصل عنه. راجع ترجمتهما في «الميزان».

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٩٥١٩):٣٤٧١/١٠، والطبري (٦٦٢/٢٤)، قال : حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني سعيد بن مينا مولى البخترى به.

وسعيد بن مينا من أوساط التابعين ، فروايته مرسلة ضعيفة.

الثالث: عن وهب قال : "قالت كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم , إن سرك أن نتبعك عاما ونرجع إلى ديننا عاما , فأنزل الله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢] ، إلى آخر السورة"^(١).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- : "أن قريشا قالت : لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلهك، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ [الكافرون : ١] ، السورة كلها"^(٢).

وقال مقاتل: "نزلت في المستهزئين من قريش، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ بمكة : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١] ، فلما قرأ : {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى [النجم : ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه، في وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلاء، عندها الشفاعة ترتجى، فقال أبو جهل ابن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمستهزءون من قريش عشيا في دبر الكعبة لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين تدخل معك في بعض دينك وتعبد إلهك، وتدخل معنا في بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا وتتبرأ من إلهك، فأنزل الله- عز وجل- فيهم تلك الساعة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ [الكافرون : ١] ، إلى آخر السورة"^(٣).

والحاصل أن الآثار السابقة – وإن ضعفت أسانيد أفرادها – إلا أنها تتقوى بمجموعها ، ويشهد بعضها لبعض ، خاصة وأنه ليس في متنها ما يستنكر ، ووافقت ظاهر القرآن الكريم قال الطبري:-في تفسير الآية:-"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة، على أن يعبد نبي الله صلى الله عليه وسلم آلهتهم سنة، فأنزل الله معرفه جوابهم في ذلك: {قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألك عباد آلهتهم سنة، على أن يعبدوا إلهك سنة {يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} بالله"^(٤).

قال السعدي: "أي: قل للكافرين معلنا ومصرحاً"^(٥).

قال البيضاوي: "يعني: كفره مخصوصين، قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون"^(١).

(١) أحجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣٧٢٣):ص٤٦٩/٣، وانظر: الدر المنثور: ٦٥٥/٨، وزاد نسبه إلى ابن المنذر.

(٢) الدر المنثور: ٦٥٥/ ٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٧/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٦٦١/٢٤.

(٥) تفسير السعدي: ٩٣٦.

قال ابن كثير: " هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي أمرة بالإخلاص فيه، فقله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفارُ قريش" (٢).

(١) تفسير البيضاوي: ٣٤٣/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٨.

سورة «المسد»

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)} [المسد : ١] ، إلى آخر السورة.

اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما رواه ابن عباس، قال: «لما أنزل الله عز وجل: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] ، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى: " يا صباحاه " فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني نبي. . . رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ " قالوا: نعم قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله عز وجل: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١]»^(١). [صحيح]

الثاني : ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال : "ماذا أعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال؟ «كَمَا يُعْطَى الْمُسْلِمُونَ»، فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وأيّ

(١) أخرجه أحمد في المسند(٢٨٠١):ص٥/١٧، وأخرجه الطبري(٦٧٦/٢٤)، وابن منده في "الإيمان" (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل" ١٨١/٢-١٨٢ من طريق عبد الله بن نمير، بهذا الإسناد. وأخرجه بنحوه البخاري (٤٩٧١) ، ومسلم (٢٠٨) (٣٥٥) ، والطبري ١٩/١٢١، وابن حبان (٦٥٥٠) ، وابن منده (٩٤٩) و (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل" ١٨١/٢-١٨٢، والبخاري في "شرح السنة" (٣٧٤٢) ، وفي "معالم التنزيل" ٤٠١-٤٠٠/٣ من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، والبخاري (٤٧٧٠) ، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٢٦) ، والبخاري في "معالم التنزيل" ٤٠١/٣ من طريق حفص بن غياث، كلاهما عن الأعمش، به. وأخرجه مختصرا البخاري (٣١٩٤) و (٣٥٢٥) و (٤٩٧٣) من طريق حفص بن غياث، عن الأعمش، به-الموضع الأول والثالث بقصة أبي لهب، والموضع الثاني بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) ومناداته لبطون قريش.

وأخرجه أيضا مختصرا بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) : البخاري (٣٥٢٦) ، والنسائي في "اليوم والليلة" (٩٨٢) ، والطبري ٦٧٦/٢٤-٦٧٧، والطبراني (١٢٣٥٢) ، وابن منده (٩٥٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، به. وانظر المسند (٢٥٤٤) .

قوله: "يا صباحاه"، قال في "اللسان": هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه، يقول: قد غشينا العدو.

وقوله: "بسفح هذا الجبل"، قال السندي: بفتح سين وسكون فاء، قيل: هو بسين وصاد: أسفله ووجهه، وقيل: بالسين: عرضه، وبالصاد: جانبه.

شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تبا لهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأُنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، يقول: بما عملت أيديهم^(١).

الثالث : ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان: " أنه كان إذا وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وفدً انطلق إليهم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله ويقولون : أنت أعلم به ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر ، فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً ، فأخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- فاكتأب له ، فأُنزل الله تعالى: {تَبَّتْ} السورة"^(٢).

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.

سورة «الإخلاص»

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)} [الإخلاص : ١]، إلى آخر السورة.

اختلف في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أبي بن كعب^(١)، وجابر بن عبد الله^(٢)، وابن مسعود^(٣). [وعلى هذا القول السورة مكية]

عن أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]»^(٤).

عن جابر قال: "قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، «فنزلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:

[١] إلى آخرها»^(٥).

(١) انظر: المسند (٢١٢١٩): ص ١٤٣/٣٥-١٤٤.

(٢) انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٥٦٨٧): ص ٢٥/٦.

(٣) رواه عبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢١٢١٩): ص ١٤٣/٣٥-١٤٤، إسناده ضعيف لضعف أبي سعد محمد بن ميسر وأبي جعفر الرازي - وهو عيسى بن ماهان - أبو العالية: هو رفيع بن مهران.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٤)، والطبري ٦٨٧/٢٤، وابن خزيمة في "التوحيد" ٩٥/١، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤١/٤، وابن عدي في "الكامل" ٢٢٣١/٦، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٧٩، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٣٠٩ من طريق أبي سعد الصاغانى، بهذا الإسناد. وزاد عن بعضهم: فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث، (ولم يكن له كفوا أحد) قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثل شيء. وهذه الزيادة نظنها من كلام أبي جعفر الرازي.

وأخرجه الحاكم ٥٤٠/٢ وعنه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٤٤ من طريق محمد بن سابق، عن أبي جعفر الرازي، به. وفيه عندهما الزيادة المذكورة.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) من طريق عبيد الله بن موسى، والطبري ٣٤٣/١ من طريق مهران بن أبي عمر العطار، والعقيلي ١٤١/٤ من طريق أبي النصر هاشم بن القاسم، ثلاثتهم عن أبي جعفر، به مرسلًا. وقال: هذا أصح من حديث أبي سعد. قلنا: وهو ضعيف أيضا لضعف أبي جعفر الرازي.

وفي الباب عن جابر عند الطبري ٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وأبي يعلى (٢٠٤٤)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٢٧٩، وإسناده ضعيف. كما سيأتي.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٦٨٧): ص ٢٥/٦، والطبري في "التفسير": ٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وذكره السيوطي في

عن ابن مسعود قال: " قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} "(١).

عن عكرمة، قال: " إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة"(٢).

الثاني: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: إلى الله، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة و عامر بن الطفيل بالطاعون. قاله ابن عباس(٣). [فتكون السورة مدنية، لأنهما ما أتياه إلا بعد الهجرة]

الثالث: جاء ناس من اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعتة في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ من ذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة. قاله قتادة(٤)، والضحاك(٥)، ومقاتل(٦). وروي نحوه عن ابن عباس(١).

الدر المنثور: وزاد نسبه لأبي يعلى وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧ / ٤٦١) وهو كما قال بسبب مجالد بن سعيد (تقريب التهذيب: ٢٢٩/٢ - رقم: ٩١٩).

(١) رواه عبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨) وإسناده ضعيف فيه عبيد ابن إسحاق ضعيف، وقيس بن الربيع مختلف فيه.

ورواه الطيالسي عن قيس، عن عاصم، عن أبي وائل مرسلا، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (٨٩).

قال الطبراني: رواه الفرّيابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلا. [تفسير ابن كثير: ٥١٩/٨] (٢) أخرجه الطبري: ٦٨٧/٢٤.

(٣) عزاه البغوي في «التفسير»: ٥٨٤/٨ لأبي صالح وأبي ظبيان عن ابن عباس، وأبو صالح متهم في روايته عن ابن عباس، ورواية أبي ظبيان ابنه قابوس، وهو ضعيف. ولا يصح هذا الخبر.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٦٨٨/٢٤.

(٥) عزاه إليه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٧١، والبغوي في "التفسير": ٥٨٤/٨، ولم أره عن الضحاك مسندا.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢٣٩٢/٤.

قال مقاتل: " وذلك أن عامر بن الطفيل بن صعصعة العامري، دخل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، أما والله لئن دخلت في دينك ليدخلن من خلفي، ولئن امتنعت ليمتنعن من خلفي، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: فما تريد؟ قال: أتبعك على أن تجعل لي الوبر ولك المدر، قال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا شرط في الإسلام. قال: فاجعل لي الخلافة بعدك. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا نبي بعدي. قال: فأريد أن

عن ابن عباس: "إن اليهود جاءت النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم كعب بن الأشرف وحي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص: ١ - ٢]، {لَمْ يَلِدْ} فيخرج منه الولد، {وَلَمْ يُولَدْ} فيخرج من شيء" (٢).

وروي عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام: "أن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- قال لأخبار اليهود: إنني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم عهدا، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم، قال: أدن، فدنا منه، فقال: أنتدك بالله أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال له انعت لنا ربك، فجاء جبريل فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن سلام: أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم انصرف إلى المدينة وكتب إسلامه" (٣).

تفضلني على أصحابك. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا ولكنك أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال: فتجعلني أبا بلال، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسي، وجعل. قال: نعم. فغضب وقال: أما والله لأثيرن عليك ألف أشقر عليها ألف أمرد، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ويحك تخوفني؟، قال له جبريل -عليه السلام- عن ربه: لأثيرن على كل واحد منهم ألفا من الملائكة، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، وكان يكفيهم واحد، ولكن الله -عز وجل- أراد أن يعلمه كثرة جنوده، فخرج من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو متعجب مما سمع منه فلقبه الأربد بن قيس السهمي، فقال له: ما شأنك؟ وكان خليله فقص عليه قصته، وقال: إنني دخلت على ابن أبي كبشة آنفا، فسألته الوبر، وله المدر فأبى، ثم سألته من بعده فأبى، ثم سألته أن يفضلني على أصحابه فأبى، وقال: أنت أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال له: أفلا قتلته؟ قال: لم أطق ذلك. قال: فارجع بنا إليه، فإن شئت حدثته حتى أضرب عنقه فانطلقا على وجوههما حتى دخلا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقعد عامر عن يمينه والأربد عن يساره، «وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علم ما يريدان. قال: وجاء ملك من الملائكة فعصر بطن الأربد بن قيس، وأقبل عامر على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد وضع يده على فمه وهو يقول: يا محمد لقد خوفتني بأمر عظيم، وبأقوام كثيرة فمن هؤلاء؟ قال: جنودي وهم أكثر مما ذكرت لك. قال: فأخبرني ما اسم ربك؟ وما هو؟ ومن خليله؟ وما حيلته؟ وكم هو؟ وأبو من هو؟ ومن أي حي هو؟ ومن أخوه؟. وكانت العرب يتخذون الأخلاء في الجاهلية، فأنزل الله -تعالى- {قُلْ} يا محمد {هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...}».

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٩٥٣٣) ص: ٣٤٧٤/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٥٣٣) ص: ٣٤٧٤/١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٥٣٣) ص: ٣٤٧٤/١٠.

وقال قتادة: "جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتى ختم السورة"^(١).

قلت: ولا يصح هذا الخبر، لأن السورة مكية، وأخبار اليهود وسؤالاتهم مدنية، والراجح في ذلك هو القول الأول-والله أعلم-.

قال ابن عاشور: "الصحيح أنها مكية فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة، ولعل تأويل من قال: إنها نزلت حينما سأل عامر بن الطفيل وأربد، أو حينما سأل أحبار اليهود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم هذه السورة، فظنها الراوي من الأنصار نزلت ساعتئذ أو لم يضبط الرواة عنهم عبارتهم تمام الضبط"^(٢).

قال السيوطي: "وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها، ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول"^(٣).

(١) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: ٥٥/١.

سورة «المعوتين»: الفلق والناس

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)} [الفلق : ١] ، إلى آخر اسورة.

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)} [الناس : ١] ، إلى آخر السورة

سبب نزول المعوذتين:

قال المفسر الثعلبي في تفسيره : "قال ابن عباس وعائشة ، رضي الله عنهما : كان غلام اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدبت إليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم، ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له: «ذروان»، فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه، ولبت ست أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهم عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان. -و«الجف»: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتي يقوم عليه الماتح-، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي»، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه إثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين، فجعل كلما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين أنحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل -عليه السلام- يقول: «بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين والله يشفيك»، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقلته، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا»^(١).

(١) الكشف والبيان: ٣٣٨/١٠، وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٥٠٢-٥٠٣. وابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤، دون عزو. وذكره الحافظ ابن كثير(٥٣٨/٨) بطوله، ونسبه للثعلبي، وقال " هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم". وانظر ما بعده.

وذكر نحوه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤

روي عن عائشة قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا، ثم قال: "يا عائشة شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة نكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان^(١)" قالت: فأثاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: "يا عائشة لكان ماءها نقاعة الحناء، ولكان نخلها رءوس الشياطين" قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقتة؟ قال: "لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا"، قالت: فأمر بها فدفنت^(٢).

(١) قال الحافظ في "الفتح" ٢٢٩/١٠-٢٣٠: الأصل بئر ذي أروان، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٤٣٠٠): ص ٣٤٣/٤٠-٣٤٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٠/٨، ومسلم (٢١٨٩) (٤٣)، وابن ماجه (٣٥٤٥)، والطبري في "تفسيره" (١٦٩٣)، وابن حبان (٦٥٨٣) من طريق ابن نمير، بهذا الإسناد.

وأخرجه الحميدي (٢٥٩) - ومن طريقه البخاري (٥٧٦٥) و (٦٠٦٣) - وإسحاق بن راهوية (٧٣٧)، والبخاري (٣٢٦٨) و (٥٧٦٣) و (٦٣٩١)، والنسائي في "الكبرى" (٧٦١٥)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٩٣٤)، وابن حبان (٦٥٨٤)، والطبراني في "الأوسط" (٥٩٢٢)، والبيهقي في "السنن" ١٣٥/٨، وفي "الدلائل" ٢٤٧/٦، والبغوي في "شرح السنة" (٣٢٦٠) من طرق عن هشام، به. قال الحميدي في آخر الحديث: قال سفيان: وكان عبد الملك بن جريج حدثناه أولاً قبل أن نلقى هشاماً، فقال: حدثني بعض آل عروة، فلما قدم هشام حدثناه.

وعلقه البخاري في الرواية (٣٢٦٨) بقوله: وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن عائشة. ووصله الحافظ في "التعليق" ٥١٢/٣ من طريق أبي بكر بن أبي داود، عن عيسى بن حماد زغبة، عن الليث، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة فذكره.

وأخرجه عبد الرزاق (١٩٧٦٤)، والطبري (١٦٩٤) من طريق ابن المسيب وعروة بن الزبير، مرسلًا.

قال السندي: قوله: مطبوب، أي: مسحور.

قال الطبري-في تفسير الآية:- " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد، أستجير بربّ الفلق" (١).

عن أبيّ بن كعب، قال: "سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين؟ فقال: «قيل لي»، فقلت: فنحن نقول كما قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- " (٢).

قال سهل: " إن الله تعالى أمره في هاتين السورتين بالاعتصام والاستعانة به، وإظهار الفقر إليه" (٣).

(١) تفسير الطبري: ٦٩٩/٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الناس ٤٩٧٦، ٤٩٧٧.

(٣) تفسير التستري: ٢١٠.

الخاتمة:

إنّ علم أسباب نزول القرآن الكريم كما سبق من علوم القرآن، بل هو من أهم علومه لأنه؛ يدور على قطب علم التفسير، فالمفسرون يريدون أسباب نزول القرآن الكريم عند تفسيرهم للآيات لأنّ؛ العلم بالسبب يُورث العلم بالمُسبّب، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

١- إن أسباب النزول ، بيان لتاريخ نزول القرآن الكريم، وهو مما يعين على فهم الكتاب ويرفع الالتباس، ويساهم في معرفة الناسخ والمنسوخ، بل لو عرف لارتفع كثير من الخلاف الفقهي.

٢- إن العلماء متفقون على صحة الرواية هي السبب الرئيسي لقبول ومعرفة سبب النزول معرفة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع، فهذا هو نهج علماء السلف، فقد كانوا يتورعون عن أن يقولوا شيئاً في ذلك دون تثبت، لهذا فإن ما يُعتمد من ذلك فيما رُوي من أقوال الصحابة التي كانت صيغته جارية مجرى المسند، بحيث تكون هذه الصيغة جازمة بأنها هي سبب النزول.

٣- يَبْغِي التَّنْبِت مِمَّا بَلَّغْنَا مِنْ أَسْبَابٍ وَعَدِمَ التَّسْلِيمَ بِهَا دَائِماً، فَإِنَّ المَصْنَفَاتِ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ عَلَيْهَا مَلاحِظَاتٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا صَنَفَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ مِنْهُ، لِأَنَّ نَقْلَ المَعَارِفِ فِي ثِقَافَةِ شَفْوِيَّةٍ -أَي: النُّقْلَ بِالمَعْنَى- كَانَ سَبباً رَئِيساً لِلوَضْعِ وَالدَّسِّ، وَمِنْ ثَمَّ فَقد كَانَ لَهُ الأَثَرُ الأَكْبَرُ فِي تَعَدُّدِ أَسْبَابِ النُّزُولِ وَتَحْدِيدِ مَصَادِيقِ النَّازِلِ فِيهِ. فمصادره الأولى وآثاره المعرفية قائمة على المشافهة والنقل، وبما رُوي عن الأجيال الإسلامية الأولى وما نُسبَ إليهم من أقوال وآراء، وهذا ما يُؤدّي إلى التُّصَرِّفِ فِي الرِّوَايَةِ وَالنُّقْلِ، وَانعكاس ذلك على مفهوم النص ودلالته، حتّى عاد لبعض الآيات إذ لم يكن أغلبها أكثر من رواية وأكثر من سبب نُزول.

٤- لقد اعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول على صحة الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة، ويرون أنه لا يحل القول في أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.

٥- أن سبب النزول يقوم على قواعد ثابتة، وهي:

- أ- أن يكون الحدث الذي نزل فيه القرآن حديثا قد وقع بعد زمن البعثة، ولبيس قبله، وأما تناول القرآن وقائع ماضية فهو من باب إبطال السنن الجاهلية وليس السبب.
- ب- الموافقة اللفظية والمعنوية بين لفظي الآية والحادثة التي من اجله نزلت الآية.
- ت- التطابق الزمني بين الحادثة ونزول الآية.
- ث- وحدة السياق بين السبب وبين الخطاب القرآني، إذ يجب أن تكون الآيات السابقة واللاحقة لموضع النزول في النص القرآني ضمن السياق الموحد.
- ٦- أن صحة السند، وذكر كلمة "النزول" فيه، تعد قرينة قوية لمعرفة سبب النزول مع أركان الأخرى التي تقوم عليه السبب.
- ٧- تعدد صيغ أسباب النزول، بين الصريح والضمني، مما أدت إلى الالتباس في تحديد سبب النزول، لذلك فإن التسلح بعلم الشريعة، ضروري جدا للوصول إلى السبب الصحيح.
- وبعد كان هذا إيذانا بجملة من نتائج البحث، الذي وقفنا عنده، فتلك مباحث في علم أسباب النزول لا ننمي إليها السعة والشمول، ولا ندعي لها التفصيل والاستيعاب، إنما هي طائفة من المسائل المهمة التي نرجو ألا يجهلها أو يتجاهلها مسلم يهتف بهذا الدين الحنيف، و نسأل الله تعالى أن يتقبله منا بأحسن قبوله، وأن ينفع به الباحثين والدارسين، وأن يجعله ذخيرة لنا يوم الدين.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

المصادر والمراجع العامة

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي ٩١١هـ تحقيق مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- أسباب النزول عن الصحابة والتابعين": لعبد الفتاح القاضي، دار الندوة-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- أسباب نزول القرآن": للواحي، تح السيد أحمد صقر، دار الكتاب الجديد-مصر، ط١، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- أسباب نزول القرآن"، دراسة وتحليل لعبد الرحيم أبو علبة، الوكالة العربية للتوزيع.
- الأعلام": للزركلي، بيروت ط٣.
- البحر المحيط: لأبي حيان "ت٤٧٥هـ"، مصورة دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- البحر المحيط: للزركشي، "ت٧٩٤هـ" تح.د. عمر سليمان الأشقر، الكويت ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- البداية والنهاية: لابن كثير "ت٤٧٧هـ"، مصورة مكتبة المعارف-بيروت.
- البرهان في علوم القرآن": للزركشي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر-بيروت- ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ٧٩٤هـ تحقيق أبي الفضل الديمياطي دار الحديث القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- تاريخ الإسلام: للذهبي، تح.د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، وتح د، بشار عواد والشيخ شعيب الأرناؤوط ود. صالح مهدي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الطبري: تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف-القاهرة، ط٥.
- التحرير والتنوير: لمحمد طاهر بن عاشور، منشورات دار الكتب الشرقية-بتونس، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف": للمزي، تد عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- تدريب الراوي": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تذكرة الحفاظ": للذهبي، مصورة دار أحياء التراث العربي، عن طبعة الهند.
- الترغيب والترهيب": للمنذري "ت٦٥٦هـ"، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ - ٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان: تح: د. عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- التفسير والمفسرون. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة القاهرة. الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- التمهيد": لابن عبد البر، مطبعة فضالة المحمدية-المغرب، ابتدئ به في ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
- تهذيب التهذيب: لابن حجر، مصورة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للمزي، تح: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- تهذيب تاريخ ابن عساكر: لعبد القادر بدران "ت١٣٤٦هـ"، دار المسيرة بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- تهذيب وترتيب الإتيان في علوم القرآن. لمحمد بن عمر بن سالم بازمول، دار الهجرة الرياض بالاشتراك مع دار ابن عفان القاهرة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م .

- جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ بتحقيق محمود محمد شاكر مكتبة ابن تيمية القاهرة .
- جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري(٣١٠هـ)- تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وسننه وأيامه. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦٦هـ) تحقيق محب الدين الخطيب ترقيم وفهرست محمد فؤاد عبد الباقي المكتبة السلفية القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- الجامع لأحكام القرآن": للقرطبي "ت٦٧١هـ" دار الكتب العلمية-بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم الرازي، دائرة المعارف العثمانية-بحيدر آباد الدكن-الهند ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٢م.
- جمال القراء وكمال الإقراء. أبو الحسن علم الدين علي بن محمد السخاوي ٦٤٣هـ تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة، نشر دار المأمون للتراث دمشق ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت
- دلائل النبوة لأبي نعيم (ت ٤٣٠) ، عالم الكتب، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة": للبيهقي، تد. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- دليل كتب علوم القرآن المسندة المطبوعة حتى عام ١٤٢٧هـ . للأستاذ فؤاد بن عبده أبو الغيث مسؤول وحدة المعلومات بمركز الدراسات والمعلومات القرآنية ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد ٢ ذو الحجة ١٤٢٧هـ.
- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثوق: للذهبي "٦٧٣-٧٤٨هـ"، د. محمد شكور، مكتبة المنار-الزرقاء، الأردن ط١ "١٤٠٦هـ-١٩٨٧م".
- ذيل طبقات الحفاظ": للسيوطي "في ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي"، مصورة دار أحياء التراث العربي.

- الرسالة. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ تحقيق وتعليق أحمد شاکر (بدون بيانات).
- زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي "٥٠٨-٥٩٧"، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- زاد الميعاد في هدي خير العباد": لابن القيم الجوزية "٥٧١هـ"، تح شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- السبعة في القراءات": لابن مجاهد، تح الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف-مصر ط٣.
- سنن ابن ماجه": تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة.
- سنن أبي داود للإمام سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) المكتبة العصرية بيروت.
- سنن الترمذي": "ت٢٩٧هـ"، تح أحمد محمد شاکر وكمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- سنن الدارقطني وبذيلة التعليق المغني": لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، طبعة عالم الكتب-بيروت.
- سنن الدارمي": "ت٢٥٥هـ" بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، وطبعة عبد الله هاشم يمانى المدني دار المحاسن للطباعة-القاهرة.
- السنن الكبرى": للبيهقي، مصورة دار الفكر-بيروت.
- سنن النسائي": رقمه وفهرسه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر-بيروت، ط٢، ١٤٠٦.
- سنن سعيد بن منصور": تح حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية.
- سير أعلام النبلاء": للذهبي، تح مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- السير والمغازي": لابن إسحاق، تح سهيل زكار، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- السيرة النبوية الصحيحة": لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- السيرة النبوية": لابن هشام، تد مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر-بيروت.
- شرح السنة للبعوي (ت ٥١٦) المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح مسلم": للنووي، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح علل الترمذي": لابن رجب الحنبلي، "ت ٧٩٥هـ"، الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي (ت ٣٢١) مطبعة الأنوار المحمدية.
- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية. الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج تحقيق وتعليق إسلام منصور عبد الحميد، دار البصيرة الإسكندرية ٢٠٠٣م.
- صحيح ابن خزيمة": تد محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- صحيح البخاري مع فتح الباري": لابن حجر، دار المعرفة-بيروت.
- الصحيح المسند من أسباب النزول": لأبي عبد الرحمن مقبل الوداعي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة، ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- صحيح مسلم": "ت ٢٦١هـ"، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث-القاهرة.
- صفوة البيان لمعاني القرآن": لحسين مخلوف، الكويت ط٣.
- الضعفاء الصغير للبخاري": تد محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب-١٣٩٦هـ.
- الضعفاء الكبير": للعقيلي "ت ٣٢٢هـ"، تد د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الضعفاء والمتروكين": لابن الجوزي، "ت ٥٩٧هـ"، تد عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الضعفاء والمتروكين": للدارقطني "ت ٣٨٥هـ"، تد صبحي السامرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- الضعفاء": للنسائي، تد محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع": لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة-بيروت.
- طبقات الحفاظ": للسيوطي، تد علي محمد عمر، مكتبة وهبة-القاهرة، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- الطبقات الكبرى": لابن سعد محمد بن سعد بن منيع "ت٢٣٠هـ"، دار صادر-بيروت، طبع سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها": لأبي الشيخ الأنصاري "٢٧٤-٣٦٩هـ"، تد عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- طبقات المفسرين": للداودي "ت٩٤٥هـ"، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- طبقات المفسرين": للسيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- طبقات علماء الحديث" لابن عبد الهادي "ت٧٤٤هـ"، تد أكرم البوشي وإبراهيم زبيق، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.
- عشرة النساء للنسائي (٣٠٣) ، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- علل الحديث": لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد الرازي الحنظلي، المطبعة السلفية-القاهرة، ١٣٤٤هـ.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية ابن الجوزي، دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.
- علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة. الدكتور حازم سعيد حيدر؛ مكتبة دار الزمان المدينة المنورة الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
- علوم القرآن تاريخه... وتصنيف أنواعه . الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ؛ مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد ١ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري": إخراج محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت، لبنان.

- الفتح السماوي": للمناوي "ت ١٠٣١هـ"، تد أحمد مجتبي بن نذير السلفي، دار العاصمة- الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.
- فتح القدير": للشوكاني "ت ١٢٥٠هـ"، البابي الحلبي، مصر ط٢، ١٣٨٣هـ.
- فنون الأفتان في عيون علوم القرآن. عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧هـ تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل": للزمخشري، "ت ٥٣٨هـ"، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ
- كشف الأستار عن زوائد البزار- لنور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) مؤسسة الرسالة.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي (ت ٩٧٥) . مؤسسة الرسالة.
- لباب النقول في أسباب النزول": للسيوطي، دار إحياء العلوم-بيروت.
- لسان الميزان": لابن حجر، مصور "مؤسسة الأعلمي"، بيروت ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م، دار الفكر-بيروت.
- لطائف البيان في علوم القرآن. الدكتور مصطفى آكرور ، دار الإمام مالك الجزائر ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- مباحث في علوم القرآن. الدكتور محمد الدراجي، دار قرطبة الجزائر ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- المجروحين": لابن حبان، تد محمود إبراهيم زايد، صدر عن دار الوعي-حلب ط١، ١٣٩٦هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد": للهيثمي، طبعة دار الكتاب، بيروت سنة ١٩٦٧م.
- مجموع فتاوي ابن تيمية": جمع عبد الرحمن العاصي النجدي مصورة مكتبة ابن تيمية- مصر.
- محاسن التأويل": للقاسمي دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي-القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

- محاضرات في علوم القرآن": لغانم قدوري حمد، دار الكتاب-بغداد، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م. تم طبع بعنوان "علوم القرآن الكريم".
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز": لابن عطية، تد مجموعة، الدوحة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٧٧م.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- مختار الصحاح. زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
- مختصر الإتيان في علوم القرآن للسيوطي. صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المراسيل": لابن أبي حاتم، تد شكر الله القوجاني، مؤسسة الرسالة-بيروت ط١، ١٣٩٧هـ.
- المراسيل": لأبي داود، تد شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بابن شامة المقدسي (٦٦٥هـ) تحقيق: طيار آنتي قولاج، نشر دار صادر بيروت سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير": جمع وتخريج حكمت بشير ياسين وآخرين، مكتبة المؤيد-السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- المستدرك على الصحيحين": للحاكم حيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٣٤هـ-١٣٤٠هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي": مصورة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند ط١، ١٣٢١هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي": تد حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل " أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وتحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند الحميدي: "ت ٢١٩هـ"، تد حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ط١- بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز: "للباغندي" ت ٣١٢هـ" تد الشيخ محمد عوامة. مؤسسة علوم القرآن، د. ب، ط ٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- المسند: "لأبي عوانة، طبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن-الهند، ١٣٦٢هـ فما بعدها.
- مشاهير علماء الأمصار: " لابن حبان البستي "ت ٣٥٤هـ" عنى بتصحيحه م. فلا يشهمر، القاهرة، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
- المشتبه: "للذهبي، تد على محمد الجاوي، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، ١٩٦٢م.
- مشكل الآثار، " للطحاوي، دار صادر-بيروت عن طبعة دائرة المعارف العثمانية-الهند.
- المصاحف لابن أبي داود، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٦ م.
- المصنف: " لعبد الرزاق، تد حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي ط١.
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: "للشيخ علي القاري "ت ١٠١٤هـ"، تد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: " لابن حجر، تد حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة العصرية-الكويت، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.
- معاني القرآن: " لأبي جعفر النحاس "ت ٣٣٨هـ"، تد محمد علي الصابوني، شركة مكة للطباعة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- معاني القرآن: " للزجاج، تد عبد الجليل عبده شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- المعجم الصغير: " للطبراني مع "الروض الداني"، تد محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي-بيروت دار أبو عمار-عمان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- المعجم الكبير": للطبراني "ت ٣٦٠هـ"، تد حمدي السلفي، طبعة وزارة الأوقاف العراقية- بغداد، ط١، ١٣٩٩م.
- معرفة الثقات": للعجلي، تد عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- معرفة الرجال": عن يحيى بن معين رواية ابن محرز في جزأين حقق الأول محمد كامل القصار والثاني محمد مطيع الحافظ وغزوة بدر، مطبوعات مجمع اللغة العربية-دمشق، ١٤٠٥هـ.
- معرفة الصحابة": لأبي نعيم، تد محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار-المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المغني في الضعفاء": للذهبي، تد نور الدين عتر، دار المعارف-حلب.
- مفاتيح الغيب": "تفسير الرازي"، دار الفكر-بيروت ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر بيروت .
- المقدمات الأساسية في علوم القرآن. عبد الله بن يوسف الجُدَيْع، مركز البحوث الإسلامية ليدز بريطانيا توزيع دار الريان سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
- مقدمة التفسير": لابن تيمية ضمن "مجموع الفتاوي"، جمع، عبد الرحمن العاصمي الحنبلي، مكتبة ابن تيمية-مصر.
- مقدمة في أصول التفسير. شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ ، دار الفجر الجزائر ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
- مناهل العرفان في علوم القرآن. الشيخ عبد العظيم الزرقاني تحقيق الدكتور نواف الجراح دار صادر بيروت ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- موارد الظمان": للهيثمي "ت ٨٠٧هـ"، تد محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية-بيروت.
- الموافقات": للشاطبي "ت ٧٩٠هـ"، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة-بيروت.

- الموضوعات: "لابن الجوزي" ت٥٩٧هـ، "تد عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الموطأ: للإمام مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري، تد بشار عواد، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الموقظة: للذهبي، بعناية عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي "ت٧٤٨هـ"، تد علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة.
- الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس، تد محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح-الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- النكت والعيون: للماوردي "٣٦٤-٤٥٠هـ"، تد خضر محمد خضر، مطابع المقهوي-الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير "ت٦٠٦هـ" تد طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت.
- نواسخ القرآن: لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان "ت٦٨١هـ"، تد إحسان عباس، دار صادر-بيروت.